

سلسلة: ترياق الجراح

الخوف والرجاء

في حياة المسلم

د. خالد حسن هندأوي

سلسلة: ترياق الجراح

الخوف والرجاء

في حياة المسلم

د. خالد حسن هنداوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من الذكر الحكيم

-قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۖ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ۚ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ إِنِّي أَخَافُ ۖ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [يونس: ١٥].

-وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [الأعراف: ٥٩].

-وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ ۚ فَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ [يونس: ١١].

-وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف: ١١٠].

الإهداء

أهدي هذا الجهد في هذا الكتاب، إلى:

-من وقفوا معنا وأعانونا في نشر هذا الكتاب سائلين الله لهم
التوفيق إلى أنهج طريق.

-وإلى كل رجل صالح وأمرأة صالحة، ينتفعان منه في باب
الخوف والرجاء، وما ضمَّ من معلومات وفوائد في البحث.

-وإلى كل من يُشمر العزم من الباحثين، وطلاب العلم على
إفادة المسلمين. في بستان الرقائق؛ فنحن بأمس الحاجة إليها في
هذا الزمان، لما فيها من حكم وأحكام مفيدة وبليغة، في حياتنا.

مُقْتَلَمَاتٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، الشفيع المشفع يوم الدين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من المعروف لدى كل مؤمن بالله تعالى أن إسلامنا العظيم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: الإيمان والعقيدة والقسم الثاني: الشريعة والمنهج. وأن حديقة هذا البناء المتكامل هو القسم الثالث: الذي يتمثل في جانب الأخلاق والتزكية لنفس هذا المؤمن. وقد قال مولانا رحمته الله عن هذه الأقسام الثلاثة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال عن ضرورة التفقه في الدين: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقال منوهاً بتزكية النفس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

وإننا في هذا الكتاب، سوف نسلط الضوء على جانب من موضوع القسم الثالث في التزكية الروحية ألا وهو موضوع الخوف والرجاء في حياة المسلم؛ لما له من الأهمية الكبيرة في بناء شخصيته السوية، التي يرضى عنها الله تعالى ورسوله صلوات الله وسلامه عليه؛ فإنَّ الخوف والرجاء

كجناحي طائر، يُحَلِّقُ بهما المؤمن في حياته للوصول إلى مرضاة الله تعالى. ولا بدَّ من التَّوازن بينهما، وقد يترجَّح أحدهما على الآخر في بعض الحالات.

ثم إن الله تعالى إنما يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إليه تعالى أولاً؛ فإذا خرج بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء، وردَّهم إلى الاعتدال؛ لما في ذلك من السعي لبلوغ الكمال النسبي، في تطهير القلب وإصلاحه ونهيه عن الفساد والإفساد. قال رسول الله ﷺ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)^(١).

هذا؛ وإن فقه المعاملة مع الله تعالى لأجدر ما يجب أن يعتني به المسلم الملتزم، وقد كان السلف الصالح -رضي الله عنهم ورحمهم- يفتنون جُلَّ أعمارهم في متابعة فقه الأذواق الشرعية، بالنسبة إلى فقه الأوراق والفروعات الفقهية. وما ذلك إلا لأن؛ المقصود المراد من العالم هو أن يكون ممن يخشون الله تعالى حق خشيته، لا مجرد أن يحوي علماً كثيراً وهو أبعد عن التعايش مع الروح المستسلمة لربها اللائذة به، وخصوصاً في موضوعنا هذا الخوف

(١) قطعة من حديث صحيح أوله، (الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ)، ينظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد فؤاد عبد الباقي: (١٨/٢)، باب أخذ الحلال وترك الشبهات: (١٠٢٨)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

والرجاء؛ فإنه المَعْوَل عليه في الوصول إلى النتيجة المنشودة المرجوة في الدين والأخرة -بعون الله تعالى- وبهذا؛ يصعد سلم النجاة. وقد روي أن رجلاً قال للإمام الشعبي رضي الله عنه: "أيها العالم. فقال: لسنا بعلماء، إنما العالم من يخشى الله" ^(١).

وجاء في الحديث الشريف، عن النبي ﷺ: (مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ) ^(٢).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: -وهو يتكلم عن التقوى التي هي وصية الأولين والآخرين- كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]. "وهي: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل" ^(٣).

هذا؛ وقد حشدنا من أدلة القرآن الكريم، والسنة الشريفة والآثار والأقوال والأشعار، من غُرر ما أفدناه من السابقين رحمهم الله. ما يؤيد هذا الموضوع ويجذب إلى العمل به -بعون الله-، معتبرين أن بعض هذا كافٍ في التأثير وأخذ العبرة إذ لا شيء يفعل في النفس

(١) إبطال الحيل: لابن بطّة، ص: ٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٤٥٠)، واختاره الإمام النووي، في "رياض الصالحين":

(١٤٥/٤١٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سميع المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص، لمحمد الحجار، ط: دار البشائر،

بيروت، ص: ٢٧٤.

كما تفعل هذه النصوص بتدبرها والاتعاظ بها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

كما كنا نعلّق ونشرح عند الحاجة للإيضاح، وذلك على مسلك علماء السلف رحمهم الله، في القديم وكذلك الخلف في الجديد. ونذكر من أشهرهم على سبيل المثال: عبد الله بن المبارك، [ت: ١٨١هـ]، والحاتر المحاسبي، [ت: ٢٤٣هـ]، وابن أبي الدنيا، [ت: ٢٨١هـ] وأبا طالب المكي [ت: ٣٨٦هـ]، وأبا المعالي الجويني، شيخ الحرمين، [ت: ٤٧٨هـ]، وأبا حامد الغزالي، [ت: ٥٠٥هـ]، والقاضي عياض، [ت: ٥٤٤هـ]، وابن الجوزي، [ت: ٥٩٧هـ]، والعز بن عبد السلام، [ت: ٦٦٠هـ]، والإمام النووي، [ت: ٦٧٦هـ]، وابن تيمية، [ت: ٧٢٨هـ]، وابن قيم الجوزية، [ت: ٧٥١هـ]، وعبد الحي اللكنوي، [ت: ١٣٠٤هـ] والشيخ يوسف القرضاوي في سلسلة السائرين إلى الله تعالى، [ت: ١٤٤٤هـ] والداعية خالد أبو شادي، ومحمد أحمد الراشد.

هذا؛ وقد قال الأستاذ الداعية مصطفى مشهور رحمته الله: "الداعي إلى الله يدعو الناس إلى كل معاني الخير التي تسمو بهم، فيصلح بذلك حالهم. والداعي إلى الله يتخير المعاني المهمة التي تتصل بالدعوة ويستشهد في حديثه بآيات قرآنية عظيمة، وبأحاديث نبوية شريفة وإن هذا لمعلوم بما لها من تأثير طيب يجدد الإيمان ويزيده. كما أن

الداعي إلى الله يطوِّع وقته وجهده وماله، وبدنه، وروحه بأسفار متكررة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى" (١).

وقد اشتمل هذا الكتاب على موضوعات جاء انتظامها كما يأتي:

- الباب الأول: في الخوف وفيه أربعة فصول وتسعة مباحث.

- الباب الثاني: في الرجاء وفيه فصلان وستة مباحث. وقد جعلنا

فصلاً مستقلاً للتوازن بين الخوف والرجاء، وفيه ثلاثة مباحث.

وإننا لندعو من الله تعالى الكريم؛ أن يقبل عملنا هذا ويجعله خالصاً لوجهه العلي الأعلى. ونشكره سبحانه شكراً لا حدَّ له على توفيقه إياناً لكتابة هذه البضاعة المزجاة. فله وحده المنّ والفضل أولاً وآخراً.

كما نرجوه سبحانه أن يجزي الخير الوافر كل من بدأ معونتنا في هذا العمل كالأخ الشيخ أحمد خلوف وكذلك الأخ الأستاذ محمد قاسم عبد الرحمن.

وكذلك بعض من ساعدونا بنصيحة، أو ملاحظة أو طباعة وجهه مشابه كمساعدتي الأخ أسد الله عبد القدير، فجزي الله الجميع خيراً.

ولا يفوتني أن أقدم الشكر العاطر لزوجي الكريمة التي راجعت وصححت معي هذا الكتاب.

(١) زاد على الطريق: مصطفى مشهور، ص: ٦٠.

راجياً من كل أخ قارئ أو باحث مطلع، أن يزودني بنصائحه
ويدلني على ما أكون قد غفلت عنه بملاحظات وفوائد ذات بال
مأجوراً وله الشكر سلفاً.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه: د. خالد حسن هنداوي

الدوحة/ قطر

٢٠٢٢/١١/١٧

جوال: 0097455568995

إيميل: khaled_hindawi@hotmail.com

الباب الأول: الخوف: وفيه أربعة فصول:

تمهيد:

الفصل الأول: مفهوم الخوف: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخوف والألفاظ ذات الصلة به

المبحث الثاني: أهمية الخوف والترغيب فيه.

المبحث الثالث: مقدمات الخوف ودرجاته وأسبابه.

الفصل الثاني: أنواع الخوف: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخوف المشروع.

المبحث الثاني: الخوف غير المشروع.

الفصل الثالث: كيف نقوي الخوف من الله تعالى؟ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كيف نقوي الخوف؟

المبحث الثاني: ثمرات الخوف.

الفصل الرابع: نماذج من حياة الصالحين، وحياة غير الخائفين من الله

تعالى: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نماذج من الذين خافوا الله تعالى.

المبحث الثاني: نماذج من حياة الذين لا يخافون الله ﷻ.

الباب الأول

الخوف

تمهيد:

من المعروف أن من العلماء من يتحدثون عن الرجاء قبل الخوف ومنهم من يقدمون الحديث عن الخوف قبل الرجاء. ولكننا بدأنا ببحث الخوف، فالناس يخافون من أشياء وأمور شتى ولكن المؤمن الصادق قد سدَّ أبواب الخوف كلها فلم يعد يخاف إلا من الله وحده. يخاف منه أن يفرط في حقه تعالى، أو يعتدي على أحد من خلقه، أما الناس فلا يخاف منهم خوفاً يستبدُّ به؛ لأنهم لا يملكون ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً^(١).

وكذلك فإننا قدّمنا الكلام على الخوف؛ لما جاء فيه من آيات في القرآن الكريم؛ وهي نحو ستين آية ومثلها من الأحاديث ومن آثار الصحابة والتابعين نحو اثنين وخمسين نصّاً^(٢). كما أن ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه "مدارج السالكين"، قدم منزلة الخوف على الرجاء. وكذلك الحال عند أكثر المؤلفين. ولا ريب أن زماننا هذا زمان الخوف أكثر من الرجاء، فاقترضى التنويه.

(١) ينظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص: ١٢٩.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المؤلفين:

٢٠٢٢، ١٨٦٦/٥.

فالبداء بالخوف لعله يكون الأهم؛ ل حاجتنا إليه في هذا العصر الذي كثر بل تفاقم فيه الفساد والإفساد وانتشرت فيه قلّة الدين عند قوم، وإن كان يقابلها بذور صحوة وتوعية إسلامية ظاهرة لدى آخرين.

- الخوف من الله تعالى هو: المقام الخامس من مقامات اليقين. مع مقامات المعرفة والمحبة^(١). قال تعالى: ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]. هذا؛ ويسنُّ لكل مسلم مكلف خوف السابقة والخاتمة والمكر به والخديعة والفضيحة^(٢). قال أبو سليمان الداراني: "ينبغي للقلب أن لا يغلب عليه إلا الخوف، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب"^(٣).

(١) قوت القلوب، لأبي طالب المكي: ٧٩/٣.

(٢) الآداب الشرعية، أبي عبد الله بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عمر حسن الخيام، وزارة الأوقاف، قطر، ص: ٣١.

(٣) ذكره شعيب الأرنؤوط في "تخريج المسند"، رقم: (١١٣٦٧)، وقال: حسن بشاهده، ومختصر منهاج القاصدين، ص: ٣٥٥.

الفصل الأول

مفهوم الخوف

المبحث الأول: تعريف الخوف والألفاظ ذات الصلة به:

- **الخوف في اللغة:** هو الدُّعْر والْفَزَع، يقال: خِفْتُ السَّيِّءَ خَوْفًا وَخِيفَةً^(١).

ويأتي التخوف بمعنى التحرُّز أي الاحتراز من الخوف نفسه كقوله ﷺ: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ، يَعْبَادُ فَاتَّقُونَ﴾ [الزمر: ١٦]. كما أن الخوف من الله تعالى أجلّ منازل العابدين، وكلُّ أحدٍ إذا خفته هربت منه إلا الله عزوجل، فإنك إذا خفته هربت إليه. فالخائف هنا: هو الهارب من ربه إلى ربه^(٢). قال الله ﷻ: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]. والخوف من الله لا يُراد به، ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الوحش؛ بل إنّما يراد به الكفّ عن المعاصي واختيار الطّاعات، ولذلك قيل: لا يُعدّ خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً^(٣). ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نعم العبد صهيّب لو لم يخف الله لم يعصه"^(٤). ومن أمثلة الإخوة العوام: "من لم يخف الله خَفَ منه".

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: ٢٣٠/٢.

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم: ٥٠٩/١.

(٣) المفردات، للراغب الأصفهاني: (١٦١-١٦٢) بيعض التصرف.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، (خوف): (١٠٠/٩)، وموسوعة نضرة النعيم: ١٨٦٧/٥.

- أما الخوف في الاصطلاح الشرعي: فهو على ما يأتي:

١- توقُّع الضَّرر المشكوك في وقوعه، أو تألُّم القلب واحتراقه بسبب توقُّع مكروه في المستقبل^(١).

٢- وقال علي الجرجاني: "هو توقع حلول مكروه أو فوات محبوب"^(٢). وعلى كلٍّ فالخوف عكس الأمن.

وجاء في تفسير القرطبي: عند قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَلَا تَخْشَوْهُمْ" يُرِيدُ النَّاسَ، "وَإِخْشَاؤُنِي" وَالْخَشْيَةُ أَصْلُهَا طُمَأْنِينَةٌ فِي الْقَلْبِ تَبْعَثُ عَلَى التَّوَقُّي. وَالْخَوْفُ: فَرَعُ الْقَلْبِ بَحِثٌ تَخِفُّ لَهُ الْأَعْضَاءُ، وَلِخَفَةِ الْأَعْضَاءِ بِهِ سُمِّيَ خَوْفًا"^(٣).

٣- وقال أبو العباس: "هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن، والتيقُّظُ لنداء الوعيد، والحذر من سطوة العقاب. وهو من منازل العوام أيضاً"^(٤).

وقيل: الخوف اسم جامعٌ لحقيقة الإيمان، وهو عِلْمُ الوجود والإيقان، وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر. وليس شيء يحرق شهوات النفوس فيزيل آثار آفاتِها إلا مقام الخوف^(٥). ولعل هذا المراد أوضح.

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ٢٤٠/١، وإحياء علوم الدين: ٢٧٢٥/٤.

(٢) التعريفات، للجرجاني، ص: ١٣٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (١٧٠/٢)، الأساس في التفسير، لسعيد حوى: (٣٢١/١).

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتین، لابن القيم: (٦١٢/٢).

(٥) الوعظ المطلوب من قوت القلوب، لمحمد جمال الدين القاسمي، ص: ١٥١.

- معاني كلمة الخوف في القرآن الكريم:

ورد الخوف في القرآن الكريم على وجوه منها:

الأول: بمعنى القتل والهزيمة: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ﴾ [النساء: ٨٣]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ [البقرة: ١٥٥].
أي: القتل.

الثاني: بمعنى الحرب والقتال: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، أي: الحرب. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩]، أي: إذا انجلى الحرب.

الثالث: بمعنى العلم والدراية: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوَصٍّ جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢] أي: عِلِم، ﴿وَأَن خَفَّتُمْ إِلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ٣] أي: علمتم.
الرابع: بمعنى النقص: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]، أي: تَنْقُص.

الخامس: بمعنى الرعب والخشية من العذاب والعقوبة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]^(١).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي: ٥٧٨/٢ - ٥٧٩.

- وقيل إن الخوف على وجوه:

الأول: ما يحدث عن معرفة العبد بذلة نفسه وهوانها وقصورها.
قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. أي: لا تخافون لله
هيبة تعظيماً له.

الثاني: ما يحدث من المحبة، وهو أن يكون العبد في عامة
الأوقات وجلاً من أن يكله إلى نفسه، ويمنعه مواد التوفيق ويقطع
دونه الأسباب. كما في قوله جل ذكره: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] فإن الله أثنى على الذين يدعونه بذلك؛ لأنهم لا
يدعون بهذا الدعاء إلا وهم خائفون على الهدى الذي أكرمهم به الله
تعالى أن يسلمهم إياه.

الثالث: ما يحدث من الوعيد، كما في قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]^(١).

(١) ينظر: فقه القلوب، جمال ماضي، ص: ١٨٠.

- الألفاظ ذات الصلة بالخوف:

١- **الخشية**: وهي نوع من الخوف لكنها أخص منه^(١). قال سهل التستري رحمه الله: "الخشية هي الورع. وهي حال من مقام الخوف"^(٢). قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثْقَانِي تَنْقَشُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال أبو هلال العسكري: "الخوف يتعلّق بالمكروه وبترك المكروه تقول: خفت زيداً، والخشية تتعلّق بمنزل المكروه، ولا يسمّى الخوف من المكروه نفسه خشية"، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سَوْءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]^(٣). وقال الفخر الرازي رحمه الله: "إذا تأملت استعمال الخشية وجدتها مستعملة لخوف؛ بسبب عظمة المخشي، وإذا نظرت إلى استعمال الخوف وجدته مستعملاً لخشية من ضعف الخائف"^(٤). والخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين^(٥). وقال أيضاً: "إن العبد من الله خائف وخاش؛ لأنه إذا نظر إلى نفسه رآها في غاية الضعف، فهو خائف، وإذا نظر إلى حضرة الله رآها في غاية العظمة، فهو خاشي، لكن الخاشي فوق

(١) ينظر: موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ص: ١٩٨٦.

(٢) قوت القلوب: ٧٩/٣.

(٣) الفروق اللغوية: ٢٤١/١.

(٤) التفسير الكبير: ١٥٣/٢٨.

(٥) مدارج السالكين: ٥١٣/١.

درجة الخائف، فلماذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فجعله مُنَحْصِراً فيهم غالباً؛ لأنهم وإن افترضوا أنفسهم على غير ما هم عليه، وقدَّروا أن الله رفع عنهم جميع ما هم فيه من الحوائج لا يتركون خشيته؛ بل تزداد خشيتهم، وأما الذي يخافه من حيث إنه يُفقره أو يسلبه جاهه، فربَّما يقل خوفه إذا أمكن ذلك فلماذا قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] وإذا كان هذا للخائف فما ظنك بالخاشي؟! فلما ذكر الخوف ذكر المقام ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، وعند الخشية ذكر اسمه الكريم فقط فقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خُشْعًا مُّتَّصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]^(١). وقال جل ذكره: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]. وقال ﷺ: (خشية الله رأس كل حكمة)^(٢).

وأقول: إنها -[أي: الخشية]- أثر من آثار المعرفة أي: معرفة الله تعالى. ولنا أسوة بسيدنا محمد ﷺ فقد كانت معرفته بربه لا تسبقها معرفة في الأولين والآخرين؛ لأنها -[كما قال الشيخ محمد الغزالي]- معرفة تنبع من شهود لا يخبو سناه، ولا يغيم ضحاه^(٣).

(١) ينظر: روح وريحان من سورة الرحمن، د. خالد حسن هنداوي، ص: ١٨٥.

(٢) أخرجه الشهاب القضاي: (٥٩/١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، ص: ٧.

وقال الإمام أحمد رحمه الله، "وذلك يدل على أن كل من كان بالله تعالى أعرف كان منه أخوف" ^(١). وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "ليس الخوف من كثرة الذنوب، بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة" ^(٢). فإذا كملت معرفة العبد بربه أورثت جلال الخوف ^(٣).

٢- الرَّهْبَةُ: هي طول الخوف واستمراره ^(٤).

٣- الحَذَرُ: هناك فرق بين الخوف والحذر، فالخوف توقع الضرر المشكوك في وقوعه، والحذر توقّي الضرر، سواء كان مظنوناً أو متيقّناً والحذر يدفع الضرر، والخوف لا يدفعه، ولهذا يقال: خذ حذرك ولا يقال: خذ خوفك ^(٥). قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

٤- الجبن: وهو ضد الشجاعة ^(٦). ويمثّل هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يُحجم المرء عن مباشرة ما ينبغي وما لا ينبغي ^(٧). وقال ابن مسكويه: "هو الخوف مما لا ينبغي أن يخاف منه" ^(٨). وقيل: "كل جبن خوف وليس كل خوف جبناً".

(١) ينظر: شعب الإيمان: ٢/٢٣٠.

(٢) إحياء علوم الدين: ٤/٢٧٩.

(٣) موسوعة فقه القلوب، ص: ١٩٨٣.

(٤) الفروق اللغوية: ١/٢٤١.

(٥) المرجع السابق: ١/٢٤٠.

(٦) لسان العرب: ١٣/٨٤.

(٧) التعريفات: ص: ٧٣.

(٨) تهذيب الأخلاق: ص: ٢٣.

فالمؤمن يتصف بالشجاعة، والإقدام. ولذا كان الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه قد بعث في كتابه إلى "هرمز" [أول قائد فارسي]، قائلا: "...أما بعد: فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذمة وأقرّر بالجزية، وإلا فلا تلومنّ إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"^(١). قال المتنبي^(٢):

ولو أنّ الحياة تبقى لحيّ لعدّنا أضلّنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جباناً
وللعلم؛ فإن الذي يُعاب وجوده واستقراره في الإنسان هو الجبن
وليس الخوف. قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ
إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣].

٥- الوجَل: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
[الأنفال: ٢]. أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى
بالانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى، أكبر علاماته أن يحجز
صاحبه عن الذنوب^(٣).

وهناك ألفاظ أخرى، كالفرع والرُعب، والتَّوَجُّس^(٤).

(١) ينظر: حياة الصحابة، للشيخ يوسف الكاندهلوي، ص: ٢٤٦.

(٢) ديوان المتنبي، ص: ٤٧٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ط: بيت الأفكار الدولية، ص: ٢٢٩.

(٤) الفروق اللغوية: ٢٤٢/١، والصحاح، للجوهري: ١٢٥٨/٣.

المبحث الثاني: أهمية الخوف والترغيب فيه:

الخوف من الله ﷻ فرض واجب؛ من أعظم الواجبات، وهو دواء شاف لكل عبد شريد مغترّ بحلم الله ﷻ وعفوه، وهو من المقامات العلية، ولوازم الإيمان^(١). وقد أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بالخوف فقال: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. كما أنّه ﷻ أثنى على الخائفين منه، فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]. وقال ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وكيف لا يخاف المؤمن وربُّ العزّة ﷻ يمدح المؤمنين، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧ - ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]، ويمدح الخائفين منه فيقول ﷻ: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦ - ٢٨]، وذمّ آخرين فقال ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ [المدثر: ٥٣]. وكلما كان العبد أقرب إلى ربّه، كان أشدّ له خشية ممّن دونه. وقد

(١) موسوعة نضرة النعيم: ١٨٦٨/٥.

وصف الله ﷻ الملائكة، بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] ومدح الأنبياء عليهم السلام. فقال ﷺ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وإنما كان خوف المقرّبين أشدّ؛ لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة، ولأن الواجب لله منه الشكر على المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيماً فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ^١ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]. أو نقصان الدرجة، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله. وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع؛ فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليهما، وأن يحرم التوبة، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له" (١).

قال حاتم الأصم رحمه الله: "لا تغترّ بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة، وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي. قال الله ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٣٥ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ^٢ وَقُلْنَا

(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر: ٣١٣/١١.

أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ
 آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة: ٣٥ - ٣٧﴾.
 وهكذا يبين إسلامنا العظيم كيف عصى أبونا آدم ربه بعد أن سَوَّلَ
 له الشيطان الأكل من الشجرة. ثم تاب؛ فعلى المسلم أن يحذر
 الشيطان. ولا يخدع بكثرة العبادة، فإن إبليس بعد طول تعبده لقي
 ما لقي، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ فَأَهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ
 إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]. وقال حاتم: ولا تغتر بقاء الصالحين
 ورؤيتهم؛ فلا شخص أصلح من النبي ﷺ ولم ينتفع بلقاءه أعداؤه
 ولا المنافقون^(١). ولا بعض أقاربه.

فكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة؛ وبه تحصل العفة والورع
 والتقوى والمجاهدة، وهي من الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب
 إلى الله^(٢). ولقد وردت أحاديث كثيرة في فضيلة الخوف، فقد جاء
 عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُسْمَعُ لَصَدْرِهِ أَزِيزٌ مِنَ الْبُكَاءِ وَهُوَ يَصَلِّي: فَعَنْ
 مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ
 أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ)^(٣).

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: ٢٧٨٥/٤، مدارج السالكين: ١/٥١٠.

(٢) موسوعة فقه القلوب، ص: ١٩٨٤.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب البكاء في الصلاة، رقم: (٩٠٤)، وهو صحيح.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله حدثني بأمرٍ أعتصمُ به. قال: قلُ ربِّي الله ثم استقيم. قلت: يا رسول الله، ما أخوفُ ما تخافُ عليّ؟ فأخذَ بلسانِ نفسه ثم قال: "هذا")^(١).
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إنَّ المؤمنَ يرى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ جَالِسٌ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخْشَى أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ"^(٢).

وقال رضي الله عنه: (مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمُنْزَلَ، أَلَا إِنَّ سَلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سَلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ)^(٣). وهو ما ذكرنا قطعة منه في المقدمة.

وقال رضي الله عنه: (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(٤).

أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ الْكَرَامُ رضي الله عنهم فكان الخوف يكسوهم، مع أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَاهُمْ، فبهذا نبىُّ الله نوح عليه السلام حينما سأل الله تعالى عن ابنه كما قال سبحانه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، جاء الرَّدُّ الإلهي: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي

(١) أورده الترمذي في جامعه، رقم: (٢٤١٠)، وقال: حديث صحيح.

(٢) شرح السنة، للبغوي: ٣٧٣/١٤.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٤٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم: (١٦٣٩)، الترغيب والترهيب: (٢٢٥/٢)، عن عبد الله بن

أَعْظَمَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هود: ٤٦]، عند ذلك التجأ إلى الله ﷻ بمقام الخوف، قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

وأما حديث الشفاعة؛ ففيه العجب العجاب من خوف الأنبياء ﷺ. يقول ﷺ: (يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: اائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، [ويشكون له] فيقول: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، فَيَأْتُونَ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام، [ويشكون له] فيقول: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام [ويشكون له]، فَيَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي. ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، [فيكون الجواب نفسه] ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ازْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ اشْفَعْ تُشَفَّعَ فَارْفَعْ رَأْسِي

فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى^(١).

قال ابن حجر^{رحمته الله}: إن النبي ﷺ يشقُّ أولاً: فيما طُلب منه من تعجيل الحساب. ويشقُّ ثانياً: في إدخال من لا حساب عليه الجنة. كما ورد في حديث "الصور": فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة في أهل الجنة، يدخلون الجنة فيقول الله سبحانه وتعالى: قد شفعتك فيهم وأذنت لهم في دخول الجنة^(٢).

وقال: فيه إشعار بأن العرض والميزان، وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن.

ثم ينادي المنادي: لتتبع كل أمة من كانت تعبد فيسقط الكفار في النار.

ثم يميز الله ﷻ المؤمنين من المنافقين، بالامتحان بالسجود عند كشف الساق.

(١) ينظر: صحيح البخاري، رقم: (٤٧١٢)، عن أبي هريرة^{رضي الله عنه}، وقد اختصرنا الحديث لطوله.

(٢) ينظر: الترغيب والترهيب: (٣٨٩/٤)، عن أبي هريرة^{رضي الله عنه}، و"فقه علوم الآخرة"، الشيخ د. محمد بشير الشقفة، ص: ١٥٠.

ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه، فيُطفأ نور المنافقين فيسقطون في النار. ويمر المؤمنون عليه إلى الجنة، فمن العصاة من يسقط، ومنهم من ينجو. ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصّة بينهم ثم يدخلون الجنة^(١).

وقال الحسن البصري^{رحمته الله}: "من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء"^(٢).

وقال ابن القيم^{رحمته الله}: "وَالْخَوْفُ لَيْسَ مَقْصُودًا لِذَاتِهِ بَلْ هُوَ مَقْصُودٌ لِغَيْرِهِ قَصْدَ الْوَسَائِلِ، وَلِهَذَا يَزُولُ بِزَوَالِ الْمَخُوفِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"^(٣).

وقال يحيى بن معاذ الرازي^{رحمته الله}: "على قدر حُبِّكَ لله تعالى يُحِبُّكَ الخلق، وعلى قدر خوفك من الله عز وجل يهابك الخلق"^(٤).

وقال الملا علي القاري^{رحمته الله}: "وَمَنْ خَافَ فُوتَ الْمَطْلُوبَ، سَهَرَ فِي طَلَبِ الْمَحْبُوبِ"^(٥). وقال أبو عمرو الدمشقي^{رحمته الله}: "حَقِيقَةُ الْخَوْفِ أَنْ لَا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا"^(٦).

(١) ينظر: فقه علوم الآخرة، ص: ١٥١.

(٢) الحسن بن يسار البصري، د. مصطفى سعيد الخن، ص: ٣٢٩.

(٣) مدارج السالكين: ١/٥١٠.

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي: ٢٠٩/٣.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٣٥١/٨.

(٦) شعب الإيمان: ٢٠٨/٣، وموسوعة نضرة النعيم: ١٨٩٩/٥.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله ^(١):

إذا ما الليل أظلم كابدوه فَيُسْفِرُ عنهم وهم ركوعُ
أطار الخوفُ نَوْمَهُم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هُجُوعُ ^(٢)

وقال الطيبي رحمه الله: "مَنْ خاف من هجوم العدو عليه وقت السَّحر يسير في اللَّيل ويبلغ المأمن، وهذا مَثَلٌ ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة؛ فَإِنَّ الشيطان على طريقه، ونفسه وأمانيه الكاذبة؛ فَإِنْ تيقَّظ في سيره وأخلص النِّيَّة في عمله أَمِنَ من إبليس وكيده ومن قطع الطَّرِيق بأَعوانه" ^(٣).

وقال ابن السماك رحمه الله: "كم من مذكِّر بالله ناسٍ لله! وكم من مَخَوْف بالله جريءٍ على الله! وكم من مقرَّبٍ إلى الله بعيدٍ عن الله! وكم من داعٍ إلى الله فارٍّ من الله! وكم من تالٍ كتاب الله منسلخٍ عن آيات الله ^(٤)! فليحذر العبد من ذلك، وأن تغلب عليه تلك الحال.

وإن في صلاة الخوف ومشروعيتها وكيفية أدائها حكمة إلهية فلقد شرعها الله تعالى لعباده، حتى في الحرب. مما يدفع عنهم الخوف، فيتمكن العبد من أداء هذه الفريضة، وهو أحوج ما يكون إلى الصلة بالله عز وجل، يستمد منه العون والنصر، وهو يقارع

(١) ديوان الإمام المجاهد ابن المبارك، تحقيق: أ.د. مجاهد مصطفى بهجت، ص: ٩٠.

(٢) هجوع: قال في "النهاية"، الهجوع: النيام.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣٣٨٤/١١.

(٤) إحياء علوم الدين، ط: دار ابن حزم: ٧٧/١، تبين المحارم، لإمام الحرم المكي سنان

الدين يوسف عبد الله الأماسي، تحقيق: د. خالد حسن هندواوي: ٨٤/٢.

الكفرة في ميادين القتال فيطمئن قلبه بذكر ربه عزوجل، وتزداد ثقته بنصره وتأييده، وتثبت قدمه في أرض المعركة، حتى يندحر الباطل ويكتب لأهل الحق الفوز والفلاح وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

كما أنها بكيفياتها، تمكن الجندي المسلم من إقامة الصلاة دون حرج، مهما اختلفت أساليب القتال وتنوعت وسائل الحرب، على اختلاف الزمان والمكان والمواقف القتالية^(١).

فالخوف لا يُعيق أداء المسلم لواجباته حتى في الجهاد. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۖ وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۖ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ

(١) ينظر: الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، د. مصطفى الخن وآخرون، ص:

عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠١﴾ [النساء: ١٠١-١٠٢]. قال صاحب الظلال رحمه الله: "إن الضارب في الأرض في حاجة ماسة إلى الصلة الدائمة بربه تعينه على ماهو فيه وماهو مرصودٌ له في الطريق. والصلاة أقرب الصلوات إلى الله. وهي العُدَّة التي يُدعى المسلمون للاستعانة بها في الشدائد والملمات. فكلما كان هناك خوف أو مشقة، قال لهم ﷺ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. فما أحوج الخائف في الطريق إلى أن يطمئن قلبه بذكر الله. وما أحوج المهاجر من أرضه إلى أن يلتجئ إلى حمى الله. غير أن الصلاة الكاملة -[ومافها من قيام وركوع وسجود]- قد تعوّق الضارب في الأرض عن الإفلات من كمين قريب أو قد تلفت إليه أنظار عدوه فيعرفوه، أو قد تمكن لهم منه وهو راکع أو ساجد فيأخذوه. فكانت الرخصة للضارب في الأرض أن يقصر من الصلاة عند مخافة الفتنة. فلا يترك صلته بالله في حالة الخوف من الفتنة، ويأخذ حذره من عدوه" ^(١).

أقول: وتتبدل الأحكام بتبدل الأزمان كما هي القاعدة الشرعية فيمكن عند ذلك أن تأخذ حكماً آخر كأحكام المرضى والمعدورين أو غيرهم. حسب ما تقتضيه الحال في الحاضر والمآل. فإن اشتد الخوف جداً ولا يمكن أداؤها لا بجماعة ولا بانفراد، حتى ولا بإيماء الرأس عند العجز عن الركوع والسجود؛ للاشتغال بالقتال كل اللحظات، فإذا كان ذلك أخرناها -[كما يقول الفقهاء]- إلى حين

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/٧٤٧.

انجلاء الأزمة وانقشاع الغمة، وحصول فترات زمنية نتمكن من فعلها فيها. وهذا لا يعني سقوط فريضتها كلا؛ بل إنها فرض حتم^(١). وكانت كذلك بلاد حرب قامت فيها صلاة الخوف فكانت مشهداً روحانياً وتطبيقاً عملياً جلياً، يُحقق الطمأنينة في النفس والجوارح. وهكذا فالخوف من الله؛ هو الأول وصلاة الخوف تخفف من مخافة العدو؛ لأنها في الدرجة الثانية.

- واعلم أن الخوف يجب التزامه لأمرين:

- أحدهما: للزجر عن المعاصي؛ فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ميالة إلى الشر، طماحة إلى الفتنة ولا تنتهي عن ذلك إلا بتخويف عظيم وتهديد بالغ، ليست هي في طبعها حرة يهملها الوفاء ويمنعها الحياء عن الجفاء، والتدبير في أمرها أن تقرعها أبداً بسوط التخويف، قولاً وفِعلاً وفكراً. فلقد جاء عن بعض الصالحين أن نفسه دعتَه إلى معصية فانطلق ونزع ثيابه، وجعل يتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه: ذوقي فنار جهنم أشد حراً من هذه! أي جيفة بالليل وبطالة بالنهار!

- والثاني: لئلا تعجب بالطاعات فتهلك، بل تقمعها بالذم والعيب والنقص من الأوزار، التي فيها ضروب الأخطار. فعن الحسن عليه السلام أنه

(١) ردود على أباطيل ورسائل الشيخ محمد الحامد، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ص: ٧٦.

كان يقول: "ما يأمن أحدنا أن يكون قد أصاب ذنباً [أي ولم يتب منه]، فأُطبق باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل" (١).

- لماذا يريد منا المولى جل وعلا أن نخافه؟

وربما سأل سائل لماذا يريد الله منا أن نخافه؟ فنقول: إن ذلك من أجل أن نتحقق عبوديتنا لله جلا وعلا.

فالخوف عبودية القلب إذ لا يصلح إلا لله وحده، ببذل الذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب. وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]. كيف جعل الطاعة له ولرسوله، والخشية والتقوى له وحده (٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها، وهي: الخوف والرجاء، والمحبة. قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الاسراء: ٥٦-٥٧]. فجَمَعَ بين المقامات الثلاثة فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه. ثم قال جل ذكره: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ فذكر الحب

(١) ينظر: منهاج العابدين، للغزالي، ص: ١٥١.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتین: (٢/٦٣٤).

والخوف، والرجاء. والمعنى أن هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه فهم عبيده، كما أنكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه، وأنتم وهم عبيد له^(١)؟

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (قَالَ اللَّهُ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً)^(٢)، وفي لفظ آخر: (أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ)^(٣). وكان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "كفى بخشية الله علماً". ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله. ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبّه له وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفاً وحباً.

فالخوف يوجب هروباً إلى الله، وسكوناً إليه، فخوف الهارب إليه سبحانه محشوّ بالحلاوة والسكينة والأنس لا وحشة معه، وإنما يجد الوحشة من نفسه. فله نظران: نظر إلى نفسه وجنابته فيوجب له وحشة؛ ونظر إلى ربه وقدرته عليه وعزه وجلاله، فيوجب له

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتین: (٦١٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٦١٠١).

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في

النكاح، رقم: (٥٠٦٣)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

خوفاً مقروناً بأنس وحلاوة وطمأنينة^(١). وعندها يدخل العبد في عبودية مولاه سبحانه ويحقق ما أراد الله منه بهذا الخوف. ويشوقه إلى الجنة.

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين: (٦١٨/٢).

المبحث الثالث: مقدمات الخوف ودرجاته وأسبابه:

- مقدمات الخوف:

أشرنا سابقاً في تعريف الخوف: بأنّه تألّم القلب بتوقُّع مكروه مستقبلأً وهذا من قبيل الخواطر وذلك ليس في اختيار العبد؛ وإنّما المقدور للعبد مقدمات الخوف، ومقدماته أربع^(١):

- الأولى: ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت، وكثرة الخصوم الذين مضوا في المظالم، وأنت مُرتَهَنٌ لم يتبين لك الخلاص بعد.

قال بعض العلماء: الراجح عند علماء فقه المعاملة مع الله، أن لا تذكر ذنوبك وتطيل التفكير بها، فقد يجرُّ عليك ما لا تُحمد عقباه. والحلُّ أن تتذكر عظمة الله وَهَيْمَنَتَهُ على الخلق والكون فهذا هو الأوجه. كما نُقل عن الإمام أبي القاسم الجنيد بن الجنيّد البغدادي^(٢).

وقال آخرون: أن تُحدث عملاً صالحاً في المكان نفسه الذي قُمت فيه بالذنوب؛ لعل الحسنات يذهبن السيئات. وبالتجربة فإن هذا هو أنجع في التخلص من الذنوب. وقد كان الإمام المجلّ أحمد بن حنبل رحمه الله يتمثل ويقول:

إذا ما قال لي ربي	أما استحييت تعصيني..؟
وتُخفي الذنب عن خلقي	وبالعصيان تأتيني
فكيف أجيبُ يا ويحي	ومن ذا سوف يحميني؟

(١) ينظر: تبين المحارم: ٢٥٤/٥.

(٢) الرسالة القشيرية، ص: ١٨٣.

أُسْلِيَ النَّفْسَ بِالْأَمَا لِي مَنْ حِينَ إِلَى حِينَ

- الثانية: ذكر شدة عقوبة الله تبارك وتعالى، التي لا طاقة لك بها.

قال جل ذكره: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُزَيِّقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۚ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

- الثالثة: ذكر شدة ضعف نفسك عن احتمالها.

- الرابعة: ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء^(١).

وقال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: "خَفِيَ اللَّهُ لِقَدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَحِ مِنْهُ لِقَرْبِهِ مِنْكَ"^(٢).

والخوف أجلُّ منازل الطريق، على أن خوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج، وهو بهم ألصق، ولهم ألزم. فإن العبد إما أن يكون مستقيماً، أو مائلاً عن الاستقامة. فإن كان مائلاً عنها فخوفه من العقوبة على ميله، ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف. وهو ينشأ من ثلاثة أمور:

أحدها: معرفته بالجناية وقبحها.

والثاني: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها.

والثالث: أنه لا يعلم لعله يُمنع من التوبة ويُحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب.

(١) ينظر: منهاج العابدين، ص: ١٥٤.

(٢) موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، د. روعي البعلبكي، ص: ٢٧٦.

ففي هذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف، وبحسب قوّتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه^(١).

وأما إن كان مستقيماً مع الله، فخوفه يكون مع جريان الأنفاس لعلمه بأن الله مقلّب القلوب، وما من قلب إلا هو بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، فإن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يُزيغه أزاعه، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت أكثر يمينه صلى الله عليه وسلم: (لا ومقلّب القلوب)^(٢). وقال بعض السلف: "مثل القلب في سرعة تقلّبه كريشة مُلقاة بأرض فلاة تقلّبها الرياح ظهراً لبطن". ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]^(٣).

- درجات الخوف:

- الدرجة الأولى: الخوف من العقوبة: وهو الخوف الذي يصح به الإيمان، وهو خوف العامة، ويتولّد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية ومراقبة العاقبة. وهذا الخوف علامة صحة الإيمان وترخّله من القلب علامة ترخّل الإيمان منه والله أعلم.

- الدرجة الثانية: خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة المشوبة بالحلاوة: فكم من مغبوط بحاله انعكس عليه

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتین: (٦١٦/٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم: (٦٦١٧)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتین: (٦١٧/٢).

الحال، ورجع من حُسن المعاملة إلى قبيح الأعمال، فأصبح يُقلب كفيه ويضرب باليمين على الشمال! قال الشاعر:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسُنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

- الدرجة الثالثة: درجة الخاصة، وليس في مقام أهل الخصوص وحشة الخوف، إلا هيبة الجلال، وهي أقصى درجة يُشار إليها في غاية الخوف. وإن وحشة الخوف إنما تكون مع الانقطاع والإساءة وأهل الخصوص أهل وصول إلى الله وقرب منه. فليس خوفهم خوف وحشة، كخوف المسيئين المنقطعين. لأن الله عز وجل معهم بصفة الإقبال عليهم، والمحبة لهم وهذا بخلاف هيبة الجلال، فإنها متعلقة بذاته وصفاته، وكلما كان عبده به أعرف وإليه أقرب، كانت هيبتة وإجلاله في قلبه أعظم، وهي أعلى من درجة خوف العامة. وأكثر ما تكون " الهيبة " أوقات المناجاة وهو وقت تملُّق العبد برَبِّه، وتضرُّعه بين يديه واستعطافه، والثناء عليه بآلائه وأسمائه وصفاته، أو مناجاته بكلامه^(١).

- وخوف الأولياء: فإن قيل: هل يسقط الخوف عن الأولياء؟ قال القشيري رحمته الله: "أما الغالب على الأكابر فكان الخوف". وقال أحدهم: "لو أن واحداً دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة، وعلى كل

(١) ينظر: مدارج السالكين: ١/٥١١-٥١٢.

شجرة طير، يقول بلسان فصيح: السلام عليك يا ولي الله، فلو لم يَخَفَ أنه مُكْرَبه فهو ممكور^(١). وهكذا كانوا يخافون الله تعالى.

- **وخوف العارفين:** الذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التَّوْبَةِ أو خوف نقص التَّوْبَةِ ونكث العهد، أو خوف ضعف القوَّة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى، أو خوف زوال رِقَّة القلب وتبدُّلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة، أو خوف أن يَكِلَهُ الله تعالى إلى حسناته التي اتَّكَل عليها وتعزَّز بها في عبادة الله تعالى، أو خوف البَطَر بكثرة نِعَم الله تعالى عليه، أو خوف الاشتغال عن الله تعالى بغيره، أو خوف الاستدراج بتواتر النِّعم، أو خوف انكشاف غوائل طاعاته، حيث يبدو له من الله تعالى ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده من الغيبة والخيانة والغش وإضممار السُّوء، أو خوف ما لا يدري أَنَّهُ يحدث عن بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والإفصاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا، أو خوف اطلاع الله تعالى عليه وعلى سريرته في حال غفلته^(٢). وأغلب المخاوف خوف الخاتمة، قال سهل: "خوف الصَّديقين من سوء الخاتمة عند كلِّ خطرةٍ وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى؛ إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]^(٣)

(١) ينظر: الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري، ص: ٣٦٠، بتصرف.

(٢) تبين المحارم: ٢٥٦/٥ - ٢٥٧.

(٣) صلاح الأمة في علو الهمة: (١٩٢/٤).

واعلم أن أقل درجات الخوف: الكفُّ عن الشهوات، وهو العفة، ثم عن المحظورات، وهو الورع، ثم الشبهات، وهو التقوى ثم التجرد للخدمة وهو الصدق. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: "لو وُضِعَ الصدق على جرحٍ لبرأ"^(١).

والحاصل: أن أقل درجات الخوف امتثال الأوامر واجتناب المعاصي، ومن ادّعى الخوف من الله تعالى مع ارتكابه المناهي، فهو كذاب في دعواه.

فإذا قيل لك: أتخاف الله تعالى؟ ينبغي أن تسكت؛ لأنك إذا قلت: لا أخاف، كفرت، وإذا قلت: أخاف كذبت^(٢).

وقال سهل التستري رحمته الله: "دخول الخوف على الجاهل يدعوه إلى العلم ودخوله على العالم يدعوه إلى الزهد، ودخوله على العامل يدعوه إلى الإخلاص. فقد صار الخوف يصلح للكافة، إذ دخوله على العامة يُخرجهم عن الحرام، ودخوله على الخاصة، يُدخلهم في الورع والزهد؛ لأن من خاف ترك. ومن أحب أن يرى خوف الله تعالى في قلبه فلا يأكل إلا حلالاً"^(٣).

وقيل: لا يكون الخوف إلا بعد اليقين، هل رأيت خائفاً لما لم يستيقنه؟ والخوف في ثلاثة أشياء:

(١) ينظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لابن الجوزي، ص: ٣٥٠.

(٢) تبين المحارم: ٢٥٨/٥.

(٣) قوت القلوب: ٩٤/٣.

- خوف الإيمان، وعلامته بذل الجهد في مفارقة المعاصي والذنوب وهو خوف المريدین.
- وخوف السلب، وعلامته الخشية والاشفاق والورع، وهو خوف العلماء بالله عزوجل.
- وخوف الفوت، وعلامته بذل الجهد في طلب مرضاة الله تعالى بوجود الهيبة والإجلال لله عز وجل، وهو خوف الصّديقين.
- ومقام رابع في الخوف خصّ الله جل ذكره به الملائكة والأنبياء عليهم السلام، وهو خوف الإعظام، مع أنهم آمنون في أنفسهم بأمان الله تعالى لهم، فَخَوْفُهُمْ تَعَبُّدُهُمْ لله إجلالاً وإعظاماً^(١).

(١) رسالة المسترشدين، ص: ٢٤١-٢٤٢.

-أسباب الخوف من الله تعالى، وهي كثيرة، ومنها:

١- التَّفَكُّرُ بعظمة الله ﷻ وقدرته: فزيادة العلم توجب زيادة

الخشية قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ

لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۖ وَيَخِرُّونَ

لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

ولمَّا كان النَّبِيُّ ﷺ أعلم النَّاسِ كان أتقاهم لله تعالى وأشدَّهم له

خشية كما قال ﷺ: (أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ) (١). وفي

رواية عن أنس بن مالك ﷺ قال: (بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ

شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي

الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا

قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطُّوا

رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنْيْنٌ، -[أي: صوت مرتفع مِنَ الأنفِ بالبكاء مع غَنَّةٍ، وهو

دون الانتحاب]- قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ ﷺ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ

دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا (٢). ويشهد له ما روته أم المؤمنين السيدة

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في

النكاح، رقم: (٥٠٦٣)، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، رقم: (٢٣٥٩).

عائشة رضي الله عنها، قال عليه السلام: (وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا) ^(١).

٢- تذكر اقتراف الخطايا والدُّنُوب والقول في ذلك: فالخاطيء

يخاف العقوبة، فهذا آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة، شعر بالخطأ، فالتجأ إلى الله تائبًا مستغفرًا. قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].
وذلك كما قيل ^(٢):

تصلُ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجي دَرَكَ الجنان بها وفوز العابد
ونسيتَ أَنَّ اللهَ أخرجَ آدمًا منها إلى الدنيا بذنب واحد
وهذا؛ رجل مسرف على نفسه من بني إسرائيل دفعه خوفه لفعلٍ
غريب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: (كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى
نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ
اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا
مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ:
اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ -وهو أعلم به-: مَا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الصدقة في الكسوف، رقم:

(١٠٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، رقم: (٩٠١).

(٢) ديوان محمود الوراق شاعر الحكمة والموعظة، ص: ١٠٦، تحقيق: أ.د. وليد قصاب

حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشِيتُكَ - وفي رواية: مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ - فَغَفَرَ لَهُ^(١).

وكما كان حال الثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ حين تَخَلَّفُوا عن الجهاد في غزوة تبوك. حتى ضاقت عليهم أنفسهم خوفاً من عذاب الله قال ﷺ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

ولا ينبغي للعاقل أن يحتقر المعصية، وإن كانت صغيرة؛ فمُعْظَم النار من مُسْتَصَغَر الشَّرِّ، قال ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ)^(٢).

وقيل: وأضرُّ ما يُخَاف عليك مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ لأنَّ الكبائر ربما استعظمتها فَتُبَّتْ منها، واستحققت الصغائر فلم تتب منها. فمثالك كمن وجد أسداً فَخَلَّصَهُ اللهُ منه، فوجد بعده خمسين ذئباً فغلبوه، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم: (٣٤٨١)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم: (٢٧٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (٣٦٧/٦)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال: حديث صحيح. التيسير بشرح الجامع الصغير: (٤٠٥/١).

(٣) تاج العروس، لابن عطاء الله السكندري، تحقيق: محمد علي بحري-خالد خادم السروجي، ص: ١٩.

حَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى
 كُنْ مِثْلَ مَا شِىَ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى
 لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى^(١)

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: "طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مئة سنة ومئتي سنة أو أكثر - [أي: بدوام آثارها]! يُعَذَّبُ بها في قبره، إذا لم يتب منها. ويُسأل عنها إلى آخر انقراضها. قال رحمه الله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. أي: نكتب ما قدموه من أعمالهم، ونكتب أيضاً ما أخروه من آثار أعمالهم، مما سنّوه لمن بعدهم فعملوا به"^(٢).

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "الحذر الحذر من المعاصي، فإنها سيئة العواقب، والحذر الحذر من الذنوب خصوصاً ذنوب الخلوات؛ فإنّ المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه سبحانه وتعالى"^(٣).

وقال بلال بن سعد رحمه الله: "لا تنظر إلى صِغَرِ الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت". وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله. وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله تعالى"^(٤).

(١) ينظر: ديوان ابن المعتز، ص: ٢٩.

(٢) إحياء علوم الدين: ٩٦٥-٩٦٦/٢.

(٣) حاشية رسالة المسترشدين، للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، ص: ٢٢٢.

(٤) الداء والدواء، لابن القيم، (١/٥٢)، وهداية المرشدين، علي محفوظ، ص: ٢٠٣.

هذا؛ فالمؤمن دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخاف من أقلِّ الهَفَوات، أما الفاجر لضعف إيمانه وقَلَّة خوفه من مولاه يستهين بالذنوب ولا يبالي بالمعاصي. وقال بعض السلف: "يا أهل المعاصي لا تغتروا بطول حلم الله عليكم واحذروا أسفه. أي شدة غضبه من الإفراط في المعاصي. قال جل ذكره: ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] (١).

وقال الشيخ د. مصطفى السباعي رحمته الله: "إذا هَمَّت نفسك بالمعصية فذكرها بالله، فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا عَلِمَ بها الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان" (٢).

فإذا علم العبد قبح الذنب، وعلم سوء مغبته، وخاف أن لا يفتح له باب التوبة، اشتد خوفه فابتعد عنه. وهذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد.

لذا ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه، وإن تاب منها وبكى عليها. وإني رأيت أكثر الناس قد سكنوا إلى قبول التوبة، وكأنهم قد قطعوا على ذلك! وهذا أمر غائب!! ثم لو غفرت ذنوبه؛ بقي

(١) ينظر: هداية المرشدين، ص: ٢٠٧.

(٢) هكذا علمتني الحياة، ص: ٣٦.

الرجل من فعلها^(١). قال الحسن البصري رحمته الله: "إن الرجل يُذنب الذنب فما ينساه، وما يزال متخوفاً منه حتى يدخل الجنة"^(٢).

٣- كثرة الفتن: فقد مرّت فيما مضى فتن كثيرة ولكنّ الأشدّ خطورة، هو الذي يعترضنا في زماننا هذا؛ لفساد معظم الناس وعدم اكترائهم بالفتن. فكان رحمته الله يتعوّذ منها، فيقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَغْرَمِ وَالْمَأْتَمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغَنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ)^(٣)، وكان يقول رحمته الله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)^(٤). وكما ذكرنا:

فقد علّمنا رحمته الله أن ندعوّه، فنقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِدِّ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ

(١) ينظر: موسوعة فقه القلوب، ص: ٨٩٦.

(٢) الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ص: ٣٣٨، وموسوعة نضرة النعيم، (١٨٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من أرذل العمر، رقم: (٦٣٧٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم: (٢٧٣٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ
اللَّهِ يُقَلِّمُهَا كَيْفَ يَشَاءُ^(١).

وكيف لا يخاف المؤمن من الفتن، إذ الحي لا يؤمن عليه من
الفتنة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه. وقد قصَّ علينا القرآن خبر ذاك
الرَّجُل، "بلعام بن باعوراء" الذي أوتي العلم الغزير وكان حَبْرًا من
أحبار بني إسرائيل. والذي كان يُحَسِّنُ اسم الله الأعظم، ولم يكن
منه إلا أن مال إلى الدنيا وأهلها ميلَةً واحدة وترك لولي من أوليائه
حرمة واحدة، فسلبه الله معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود.
وأوقعه في بحر الضلال والهلاك إلى الأبد^(٢). قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْمُسْتَضْنَىٰ ۖ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ
تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَأْهَتْ أَوْ تَرُكَهُ يَأْهَتْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

لذلك كان العلماء العاملون، والعارفون الصادقون يخافون من
سوء الخاتمة، فقد جاء في الحديث: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى
النَّاسُ، عَمَلًا أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي
الرحمن، رقم: (٢١٤٠)، وقال: حديث حسن.

(٢) منهاج العابدين، ص: ١٥٩.

النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا^(١).

وفي هذا الواقع العجيب -[الذي يعيشه المسلم في هذه الأيام]- تتضافر الملهيات، والمُغريات، وتجتمع الشواغل التي تصرف الناس عمداً عن التفكير في الدار الآخرة، أو الالتفات إليها سواء بالمُرغبات أو المُرهبّات، وقد تكون سبباً لغفلة المسلم ووقوعه في الفتن، والتي منها:

- فتنة الاختلاط وافتتان الرجال بالنساء، والنساء بالرجال. فلقد قال ﷺ: (ما تَرَكْتُ بعدي فتنةً أضَرَّ على الرِّجالِ، من النِّساء)^(٢). وتعظم آثار فتنة الاختلاط على غير المتزوجين من الشباب^(٣).

ولا يخفى أن نتيجة ومغبة ممارسة الاختلاط وخيمة حتماً، عقلاً وطبعاً وشرعاً. كما هو معروف والقصص والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصى^(٤).

- فتنة الأزواج والأولاد، فقد يصل ابتلاء الرجل بامرأته أو ولده حدّاً يصير فيه عبداً مطيعاً لرغباتهم وأهوائهم، فأنزل الله جل ذكره

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم، رقم: (٦٤٩٣)، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في النكاح: (٥٠٩٦)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء: (٢٧٤٠).

(٣) قلوب أسيرة الشيطان، د. عبد الحميد هنداي، ص: ١٠٧-١٠٨.

(٤) للتوسع ينظر: كتاب الأعمال بالخواتيم، لسعد بن سعيد الحجري، ص: ٢٤٧.

قوله فيهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]. قال ابن عباس رضي الله عنه -[عندما
سأله رجل عن هذه الآية]- هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا
أن يأتوا رسول الله فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه، أن يأتوا
رسول الله، فلما أتوا رسول الله رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا
أن يعاقبوه، فأنزل الله قوله فيهم.

- أما فتنة المرأة بزوجها وابتلاؤها به، فمن جهة عصيانها له في
طاعة الله أو طاعتها له في عصيانه. وهذه الفتنة جسيمة تصرف
الكثير من الأزواج عن التفكير في أمر الآخرة والالتفات إليها ^(١).

كما أن المسلم -[اليوم]-، يُفني حياته جمعاً وسعيّاً؛ لأجل أن
يعيش أولاده معيشة البذخ والرفاهية، حتى ولو كان ذلك على
حساب دينه وطاعته لربه، فتراه يدع الصلوات المكتوبة بحجة
إحراز رزق أولاده ويجمع المال من حلال أو حرام بحجة تأمين
مستقبلهم، ويبخل عن الإنفاق في وجوه الخير؛ لأجل ادّخار المال
لأولاده. وكذلك الأمهات: فترى المرأة تنشغل ليلها ونهارها في خدمة
أولادها، وتتلى بذلك عن طاعة ربها فتدع الصلوات، أو تؤخرها
وتقدّم على ذلك خدمة أولادها. أو تشفق عليهم -[بزعمها]- فلا
توقظهم للصلاة ولا تأمرهم بها، مع أنها تغضب أشد الغضب إذا
ترك أحدهم واجباً من واجباته عموماً. وهذا باب عظيم يهلك فيه

(١) ينظر: قلوب أسيرة الشيطان، د: عبد الحميد هنداي، ص: ١٠٨

كثير من الآباء والأمهات بسبب همهم بأولادهم، وانصرافهم إليهم عن طاعتهم لربهم. وقد حذرنا الله تعالى من التشاغل بالأموال والأولاد عن ذكر الله وطاعته. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]^(١).

- فتنة الإعلام، وهي من الفتن العظيمة، التي صرفت الناس عن التفكير في أمر الآخرة -[بل لعل لها النصيب الأكبر في ذلك]- فوسائل الإعلام بصورها المختلفة من الرائي -[التلفاز]- إلى مختلف وسائل التواصل الاجتماعي، التي تحاول شحن عقل القارئ أو السامع بكل غث وسمين. فلقد دمرت تلك الأجهزة والوسائل البقية الباقية من عقول البشر، وشغلت تفكيرهم فامتلات العقول والقلوب وأترعت بالباطل حتى طفحت به، فلم يكتف الناس أن يكونوا سامعين ومشاهدين له بل فاعلين له، مقلدين إياه بصورة تلقائية غير واعية^(٢). فلا بد من التوعية الفاعلة، وإن احتاجت وقتاً كثيراً فهذا فيه ربح وفير، بالصبر والمصابرة والاصطبار.

فنحن في عصر تتقاذفنا فيه موجاته المادية؛ بالإباحية التي تكاد تكون مطلقة من كل قيد. وقد سأل بعض الإخوة: ما العمل والموجة المادية يتوالى سيلها حتى غمر قلوبنا وأفسدها؟ فأجابه أحدهم: أقم حولك في الحال سوراً يحفظك مما ترميك به هذه الموجة، ثم اشرع

(١) ينظر: قلوب أسيرة الشيطان، ص: ١٩٥.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٠٨-١٠٩.

في رفع ما في داخل هذا السور من آثارها وبقاياها، واقذف به إلى خارجه، حتى يجف محيطك ويفيق قلبك مما يغمره. ويتنفس من الهواء النقي الطهور... هذا السور، هو: غض البصر والعزوف عن مجال المنكر،... ورفع البقايا التي بداخله، وهي: تخليص النفس مما دخلها من غريب العادات وفساد الأخلاق. وخصوصاً ما يُستجلب من المستوردات الخارجية. وهذا جهد لن تجد في تكلفه مشقة، إذا أردت أن تدعو الله وتعمل بقلب سليم^(١).

لقد أصبحت الترسانة الإعلامية فيما تُروّج له، وكذا شبكات التواصل الاجتماعية، ووسائلها الشبكاتية، حقنة إدمان حقيقي للبشرية، يتسمّرون أمامها ليلَ نهار، تقطعت علاقاتهم وأرحامهم وأسرههم، حين اتصلت بهذه الوسائل، ورمى كل إنسان برأسه نحو كفه الذي يحمل أداة الرق العالمي الجديد -الهاتف- وما يحمله من سحر عقلي ودمار نفسي وإدمان للضياع والسطحية، يجد الشخص نفسه أسيراً بهوَس لهذه الأدوات التي يحملها.

إنها سحر العصر وطوق الرق الحديث -رق بالتراضي- بل تُدفع الأموال لأجل ذلك، يا لها من مفارقة سبقنا بها الرقيق في الماضي حيث كان الواحد منهم يسعى بالمال لفلّ رقبتة مستثمراً فرض الشريعة لعقد المكاتبه الذي ينقذ الإنسان من الرق (فكاتبوهم) هكذا بالأمر الواجب كما قال عمر وغيره.

(١) ينظر: كتاب "بقايا شمعة"، فهد عبد الله النفيسي، ص: ١٣٢.

لكن انظر إلى رقنا اليوم، إنا ندفع مالاً لنحتفي بالرق^(١).

٤- تذكر أهوال الآخرة: وهول الموقف هنا هول نفسي، نستشفه من الظلال النفسية التي يلقيها موقف هؤلاء الأحياء خاشعين ترهقهم ذلة يواجهون التبكيت والتوبيخ، ويطلب إليهم حيث لا يستطيعون ما كانوا يابونه قادرين^(٢)! فلقد خَوَّفَ اللهُ ﷻ عباده عندما ذكر يوم القيامة فقال ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرْوُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ - ٢] كما مدح عباده الأبرار وأخبرنا أنهم يتقربون إليه بأنواع القربات؛ طمعاً برحمته وخوفاً من عذابه. فقال ﷻ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُبِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٨ - ١١].

٥- الخوف من عدم قبول الأعمال وحبوطها: إن المؤمن يخاف من الرياء، فيستحضر النية المخلصة لله ﷻ وحده؛ لأنه لا يقبل من العمل إلا ما كان لوجهه تعالى.

فكم واحد منا من أهل التقوى كي يقبل عمله عليه أن يلتجئ إلى الله بإحسان العمل راجياً منه القبول. قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: "لَأَنَّ

(١) ينظر: القرآن وصناعة الانسان والحياة، د. فضل بن عبد الله مراد، ص: ٣١٣.

(٢) مشاهد القيامة في القرآن، لصاحب ظلال القرآن، ص: ٥٨-٥٩.

أَسْتَيْقِنَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَبَّلَ مِنِّي صَلَاةً وَاحِدَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] (١). وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِدَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاً وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦٠]. أي: وجلون مشفقة قلوبهم وكل ذلك من خشية ربهم، خوفاً أن يقع عليهم عدله، فلا يبقى لهم حسنة وسوء ظن بأنفسهم أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله ﷻ وخوفاً على إيمانهم من الزوال، ومعرفة منهم بربهم، وما يستحقه من الإجلال والإكرام وخوفهم وإشفاقهم، يوجب لهم الكفَّ عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب والتقصير في الواجبات. وهم الذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، ويتفكرون أيضاً في الآيات القرآنية ويتدبرونها، فيبين لهم من معاني القرآن وجلالته واتفاقه، وعدم اختلافه وتناقضه، وما يدعو إليه من معرفة الله ﷻ، وخوفه ورجائه، وأحوال الجزاء، فيحدث لهم بذلك من تفاصيل الإيمان، ما لا يعبر عنه اللسان. ولا يشركون شركاً جلياً كاتخاذ غير الله معبوداً ويدعونه ويرجونه. ولا شركاً خفياً كالرياء ونحوه، بل هم مخلصون لله ﷻ في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم. ويعطون من أنفسهم مما أمروا به، من كل ما يقدر على، من صلاة وزكاة، وحج وصدقة، وغير ذلك. ومع هذا قلوبهم خائفة عند عرض أعمالها

(١) تفسير ابن كثير: ١٦٦/٥.

عليه، والوقوف بين يديه أن تكون أعمالهم غير مُنجية من عذاب الله ﷻ لعلمهم برّهم، وما يستحقه من أصناف العبادات^(١).

تقول السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَارَسُولَ اللَّهِ أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُولَئِكَ يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهُونَ﴾^(٢). وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقال ﷺ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

والمؤمن يخاف أن يحبط عمله دون أن يشعر، كمن يكره أن يُحرّم الربا، ويكره أن يُحدّ الزاني، فيكره حدود الله. ولو استمر به الحال ولم يتب من ذلك توبة صادقة فقد حبط عمله. قال عزوجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مولى رسول الله ﷺ: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضَاءَ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٤٢١، ٤٢٢.

(٢) أخرجه الترمذي، في صحيحه، رقم: (٣١٧٥).

هَبَاءٌ مَنُثُورًا، أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا^(١).

أحزان قلبي لن تزول حتى أبشر بالقبول
وأرى كتابي باليمين وتقر عيني بالرسول
نيران قلبي في اشتعال من خوف ربي ذي الجلال
فارحم وسامح يا كريم واغفر ذنوباً كالجبال^(٢)

لذا ينبغي للمسلم الحذر من القيام بالأقوال، والأعمال والأحوال التي قد تؤدي به إلى حبوط أجر العبادة وصالح الأعمال، دون أن يشعر، فليكن يقظاً. كالابتداع في الدين، ومخالفة السنة، والعمل للدنيا والرياء وأكل الحرام، ولبس الحرام، واغتصاب الحقوق والغيبة، والجزع عند المصيبة^(٣).

(١) ينظر: سنن ابن ماجه، رقم: (٤٢٤٥)، وإسناده صحيح، وفي صحيح الجامع، رقم: (٥٠٢٨).

(٢) ديوان مروان حديد رحمه الله، ص: ١٣٨، تحقيق: محمد ناصر المزني

(٣) للتوسع ينظر: كتاب كفارات الخطايا وموجبات المغفرة، حامد إبراهيم أحمد؛ محمد حسين العقبي، ص: ١٤٢-١٤٨

الفصل الثاني

أنواع الخوف

إن المتدبر في كتاب الله ﷻ يجد أنَّ الخوف ينقسم حسب مشروعيته، إلى قسمين:

المبحث الأول: الخوف المشروع:

أولاً: الخوف الفطري: وهو حالة انفعالية تنسم بالقلق وعدم الراحة؛ بسبب الوجود قريباً من مصادر الخطر أو الشرور. والذي ينشأ عن استعداد فطري أوجده الخالق ﷻ في الإنسان؛ لحكمة تتعلق بصالح الكائن الحي^(١).

وهذا؛ الخوف موجود عند جميع البشر بمن فيهم الأنبياء، وهو ليس صفة ذم، أو نقص في العموم ما دامت تتناسب مع حجم المخوف، لذا فلا يُلام عليها الإنسان؛ لأنه مفطور عليه في الغالب^(٢).

ثانياً: الخوف المحمود: وهو الخوف الذي يرضاه الله ﷻ ورسوله ﷺ. ويشمل كل ما يحجز المرء عن محارم الله، ويردعه عن الانزلاق في مستنقع المعاصي، والآثام ويسوقه إلى التوبة النصوح كلما استزله الشيطان، أو أصابه رذاذ الغفلة والنسيان^(٣).

(١) ينظر: منهج السنة النبوية في التربية النفسية، د: حسين محمد حسين، ص: ١٤٨. بتصرف

(٢) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مجموعة من المختصين بإشراف، د. مصطفى مسلم محمد وآخرون: ١٤٦/١٤.

(٣) المرجع السابق: ١٤٦/١٤.

قال ابن القيم رحمه الله: "والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله تعالى، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط" ^(١).

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض، واجتناب المحارم فإنَّ تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً، أو موتاً أو همّاً لازماً، بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عزوجل لم يكن محموداً" ^(٢).

وهذا الخوف المحمود يشمل عدة أمور:

١- الخوف من الله تعالى: إن لله تعالى الأسماء الحسنى وأسماء حسنى أخرى فيها، كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وفي الحديث النبوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ^(٣). منها ما يدل على عبودية الخوف من الله تعالى وذلك بالنظر إلى هيئته وجلاله سبحانه

(١) ينظر: مدارج السالكين: ١/٥١٠.

(٢) التخويف من النار، ص: ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٢٧٣٦).

فيستمد المؤمن نصيبه بالدعاء بها مخلصاً بصدق وتسليم، كما في
الجدول الآتي:

أسماء حسنى من الأسماء الحسنى		الأسماء الحسنى		
الفاطر	رب	الواجد - الماجد	الخبير	الله
الناصر	الأمر - الناهي	القادر - المقتدر	العظيم	القدوس
النصير	الواعظ - المدرّك	المقدم - المؤخر	العلي - الكبير	المهيمن
أحكم الحاكمين	الفالق	الأول - الآخر	المقيت - الحسيب	العزیز
خير الماكرين	الشديد	الظاهر - الباطن	الجليل - الرقيب	الجبار
ذو العرش	المسيطر - الفعّال	الأعلى - المتعالي	المجيد	المتكبر
ذو المعارج	المتعال	البرّ	الباعث	القهار
	المدخل - المخرج	مالك الملك - ذو الجلال والإكرام	الشهيد - الحق	العليم
	الخالق	المنتقم	الوكيل - القوي	القابض
	الحاشر	المانع	الواحد	الحكيم
	القاهر	الضار	المحي - المميت	المعز - المذل
	القدير	الباقى	الحي - القيوم	السميع - البصير
	العالم - العلام	الوارث	المتين - المعيد	الخافض - الرافع

والخوف من الله تعالى هو مظهر من مظاهر تقديره، وتعظيمه ومعرفته، والعلم به. وهو مقرون بتعظيمه سبحانه وتعالى؛ لأنه يحمل العبد على تحري رضاه، وتجنب سخطه، ولولا هذا الخوف منه والخشية له، لاستباح كل مستبيح محارم الله تعالى^(١).

وقال ابن رجب رحمه الله: "إن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه، ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمتهم وكبريائهم ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه؛ ليتقوه بصالح الأعمال"^(٢). قال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^١ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. أرايت إذا جاءك التحذير، من حاكم من الحكام، أو من ذوي الواجهة والسلطة، أو ظالم من الظلمة، ألا تفكر تفكيراً جدياً في هذا التحذير؟ كيف تقي نفسك من غوائله؟ وتنجو بنفسك من تبعاته؟ فكيف إذا جاءك التحذير من ملك الملوك عز وجل؟ كيف إذا جاءك التحذير ممن يولي الملوك ملكهم، وينزع الملك منهم إذا شاء ويقبض أرواحهم، فيقلبهم كل واحد في حفرة بقدر طولته وعرضه وينزع منهم كل أسباب القوة، وكل مظاهر النعيم والترفع التي ظنوا أنهم لن ينفكوا عنها. فكيف بك إذا جاءك التحذير من الله عز وجل؟.

(١) ينظر: البرهان في شعب الإيمان، علي الشربجي، ص: ١٠٠.

(٢) التخويف من النار، ص: ٧-٨.

ينبغي أن نفكر تفكيراً عميقاً، ونقف وقفة طويلة أمام هذا التحذير
نفكر كيف ننجو بأنفسنا من آثاره، ونجنبها الوقوع في العذاب
الرهيب، والتهديد الرعب: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^١﴾. وقال
سبحانه: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]. وقال الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وقال رسول الله ﷺ: (والله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له
خشيةً)^(٢).

هذا؛ وإن من أعظم مواطن الامتحان، والابتلاء للإنسان بشيء
يحبّه ويهواه في الخلوات، فالله أخبر المؤمنين السابقين أنه سيلوهم
ويختبرهم بشيء مما يحبونه وهو الصيد، وهو حلال في أصله، لكنه
حرامٌ على المحرم بحج أو عمرة؛ ليعلم الله من يخافه بالغيب ممن لا
يخافه! قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ
تَفْعَلُونَ أَلَا يَنْهَايُكُمُ اللَّهُ أَنْ تُقْبِلُوا عَلَى مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ أَفَلَا
تَحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٤]. وقال ﷻ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ
وَمَتَاعُهُمْ لَكُمْ وَلِلْسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦].

(١) ينظر: زاد الدعاة، د. عبد المهيمن طحان: (١٤٩/١).

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٦١٠١)، عن عائشة أم المؤمنين ﷺ.

فهل ينجح في هذا الامتحان؛ إلا من راقب الله وخافه بالغيب؟! وهل يكون تحقيق صدق الخشية إلا في الخلوات؟! ولننظر ما الذي تناله أيدينا في زمن الانفتاح هذا. وما الذي نقدرُ على فعله في الخلوات، وما الذي تزينه لنا نفوسنا من الشهوات، ولا يرانا من البشر أحدٌ أبداً. ثم لنعرض أنفسنا على هذا الامتحان^(١)!

قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

أما الجهل بالله، وضعف المعرفة له، أو عدم العلم به، فهو الذي يفتح الباب واسعاً أمام الجهال، ليأمنوا جناب الله تعالى، ويتجرؤوا على معصيته، ومخالفته ويردُّوا ما أمر به، وينكروا ما جاء عنه^(٢).

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]. بينما العلم بالله، لن يصدر عنه إلا الخوف من الله، والخشية منه، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٥) مَنْ يُصِرَّ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ^(١٦) وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٥ - ١٦]. وقال ﷺ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

(١) ثلاثون مجلساً في التدبر، اللجنة العلمية في مركز تدبر، ص: ١٩.

(٢) البرهان في شعب الإيمان، ص: ٩٩.

قال مجاهد وإبراهيم النخعي رحمهما الله: "هو الرجل يهْمُ بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه" ^(١).

وقال صاحب الظلال رحمته الله: "الذي يخاف مقام ربه لا يقدم على المعصية فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري؛ قاده خوف هذا المقام الجليل إلى الندم والاستغفار والتوبة، فظل في هذه الدائرة. ونهي النفس عن الهوى، هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة. والخوف من الله جل ذكره، هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة. والله سبحانه وتعالى، كلّفه -[أي الإنسان]- أن ينهاها ويكبحها ويمسك بزمامها، وأن يستعين في هذا بالخوف من مقام ربه الجليل العظيم المهيّب" ^(٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غَيْظُهُ، وَمَنْ اتَّقَاهُ لَمْ يَصْنَعْ مَا يُرِيدُ، وَلَوْ لَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَا تَرَوْنَ". أي: إن التقى مُلْجَمٌ لا يتكلم بكل ما يريد. ومن أطاع لم يصنع إلا ما يريده منه ^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه وأدّوا فرائضه الجنة" ^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٤٨/٢٠.

(٢) في ظلال القرآن، ص: ٣٨١٨-٣٨١٩.

(٣) رسالة المسترشدين، ص: ٨٤.

(٤) التخويف من النار، ص: ٧، وموسوعة نضرة النعيم، (١٨٩٦).

وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما، أنه: إذا توضأ اصفر وتغيّر، فيقال: مالك؟ فيقول: "أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟" (١).

وقال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: "خَفَ مِنْ وُجُودِ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ وَدَوَامِ إِسَاءَتِكَ مَعَهُ، أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجاً لَكَ". قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

أي: خف -[أيها المؤمن]- من وجود إحسانه سبحانه عليك، مع دوام إساءتك معه بترك أوامره، أن يكون ذلك استدراجاً، أي: تدريجاً لك شيئاً فشيئاً، حتى يأخذك بغتة، فإن الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المؤمنين، كما أن عدم الخوف منه مع الدوام على الإساءة من صفات الكافرين. الذين يمدّهم الله بالنعم وينسيهم الشكر عليها، فإذا ركنوا إلى النعمة وحُجِبُوا عن المنعم أخذوا (٢).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "من خاف الله خَوَّفَ الله مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَوَّفَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" (٣).

(١) مختصر مہاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ص: ٣١٤، وموسوعة نضرة النعيم، (١٨٩٧).

(٢) شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، لعبد المجيد الشرنوبی، الحكمة، رقم: ٦٥، ص: ١٢٢.

(٣) موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، ص: ٢٧٦.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:^(١)

على قدر علم المرء يعظم خوفه فلا عالمٌ إلا من الله خائفٌ
وأمنٌ مكر الله بالله جاهلٌ وخائف مكر الله بالله عارفٌ

وقال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "الخوف من الله عاطفة تنبع من حسن معرفته تعالى، وكمال العلم به فهي ليست وجلاً مهماً لا يُدرى مأتاه أو نتائجه، بل الخوف شعور واضح بجلال الخلاق العليم، وما ينبغي إكناحه له من مهابة وإعظام"^(٢).

٢- الخوف من الدنيا ومشاعليها: لقد كان زهاد السلف وعُبادُهم أصحاب خوف وخشوع، وتعبُّد وقنوع، أي: قناعة^(٣).

فمن عرف أن الدنيا كالثلج يذوب، والآخرة كالدر يبقى، قويت رغبته في بيع هذه بهذه^(٤). وقد دلَّ على ذلك قوله ﷺ: ﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧]. وقوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]. وقال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

(١) مواعظ الإمام الشافعي، جمعها: صالح الشامي، ص: ٤٨-٤٩.

(٢) الجانب العاطفي من الإسلام، ص: ١٨٣-١٨٤.

(٣) الزهد والحكمة، للإمام شمس الدين الذهبي، بعناية: خليل محمد عوض الله العربي، ص: ٣٣.

(٤) قد أفلح من زكاها، د. حسن فوزي، ص: ٢٣٨.

ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه ﷺ، وصرفوا عنها قلوبهم، واطَّرحوها ولم يألُفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها وعدَّوها سجنًا لا جنة، فزهّدوا فيها^(١). قال رسول الله ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَصِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ)^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي! وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثُ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ أُعْطِيَ فَاقْتَتَى. وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ)^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا وَمَتَعْلَمًا)^(٥).

وعن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ ابْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، يَأْتِي بِجَزِيرَتَيْهَا فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، انصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ حِينَ

(١) ينظر: الفوائد، لابن القيم، ص: ١٣٧.

(٢) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٩٥٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٧٤٢).

(٤) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٩٥٩).

(٥) رواه الترمذي في الزهد: (٢٣٢٣)، صحيح الجامع، الألباني، رقم: (٣٤١٤).

رَاهِم، ثُمَّ قَالَ: أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟ قَالُوا: أَجَلُ يَارَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَبْشَرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ^(١).

وجاء في الحديث الشريف، (مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ)^(٢).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ)^(٣). قَالَ ابْنُ بَطَالٍ رضي الله عنه: "دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ الْبَلَاءِ عَلَى الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا: لِسَانُهُ وَفَرْجُهُ، فَمَنْ وُقِيَ شَرَهُمَا، وَفِيَ أَعْظَمَ الشَّرِّ"^(٤).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: "مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي دُنْيَاهُ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ مُكِرَ بِهِ، فَهُوَ مَخْدُوعٌ عَنْ عَقْلِهِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٣١٥٨).

(٢) ذكره الألباني في صحيح ابن ماجه: (٣٣٢٩)، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقال فؤاد عبد الباقي في "الزوائد"، إسناده: صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٦٤٧٤).

(٤) ينظر: حاشية رسالة المسترشدين، ص: ١٧٥.

وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥] ^(١). أي: نختبركم بالشدة والرخاء والحلال والحرام؛ لننظر كيف شكركم وصبركم ^(٢).
وقال أيضاً: "يا دنيا ألي تعرضت أم تشوّفت هيمات هيمات غُرِّي غيري، وقد بَتَّتْكَ -[طلقتك]- ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير، وخطرِك كبير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق" ^(٣).

وعن عون بن المُعْتَمِر، أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، قال لامرأته: "عندك درهم اشتر به عنباً؟ قالت: لا، قال: فعندك فلوس؟ قالت: لا، أنت أمير المؤمنين ولا تقدر على درهم؟ قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم" ^(٤)؟

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: "إياكم وما شغل من الدنيا! فإن الدنيا كثيرة الأشغال!! لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب" ^(٥)! وقال أيضاً: "فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذي لبّ فرحاً" ^(٦).

(١) ينظر: حاشية رسالة المسترشدين، ص: ٨٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٢/١٤.

(٣) موارد الظمان لدروس الزمان، لعبد العزيز المحمد السلطان: ٣٩٥/٢.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢٥٩/٥.

(٥) المرجع السابق: ١٥٣/٢.

(٦) تاريخ الإسلام، للذهبي: ١٠٢/٤.

وقال عبد الرحمن الأوزاعي رحمه الله: "سمعت بلال بن سعد يقول: والله لكفى به ذنباً، أن الله سبحانه وتعالى يُزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها" ^(١).

لذا يجب على المؤمن العمل لأجل الآخرة وإيثارها على الدنيا: هذا ولكن ليس المحذور أن تكون الدنيا في يدك ولكن المحذور أن تكون في قلبك، ولهذا نجد القرآن يركّز على قضية "إرادة الدنيا"، و"إرادة الآخرة" قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ^ط وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. ولننبه كذلك إلى الإعراض عن اتباع الشهوات: فقد ذم الله سبحانه وتعالى قوماً، فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]. وفي مقام آخر قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧-٢٨] ^(٢).

وليس معنى الإعراض عنها: رفضها بالكلية -[كما ذكرنا]-، فهذا ضدُّ الفطرة التي فطر الله الخلق عليها ولكن المراد هنا: ألا تكون شهوات الدُّنيا أكبر همّه ومبلغ علمه، فتسيّره الغرائز، وتستعبده شهوة

(١) سير أعلام النبلاء: ٩٢/٥.

(٢) قد أفلح من زكاها، ص: ٢٣٩ - ٢٤٠.

البطن، أو الفرج، أو شهوة الجاه والنفوذ، بحيث يسترسل في الاستجابة لداعي الغريزة وباعث الهوى، حتى يُمسيَ عبداً لها! فهذه العبودية، هي المذمومة ^(١). وإنه مما يُسلّي عن الدنيا، ومِهْوَن فراقها استبدال المعارف بمن تُنكره، فقد رأينا أغنياء كانوا يؤثرون، وفقراء كانوا يصبرون، ومحاسبين لأنفسهم يتورعون: فاستبدل السفهاء عن العقلاء، والبخلاء عن الكرماء. فيا سهولة الرحيل! لعل النفس تلقى من فقدت، فتلحق بمن أحبت ^(٢).

ورحم الله تعالى من قال ^(٣):

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطُنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفُنَا

وقال ابن القيم رحمه الله: "الدنيا كامرأة بغي لا تثبت مع زوج، وإنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها. والسير في طلبها سير في أرض مسبعة - [كثيرة السباع] - والسباحة فيها سباحة في غدير التمساح المفروح به منها هو عين المحزون عليه، آلامها متولدة من لذاتها وأحزانها من أفراحها".

(١) ينظر: الورع والزهد، د. يوسف القرضاوي، ص: ١١٨-١٢٤.

(٢) صيد الخاطر، ص: ٤٣٩.

(٣) البرهان في شعب الإيمان، ص: ٤٢٩.

مَارَبُ كَانَتْ فِي الشَّبَابِ لِأَهْلِهَا عَذَاباً فَصَارَتْ فِي الْمَشِيبِ عَذَاباً^(١)

واعلم أنه لو كان فيها خيرٌ لسمّاها الله عليا، ولم يُسمها دنيا.

٣- الخوف من عذاب الله ﷻ: هو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار، وضعف خوف العذاب؛ بسبب ضعف الإيمان والغفلة، وإزالة هذا الضعف إنما هو بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال القيامة، وأصناف العذاب في الآخرة وبالنظر إلى الخائفين مشاهدةً وإلا فبالسماع^(٢).

ولقد تعددت الآيات القرآنية التي تحذّر العباد من عذاب الله ﷻ سواء الدنيوي، أو الآخروي. قال الله ﷻ: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿[الإسراء: ٥٧]﴾. قال ابن كثير ﷻ: "أي ينبغي أن يُحذّر منه ويُخاف من وقوعه وحصوله، عياداً بالله منه"^(٣).

وقال تقدست أسماؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^ط وَإِن تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسٌ أَمْوَالُكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿[البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]﴾.

(١) ينظر: الفوائد: ص: ٦١.

(٢) تبين المحارم: ٢٥٥/٥ - ٢٥٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٨٩/٥.

ويتكرر التحذير، بقوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدْوِهِ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ف وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا^ف وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^ف وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٢٩-٣٠]. فماذا يعني تكرار التحذير مرة أخرى؟.

معناه: التأكيد أنه تحذير جاد، فينبغي أن يقف منه المؤمن موقف مؤكِّدٍ جادٍ كذلك، ويفكر فيه ملياً، ويجتهد ما وسعه الاجتهاد في أن يقي نفسه من عذاب الله تعالى وعقابه، فعذابه شديد مؤلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، لذلك فهو جزاء ينبغي أن يحذره العاقل، ويجتنبه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]^(١) كما قص علينا القرآن الكريم صوراً كثيرة من عذاب الله ﷻ الدنيوي للأمم السابقة، التي تمادت في الكفر والجحود والعناد حتى أهلكها الله بعذابه. قال جل ذكره: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ^ب فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ^ب الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ

(١) زاد الدعاة: (١٥٠/١).

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠]. أي: عاقبناه بجنايته وجريمته، بسبب إصرارهم على الكفر والفساد والطغيان^(١).

وفي سورة هود عليه السلام، قص علينا القرآن أخبار أقوام سابقين، جاءتهم رسلهم، فلم يؤمنوا، وعتوا عن أمر ربهم، فجاءهم العذاب، فما استطاعوا منه نجاة، ولا بلغوا منه مهرباً. قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

فالْمُؤْمِنُونَ حقاً يتفكرون في أحوال الأمم السابقة، ويتعظون بمصائبهم، فيبتعدون عن المعاصي التي تورثهم العذاب في الدنيا والآخرة، وعذاب الآخرة أشد وأبقى، وهو آتٍ لا ريب فيه. قال جل ذكره: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحَجْرِ -منازل ثمود قوم صالح-) قَالَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ثُمَّ قَنَعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَارَ الْوَادِيَّ^(٢).

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، لعبد الحميد محمود طه ماز: ٣٩١/٦.

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٤٤١٩).

أما العذاب الأخروي فقد وصفه الله ﷻ بأنه أشد وأبقى، قال جل ذكره: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٧]. أي: أفضع من المعيشة الضنك، وعذاب القبر أدوم وأثبت؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي ^(١).

وقال ﷻ: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣٧]. وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]. وقال الله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَنِينَ ۝ (١٣٣) وَجَعَلَتْ وَعْيُونَ ۝ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣١-١٣٥]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ﴾ [هود: ١٠٣].

قال ابن عطاء الله السكندري ﷻ: "لا يُخْرِجُ الشَّهْوَةَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَّا خَوْفُ مُزْعَجٍ، أَوْ شَوْقٌ مُّقْلِقٌ".

أي: لا يكون سبباً في إخراج الشهوة المتمكنة من القلب إلا خوف من الله مزعج، يَرُدُّ على القلب من شهود صفات الجلال، ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعدَّ للعصاة من العذاب الأليم، أو شوق إلى الله مقلق يَرُدُّ على القلب من شهود صفات الجمال

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٥٩/١٤.

ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعد للطائعين من النعيم المقيم^(١).

- خوف الشيطان من عذاب الله وعقابه!!

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ أَيُّوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]. ظهر الشيطان في معركة بدر أمام كفار قريش بصورة سراقاة بن مالك سيد قبيلة كنانة وأنه سينصرهم ويبشرهم بالغلبة. وكانت النتيجة للمسلمين ضد المشركين فخاب فال الشيطان فقال لهم ما ذكره الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ وموجز كلام المفسرين في هذا هو القول عند قوله: إني أخاف الله كأنه كَلَّمَ نفسه، والمقصود أخاف الله أن يهلكني أو يعذبني أو يكون اليوم الذي وَعَدَنِي فيه للهلاك هو هذا اليوم وذلك عندما سألتُهُ، إذ رفضت السجود لآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿الحجر: ٣٦-٣٨﴾. وهو الموقف نفسه الذي ذكره في آية أخرى من سورة الحشر، قال تعالى: ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦ فَكَانَ عَقِبَهُمَا

(١) ينظر: شرح حكم ابن عطاء، الحكمة رقم: ٢٠٢، ص: ٢٠٢.

أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا^١ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿[الحشر: ١٦-١٧].
فإبليس اللعين لا يخاف الله حقيقة وإنما هذا من كذبه والمراد بها
تعذيبه^(١).

على أن الشيطان كان يهاب مهابة عظيمة من عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ، مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ
فَجِّكَ)^(٢). قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: "الشَّيْطَانُ إِنَّمَا
يَسْتَطِيلُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِهَوَاهُ، وَعُمَرُ قَمَعَ هَوَاهُ"^(٣). فكيد الشيطان
ضعيف أمام المؤمن القوي. وكل ذلك بإذن الله تعالى.

ومن قضاء الله كذلك قصة الصديقة مريم وابنها عيسى عليهما
السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: (ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه، حين يولد فيستهل
صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها عليهما السلام)^(٤). وقد

(١) ينظر فيما نقلناه: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (٤٩٢/١٥)، وتفسير البيضاوي:
(٢٠١/٥)، والجامع لأحكام القرآن: (٢٧/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٣٢٩٤)، ومسلم في صحيحه، رقم: (٢٣٩٦).

(٣) منهاج السنة النبوية: (٥٥/٦).

(٤) رواه البخاري في أحاديث الأبناء: (٢٨٠/٧)، (٤٢٧٤)، ولفظ مقارب عند مسلم،
رقم: (٢٣٦٦).

كان من سبب ذلك دعوة امرأة عمران في حفظ مريم وابنها عليهما السلام من الشيطان^(١).

٤- الخوف من النار: إن الخوف منها في الحقيقة خوف من الله تعالى، وإجلال وإعظام وخشية لصفاته. مع أن الله سبحانه يخوف بها عباده ويحب منهم أن يخافوه بخوفها، وأن يخشوه بخشية الوقوع فيها، وأن يحذروه بالحدز منها، فالخائف من النار خائف من الله متبع لما فيه محبته ورضاه^(٢).

قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ^ص وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ ﴿[آل عمران: ١٩١ - ١٩٢]. وقال ﷺ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿[الفرقان: ٦٣ - ٦٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٦٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٧]. قال إبراهيم التيمي^{رحمه الله}:

(١) الجواهر واللائل المصنوعة في تفسير القرآن العظيم، عبد الله بن عبد القادر

التليدي، ص: ١٥٨.

(٢) التخويف من النار، ص: ٢٨.

"ينبغي لمن لم يحزن، خوفه أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿[فاطر: ٣٤] وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]"^(١).

وقال تعالى: ﴿تَلَفَحَ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ قال: (تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة)^(٢).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ -[هي معقد الإزار والسراويل]-، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتِهِ. وفي رواية: بهذا الإسناد، وَجَعَلَ، مَكَانَ حُجْرَتِهِ، حِقْوَيْهِ)^(٣).

(١) التخويف من النار، ص: ٢١.

(٢) أخرجه الترمذي في "السنن"، أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، (٥٦/١٠)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، والإمام أحمد في المسند، (٨٨/٣)، والحاكم في المستدرک، (٢٤٦/٢) (٣٩٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٨٤٥).

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما رأيتُ مثلَ النَّارِ نامَ هارِئُها ولا مثلَ الجَنَّةِ نامَ طالِئُها) ^(١).

قال المناوي رحمته الله: "يعني النار شديدة، والخائفون منها نائمون غافلون وليس هذا طريق الهارب، بل طريقه أن يهرول من المعاصي إلى الطاعات. وفيه معنى التعجب، أي ما أعجب حال النار الموصوفة بشدة الأهوال، وحال الهارب منها مع نومه وشدة غفلته والاسترسال في سكرته" ^(٢)!

ولقد كان النبي ﷺ كثيراً ما يستعيز من النار ويأمر بذلك في الصلاة وغيرها. فعن أنس رضي الله عنه، قال: (كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]) ^(٣).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: (أَنَّ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَتْهُ خَشْيَةُ اللَّهِ، فَكَانَ يَبْكِي عِنْدَ ذِكْرِ النَّارِ حَتَّى حَبَسَهُ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ فِي الْبَيْتِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ اعْتَنَقَهُ النَّبِيُّ وَخَرَّ مَيِّتًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ فَإِنَّ الْفَرَقَ -أي: الخوف- فَلَذَ كِبِدَهُ) ^(٤).

(١) أخرجه الطبراني، في المعجم الأوسط، رقم: (١٦٣٨)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": (٢٣٣/١٠)، حسن.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: (٤٤٦/٥).

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٤٥٢٢).

(٤) الترغيب والترهيب: (٢١٠/٤)، إسناده صحيح، كما قال الحاكم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: أُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْطَعُ) ^(١).

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمع رجلاً يتعبد في الليل، ويقرأ سورة الطور فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۖ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧-٨] قال عمر رضي الله عنه: قَسَمْتُ وَرَبَّ الكَعْبَةِ حَقًّا، ثُمَّ رَجَعُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَمَرَضَ شَهْرًا يَعُودُهُ النَّاسُ لَا يَدْرُونَ مَا مَرَضُهُ ^(٢).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ وَلَا تَسْكُنُ رُوعَتُهُ حَتَّى يُخَلِّفَ جَسْرَ جَهَنَّمَ وَرَاءَهُ" ^(٣). وقال ابن القيم رحمه الله: "من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومن خلقه الله للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات" ^(٤).

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: "مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة". أي لأن خوفه منه يحمله على الشح بما معه على نفسه وعياله، والإخلال بواجب المال. فلو خاف النار كما يخاف الفقر لهرب من أسبابها إلى أسباب الجنة ^(٥).

وقال الجوزجاني في "كتاب النواحين": "حدثنا صاحب لنا عن جعفر بن سليمان عن لقمان الحنفي قال: أتى رسول الله ﷺ على

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٤٣١).

(٢) التخويف من النار، ص: ٤١.

(٣) الرسالة القشيرية، ص: ١٢٧.

(٤) الفوائد، ص: ٣٢، وحاشية رسالة المسترشدين، ص: ٨٦.

(٥) فتح الباري: (٥٠٨/٥)، وهداية المرشدين، ص: ٢٢١-٢٢٢.

شاب ينادي في جوف الليل: واغوثاه من النار، فلما أصبح قال: يا شاب لقد أبكيت البارحة أعين ملأ من الملائكة كثير" (١).

وقال يزيد بن حوشب رضي الله عنه: "ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، كأن النار لم تخلق إلا لهما".

وقال أبو نوح الأنصاري رضي الله عنه: "وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين رضي الله عنه وهو ساجد، فجعلوا ينادونه: يا ابن رسول الله؛ النار فما رفع رأسه حتى أطفئت ف قيل: ما الذي ألهاك عنها، قال: النار الأخرى".

وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه، وقيل له: لو كانت النار خلقت لك ما زدت على هذا، فقال: "وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي، ولإخواننا من الجن والأنس، أما تقرأ قول الله جل ذكره: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] أما تقرأ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]. فقرأ حتى بلغ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَيَبْنَ حَمِيمٌ ءَانِ﴾ [الرحمن: ٤٤] وجعل يجول في الدار ويصرخ ويبكي حتى غشي عليه" (٢).

وروي عن سفيان الثوري رضي الله عنه: "أنه ما كان ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي: النار النار شغلني ذكر النار عن النوم

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي: ١١٣/٤.

(٢) التخويف من النار، ص: ٣١-٣٤ بتصرف.

والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلّم، وما أطلب إلا فكاك رقبتني من النار" (١).

وكان نساء السلف يوصين أزواجهن إذا خرجوا للسعي والكسب فيقولن لهم: اتقوا الله فينا ولا تطعمونا الكسب الحرام، فإننا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار (٢).

وقال بعضهم:

لو أبصرت عيناك أهل الشقا سيقوا إلى النار وقد أحرقوا
يصلونها حين عصوا وخالفوا الرسل وما صدقوا
تقول أخراهم لأولاهم في لجج المهل وقد أغرقوا
قد كنتم حذرتهم لكن من النيران لم تفرقوا (٣)

واعلم: أنه مسكين من ركب رأسه في هذه الدنيا واستخف بأمر ربه فكفر به، وأعرض عنه، مسكين يوم يُلقى في نار جهنم، فيدعو بالويل والثبور، وعظائم الأمور، قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيلَتِي أَنَحَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ۚ﴾ (٢٧) ﴿يَوَيْلَ لِي لِمَ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ۚ﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] (٤).

(١) ينظر: التخويف من النار، ص: ٣٨.

(٢) حاشية رسالة المسترشدين، ص: ٢١٦.

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي: ١٧٦/٤ - ١٧٧.

(٤) البرهان في شعب الإيمان، ص: ٨٩.

واعلم أن نار الآخرة غير نار الدنيا التي نحن فيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ قَالَ: فَضَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُمْ مِثْلُ حَرِّهَا) ^(١). قال تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ ^(٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ ^(٤) كَلَّا لَوِ تَعْمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ^(٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ^(٦) ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ^(٧) ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿[التكاثر: ٣-٨]. وخوف العقاب ليس مقصوداً لذاته، إنما هو سوط يُسَاق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه. قال سفيان بن عيينة: "خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا" ^(٢). والمقصود الأصلي هو طاعة الله عز وجل وفعل مرضيه ومحوباته وترك مناهيه ومكروهاته.

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: "إن المؤمنين قوم ذلّت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسيهم الجاهل مرضى وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه -جل وعلا- يقول: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿[فاطر: ٣٤]. والله لقد كابدوا في الدنيا حزناً شديداً وجرى عليهم ما جرى على من كان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٣٢٦٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢٧٥/٧).

قبلهم، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم
الخوف من النار^(١).

٥- الخوف من سوء الخاتمة: وهو أرقى وأعلى درجات الخوف
بعد الخوف من الله تعالى، فالإنسان يُحشَر يوم القيامة على ما
مات عليه، والأمور بخواتيمها كما ورد في الحديث، قال ﷺ: (يُبْعَثُ
كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ)^(٢).

وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ: (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ
غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ
فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا
فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ، حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَجَعَلَ ذُبَابَةً سَيْفِهِ بَيْنَ
تَدْيِيهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مُسْرِعًا
فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ لِفُلَانٍ: مَنْ
أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا
غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا جُرِحَ
اسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّ الْعَبْدَ
لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ الْجَنَّةِ

(١) التخويف من النار، ص: ٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٨٧٨)، عن جابر بن عبد الله ﷺ.

وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ^(١). فالاحتياط في حُسن الخاتمة ومراعاتها، مطلوب حتى عند العلماء الأخيار الأبرار.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "ما أحدٌ أَمِنَ من أن يسلب إيمانه إلا سُلِبَهِ"^(٢).

فقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رضي الله عنه: "لما حضر أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقه لأشد بها لحبيبه، فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ثم يقول بيده هكذا، لا بَعْدُ، لا بَعْدُ، لا بَعْدُ، ثلاث مرات، ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبة، أي شيء هذا؟ قد لهجت به في هذا الوقت، تغرق حتى نقول قد قضيت، ثم تعود فتقول: لا بَعْدُ، لا بَعْدُ، فقال لي: يا بُني ما تدري؟ فقلت: لا. فقال: إبليس لعنه الله. قائم بِجِذَائِي عاضٌّ على أنامله يقول لي يا أحمد فُتْنِي، -مت على اليهودية، مت على النصرانية]- وأنا أقول له: لا بَعْدُ، حتى أموت"^(٣).

وقال أبو طالب المكي رحمته الله: "وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقاً بخوف الخاتمة، لا يسكن إلى علم ولا عمل، ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت، ولا لسبب من أعماله وإن جَلَّتْ، لعدم علمه بتحقيق الخواتم، فقد قيل: إِنَّمَا يوزن من الأعمال خواتمها"^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٦٦٠٧).

(٢) ينظر: قوت القلوب: ٩٣/٣.

(٣) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص: ٤٠٨.

(٤) قوت القلوب: ٣٧٨/١.

واعلم أن أكثر ما يُخاف منه، سوء الخاتمة -والعياذ بالله تعالى- بسبب إطفاء جمرة الإيمان بسواد العصيان، وهي الذنب على الذنب حتى يسود القلب من غير توبة^(١). وتحسن الإشارة إلى ذكر علامات حسن الخاتمة، وكذلك أسباب سوء الخاتمة.

- علامات حُسن الخاتمة، فلعلها تبدو فيما يأتي:

- ١- النطق بالشهادة عند الموت.
- ٢- الموت برشح الجبين.
- ٣- الاستشهاد في ساحات القتال، إذا قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.
- ٤- الموت في سبيل الدفاع عن الدين، أو النفس، أو المال.
- ٥- الموت بالطاعون، أو داء البطن، أو الغرق والهَدم.
- ٦- موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها.
- ٧- الموت على عمل صالح.
- ٨- التوبة النصوح قبل الموت.
- ٩- ثناء الناس عليه بالشهادة له بالخير والصلاح والتقوى. حتى لو كان اثنان.

- بعض النماذج من حسن الخاتمة عند الاحتضار: وما نذكره على سبيل المثال لا الحصر، للعظة والعبرة.

(١) تاج العروس، ص: ٢١.

- سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، مع العلم أنه من المفروغ منه أنه هو سيد أهل الجنة لكن نورد المثال الذي ذكره العلماء إكراماً لذكره صلى الله عليه وسلم. (لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَاكْرَبْ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: (لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ). فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دَفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أَنْسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ) (١).

الصادق أبو بكر رضي الله عنه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمَّا حُضِرَ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ كَلِمَةً مِنْ قَوْلِ حَاتِمٍ:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَقْرِ إِذَا حَشَرَجْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فَقَالَ: لَا تَقُولِي هَكَذَا يَا بُنَيَّةَ وَلَكِنْ قُولِي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرُؤُا لَمْوَتٍ بِالْحَقِّ
ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: ١٩]، انْظُرُوا مُلَاءَتِي هَاتَيْنِ فَإِذَا مِتَّ
فَاغْسِلُوهُمَا وَكفّنُوْنِي فِيهِمَا فَإِنَّ الْعِيَّ أَخُوجَ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ (٢).

(١) رواه البخاري، رقم: (٤١٩٣).

(٢) طبقات ابن سعد: (١٩٧/٣)، وأحوال الأبرار عند الاحتضار، للشيخ خلدون عبد العزيز مخلوطة، ص: ٧٣.

أبو جعفر المنصور، روي أنه لما احتضر قال: "اللهم إني قد ارتكبت عظاماً، جُرأةً مني عليك، وقد أطعْتُك في أحب الأشياء إليك، شهادة أن لا إله إلا الله، منّاً منك، لا منّاً عليك ثم مات" (١).

- وأما أسباب سوء الخاتمة، فهي:

١- فساد الاعتقاد.

٢- الإصرار على المعاصي.

٣- العدول عن الاستقامة.

٤- ضعف الإيمان.

- بعض من نماذج سوء الخاتمة عند الاحتضار، روي أنه: "قيل لرجل في البصرة: يا فلان قل "لا إله إلا الله" فجعل يقول:

يَا رَبُّ قَائِلَةً يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامٍ مُنْجَبٍ

قال أبو بكر: هذا رجل استدلتته امرأة إلى الحمام، فدلها إلى منزله فقال له عند الموت (٢). وهذا البيت له قصة ذكرها القرطبي نقلاً عن أبي محمد عبد الحق الإشبيلي في كتاب "العافية". وأورد ابن خلكان في كتاب "وفيات الأعيان": عن أحدهم عندما حضرته سكرات الموت، وكان بجانب بيته مكان يجتمع فيه رجال من أهل العلم والذكر، فجاءت زوجته إليهم، وطلبت منهم أن يحضروا موتة زوجها ويلقنوه، فلما حضروا إليه، جلس أحدهم بجانب رأسه وقال له:

(١) سير أعلام النبلاء: (٨٧/٧).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي: (٢٤٦/٥)، (٦٥٤١).

قل: "لا إله إلا الله"، فحول رأسه إلى الجدار وقال: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ثم مات^(١). ونقل الإمام الغزالي الحديث الذي ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ)^(٢). وعقب ذاكراً "ما نُقِلَ عَنْ بَقَالِ أَنَّهُ كَانَ يُلَقَّنُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَلِمَتِي الشَّهَادَةِ، فيقول: خمسة ستة أربعة"^(٣). ويروي الشيخ علي القرني في شريط "الايمان والحياة"، فيقول: وهذا شاب في سكرات الموت يقولون له: قل: "لا إله إلا الله" فيقول: أعطوني دخاناً، وفي المرة الثالثة فيقول: أنا بريٌّ منها، أعطوني دخاناً^(٤).

وإن الشواهد والنصوص -[علامات حسن الخاتمة وسوءها]- من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عديدة في ذلك^(٥).

وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أن سوء الخاتمة على رتبتين: إحداهما أعظم من الأخرى: وهي: أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله، إما الشك وإما الجحود، فتقبض الروح على تلك الحالة، فتكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً. وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

(١) ينظر: وفيات الاعيان: (٢٠٧/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٨٧٨)، وقد سبق ذكره.

(٣) إحياء علوم الدين: (٤٦٩/١١)، وأحوال الأبرار عند الاحتضار، ص: ٦٠.

(٤) إضاءات على حسن وسوء الخاتمة، محمد عواد العواد، ص: ١٧٧.

(٥) للتوسع ينظر: كتاب الأعمال بالخواص، ص: ٣٠-٤٧.

والرتبة الثانية: هي: أن يغلب على القلب عند الموت حب أمر من أمور الدنيا، فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى متسع لغيره والأمر مُخْطَر؛ لأن المرء يموت على ما عاش عليه وعند ذلك تعظم الحسرة^(١).

٦- الخوف من الموت: وهو ذلك الشعور الذي ينتاب الإنسان دائماً فالطفل منذ صغره يخاف من الموت بطبعه، والطبيعة البشرية فينا تخاف من هجران الحياة وفراق الأهل والأولاد والأقارب والأحباب. فلا بد للمسلم، أن يخاف من الموت حتى يعمل الصالحات، ويتجنب فعل المنكرات، إذ إنه لا عمل بعد الموت، إنما هو حساب وجزاء، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)^(٢).

والمسلم إنما يخاف من الموت لأنه يخشى أن يكون مُقْصَرًّا في عمله وأن يكون من أهل النار والعياذ بالله، فلا بد أن يُفَكِّر الإنسان ويرجو رحمة الله تعالى ولطفه، فهو أرحم الراحمين، رحمتنا ورزقنا في هذه الدنيا، وهو القادر على رحمتنا ورزقنا في حياتنا بعد الموت.

(١) إحياء علوم الدين: ٢٧٦٢-٢٧٦٣، تبين المحارم: ٤٦/٢-٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (١٦٣١).

ولا شك أن الموت مصيبة يحصل بها انقطاع المؤمن عن المزيد من العمل الصالح. قال الله تعالى: ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]. والإنسان بطبعه يخاف من المصيبة. وأينما يكون يدركه الموت وحيثما فرّ منه فإنه سيجده تلقاء وجهه. قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨]. ولعل التأمل في سورة [ق] يعطينا خوفاً من الموت ومن المصير الذي بعده من أجل أن نعمل بالطاعة. وكل مسلم يعلم أن الموت قنطرة لما بعده من الحساب الشديد في البرزخ والمحشر، لمن عصى الله تعالى. وقال ﷺ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. وعن عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة أو غلبة فيها ماء؛ فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات! ثم نصب يديه فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده)^(١).

واعلم: أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب، ولا هول سوى الموت، لكان جديراً أن ينغص عليه عيشه، ويتكدر عليه سروره وتطول فيه فكرته. والعجب أن هذا الإنسان لو كان في أعظم اللذات، فانتظر أن يدخل عليه جندي يضربه خمس ضربات

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٦٥١٠).

لكدرت عليه عيشه ولذته، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع، والحال أنه غافل عن ذكر ذلك، وليس لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

واعلم: أن الموت أشد من ضرب السيف، وإنما يصيح المضروب ويستغيث لبقاء قوته، وأما الميت عند موته، فإنه ينقطع صوته من شدة ألمه، لأن الكرب قد بلغ فيه، وغلب على قلبه وعلى كل موضع منه، وضعفت كل جارحة فيه، فلم يبق فيه قوة لاستغاثة، ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح. حيث تُجذب الروح من جميع العروق، ويموت كل عضو من أعضائه تدريجاً، فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه، ثم فخذاه، حتى تبلغ الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره إلى الدنيا وأهلها، ويغلق دونه باب التوبة^(١)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقبل التوبة من العبد ما لم يغرر)^(٢).

هذا وقد ورد في الخبر أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام: أما لك رسول تقدمه بين يديك، ليكون الناس على حذر منك؟ قال: نعم، والله لي رسل كثيرة من الإللال والأمراض والشيب والهموم، وتغير السمع والبصر.

فما من يوم تطلع فيه شمس ولا تغرب إلا وملك الموت ينادي: يا أبناء الأربعين، هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص: ٣٨٧.

(٢) أخرجه الترمذي، في صحيحه، رقم: (٣٥٣٧)، وقال: حديث حسن، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قوية شداد.. يا أبناء الخمسين، قد دنا وقت الأخذ والحصاد! يا أبناء الستين، نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب^(١). فلنتعظ ولنعد لهذا الأمر الجلل.

وكما أشرنا سابقاً أن الخوف من الموت أمر طبعي في الإنسان، وقد عرفنا في بلد اسمه -[بوتان، مجاورة للهند أهله غير مسلمين إلا أسرة واحدة]- يجلس أهله في سكون خمس دقائق يومياً؛ لتذكر الموت.

٧- الخوف من القول في معنى كلام الله جل وعلا والفتوى بغير

علم:

أ- الخوف من القول بتفسير كلام الله جل وعلا بما لا نعلم: فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي المذموم والهوى فحرام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار)^(٢). ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. وروي أن ابن عباس رضي الله عنهما، سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها.

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، ص: ١٩٩-٢٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي، "سنن الترمذي"، رقم: (٢٩٥١)، وقال: حديث حسن.

وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: "إنا لا نقول في القرآن شيئاً". فكان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وعن عبد الله بن عمر قال: "لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع". فكانوا يتقون التفسير ويهابونه. وقال الشعبي: "والله ما من آية إلا وقد سئلت عنها ولكنها الرواية عن الله. واتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله" (١).

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحريجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه (٢)، لقوله تعالى: ﴿لَتَبَيَّنَنَّ لِلنَّاسِ لَوْلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيام بلجام من نار) (٣).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١٦/١-١٤).

(٢) المرجع السابق: (١٦/١).

(٣) أخرجه أبو داود في صحيحه، رقم: (٣٦٥٨)، وقال: حسن صحيح، والترمذي، رقم:

(٢٦٤٩).

فالرأي المحمود لصاحب العلم بالتفسير مقبول وجائز. والرأي المذموم ممن لا يعلم حقيقة التفسير غير جائز، كبعض الذين يظهرون في زماننا مشافهة أو عبر الفضائيات يفسرون القرآن استنادا لقضايا تجريبية وهذا لا يجوز، مثل محمد شحرور ومنصور الكيالي، وغيرهما

ب- الخوف من الفتوى بغير علم: إن الفتوى مكانها عند الله عظيم تولاهما الله سبحانه بنفسه، قال ﷺ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٧]. وقال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] وتولاهما رسول الله ﷺ فكان المسلمون يسألونه ويفتيهم، وتولاهما خلفاؤه رضي الله عنهم من بعده ^(١).

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: "أدركت عشرين ومئة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة فيردّها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول" ^(٢).

وذكر الشعبي عن علي رضي الله عنه، أنه خرج عليهم وهو يقول: "ما أبردها على الكبد، ما أبردها على الكبد، فقليل له: وما ذاك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم" ^(٣).

(١) ينظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، د. محمد الزحيلي، ص: ٣٩٣.

(٢) آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، النووي، ص: ٣.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ص: ٤١٩ - ٤٢٠.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعاً يَنْتَرِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جَهْلَاءَ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) ^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ رَجُلٌ يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ مُصَوِّرٌ يُصَوِّرُ التَّمَاثِيلَ) ^(٢).

وفي حديث مسلم بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: (مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَّبِعُوا بَيْتاً فِي جَهَنَّمَ، وَمَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ، وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ) ^(٣).

وجاء في الخبر: (أَجْرُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرُكُمْ عَلَى النَّارِ) ^(٤). يقول المناوي: "أَجْرُكُمْ" يعني أقدمكم، يعني أسرعكم إقداماً على إجابة السائل عن حكم شرعي من غير تثبت وتدبر، والإفتاء بيان حكم المسألة. "أَجْرُكُمْ عَلَى النَّارِ" أقدمكم على دخولها؛ لأن المفتي مبين عن الله ﷻ حكمه، فإذا أفتى على جهل، أو بغير علم أو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (١٠٠).

(٢) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير: (٢١١/١٠)، صحيح الجامع، رقم: (١٠٠٠)، وقال: حديث حسن.

(٣) ينظر: السنن الكبرى، للإمام البيهقي: ١٠/١٩٩، رقم: (٢٠٣٥٣).

(٤) أخرجه الدارمي، رقم: (١٥٧)، وقال: حديث مرسل، عن عبد الله بن أبي جعفر رضي الله عنه.

بغير ما علمه، أو تهاون في تحريره، أو استنباطه فقد تسبب في إدخال نفسه النار؛ لجراته على المجازفة في أحكام الجبار. ﴿قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]. هذه فرية على الله جل ذكره^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "قد حرّم الله سبحانه وتعالى القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها. فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بالفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه، وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه. ثم رابع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو: القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي دينه وشرعه، قال عليه السلام: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ١١٦ ﴿مَتَّعْ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]. فشدد عليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه؛ في أحكامه وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام، ولما لم يحله هذا

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ١٩٥/١

حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام، إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه. وقال بعض السلف: ليتق أحدكم أن يقول: أحل الله كذا وحرّم كذا، فيقول الله ﷻ له: كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا" (١).

وسئل الإمام الشعبي عن مسألة فقال: "لا أدري، فقل: ألا تستحي من قولك: لا أدري، وأنت فقيه أهل العراق؟ قال: لكن الملائكة لم تستح حين قالت: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]" (٢). وقال أيضاً: "لا أدري نصف العلم" (٣). وروي أن رجلاً قال للإمام الشعبي رحمه الله: "أيها العالم. فقال: لسنا بعلماء؛ إنّما العالم من يخشى الله" (٤).

وقد كانت فرقة من العلماء الورعين والصالحين غالباً ما يقولون لا ندري. فسميت فرقة اللا أدريّة.

(١) ينظر: إعلام الموقعين: ٧٣/٢ - ٧٤.

(٢) المرجع السابق: ١٦٧/٤ - ١٦٨.

(٣) معالم السنة النبوية، جمعه: صالح أحمد الشامي، كتاب العلم، باب من العلم قول: لا أعلم، رقم: ١٧٣/٣٤٧.

(٤) إبطال الحيل، ص: ٣٣.

وقد أفلح من كان كما جاء عن "أَبُو الذِّيَالِ" ^(١): "تَعَلَّمْ "لَا أَذْرِي"،
فَإِنَّكَ إِنِ قُلْتَ "لَا أَذْرِي"؛ عَلَّمُوكَ حَتَّى تَدْرِي، وَإِنْ قُلْتَ "أَذْرِي"؛
سَأَلُوكَ حَتَّى لَا تَدْرِي" ^(٢).

هذا ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجراً ممن نطق؛
لأن الاعتراف بالجهل أشدّ على النفس. فكهذا كانت عادة الصحابة
والسلف عليهم السلام. فكان ابن عمر عليهما السلام، إذا سُئِلَ عن الفتيا قال: اذهب
إلى هذا الأمير الذي تقلّد أمور الناس فضعها في عنقه. وكان يُسألُ
عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع. وكان ابن
عباس عليهما السلام، يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة. ولذلك قال العلماء:
شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس عليهما السلام.

وقال بعضهم: "كان الصحابة عليهم السلام، يتدافعون أربعة أشياء:
الإمامة والوصية والوديعة والفتيا". فكان أنس رضي الله عنه، إذا سئل يقول:
سلوا مولانا الحسن، وكان ابن عباس عليهما السلام، إذا سئل يقول: سلوا
حارثة بن زيد، وكان ابن عمر عليهما السلام، يقول: سلوا سعيد بن المسيب.

(١) زهير بن هنيد، أبو الذيال العدوي. بصري مقل، عن: أبي نعامه عمرو بن عيسى
العدوي، ومحمد بن عبد الله الشعيثي، وعنه: محمد بن عقبة السدوسي، وعبيد
الله بن عمر القواريري، وإسحاق بن أبي إسرائيل. محله الصدق إن شاء الله تعالى.
ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، شمس الدين الذهبي: (١٢٧/١١).

(٢) أخرجه ابن عبد البرّ في (جامع بيان العلم وفضله) رقم: ١٥٨٩، وابن الجوزي في
(تعظيم الفتيا) رقم: ٣٢، وذكره ابن القيم في (إعلام الموقعين): ١٣٤/٦.

وقال أبو حفص النيسابوري رحمه الله: "العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة: من أين أجبت؟" وكان إبراهيم بن أدهم إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول: لم تجدوا غيري حتى احتجتم إليَّ ^(١).

وقال النووي رحمه الله: "قال الشعبي والحسن: إن أحدكم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لجمع لها أهل بدر" ^(٢). وعن الهيثم بن جميل رحمه الله: "شهدتُ مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: "لا أدري".

وعن مالك رحمه الله أيضاً: أنه ربما كان يُسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها، وكان يقول: "من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب".

وقال أبو حنيفة رحمه الله: "لولا الفَرْقُ -[الخوف]- من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيتُ، يكون لهم المَهْنَأُ وعليَّ الوزر" ^(٣). وحُكي عن سعيد بن المسيب رحمه الله، "أنه كان لا يكاد يفتي ولا يقول شيئاً، إلا قال: اللهم سلِّمني، وسلم مني" ^(٤)!

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، ط: دار ابن حزم: ٨٣/١، ٨٥، بتصرف.

(٢) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، د. محمد مصطفى الزحيلي، ص: ٣٩٣.

(٣) أدب المفتي والمستفتي، للنووي، ص: ٣.

(٤) الفتوى بين الانضباط والتسيب، د. يوسف القرضاوي، ص: ١٦.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "إنَّ من العلم أن يقول الذي لا يعلم: الله أعلم" ^(١). وقال أيضاً: "إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون، وقال: "جنة العالم "لا أدري"، فإن أخطأها فقد أصيبت مقاتله" ^(٢).

وأما في وقتنا الحاضر فلقد انتشرت ظاهرة فتاوى الفضائيات وعلى الهواء مباشرة، وما تحمله من خطورة وآثار كثيرة. فهي تعرض فيسمعها الملايين من البشر على اختلاف علمهم وثقافتهم. كما أن المفتي فيها، يُفتي في كل شيء، وفي كل ما يُسأل عنه، وبشكل مباشر دون تَرْوٍ أو تفكير، وهذا من الجرأة على الفتوى. والأصل فيها دراستها بتأنٍ فيرجع فيها إلى المصادر والمراجع بضوابطهما المعروفة ويستشير أهل العلم والخبرة والدراية. بينما نرى بعضهم يفتي بغير علم؛ حذراً من الذم بالجهل.

فينبغي على العالم أن لا يكون مسارعاً إلى الفتيا بل يكون متوقفاً ومحترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً، فإن سُئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله، أو بنص حديث، أو إجماع، أو قياس معتبر أفتى وإن سُئل عما يشك فيه، قال: "لا أدري"، وإن شك عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره

(١) ينظر: حاشية رسالة المسترشدين، ص: ٨٤.

(٢) إحياء علوم الدين: ٨٣/١.

غُنية. هذا هو الحزم؛ لأنَّ تَقَلَّدَ خطر الاجتهاد عظيم. وفي الخبر.
"العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري"^(١).

فأين نحن في هذا من حال النبي ﷺ، والصحابة الكرام رضي الله عنهم
والسلف الصالحين رضي الله عنهم^(٢)؟! وقد أدركنا مشايخنا رضي الله عنهم كالعلامة محمد
الحامد، والعلامة عبد الفتاح أبو غدة، وبعض علماء دمشق -[في
سورية]-. يُؤجِّلون السائل حتى يتأكدوا من الإجابة ويراجعوا. وهذا
هو منهج السلف رحمهم الله. وقد رأيت بعيني في جامعة أهلية في
الهند، أن ثمة ثلاث غرف لعملية الفتوى: إحداها لعرضها، والثانية
لدراستها، والثالثة لاعتمادها! ذلك أن مسؤولية العالم أعظم
وأضخم من غيره، لا سيما إذا انتشر الفساد وضلَّ العباد وكان في
وسعه البيان، فإنَّ كتم العلم ألجمه الله تعالى بلجام من نار ولعنه
لعنة لا تطيقها السموات والأرض، ولم يقبل منه صَرفاً ولا عدلاً -
[أي: لا فرضاً ولا نفلاً]- وكل هذا نطق به القرآن الكريم والسنة
النبوية الشريفة^(٣). قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ
وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. وجاء في الحديث النبوي، (مَنْ سُئِلَ
عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٤).

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: ٨٣/١.

(٢) فتاوى الفضائيات، د. زينب محمد حامد حسن، ص: ١١٥-١٢٨ بتصرف.

(٣) ردود على أباطيل ورسائل الشيخ محمد الحامد، ص: ٧٦.

(٤) معالم السنة النبوية، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، رقم: ١٧٩/٣٦٧.

وقال بعضهم: "لقيت مشايخ؛ أحوالهم مختلفةٌ يتفاوتون في مقاديرهم في العلم. وكان أنفعهم لي في صحبة: العاملُ منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه. ولقيت جماعة من أهل الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون في غيبةٍ يخرجونها مخرج جرحٍ وتعديلٍ، ويأخذون على قراءة الحديث أجراً ويُسرعون بالجواب لئلاً ينكسر الجاه، وإن وقع خطأ! وروي أن أبا منصور الجواليقي؛ كان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول متقناً محققاً، وربما سُئل المسألة الظاهرة، التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت". فالله الله في العمل بالعلم؛ فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين: من ضاع عمره في علم لم يعمل به؛ ففاته لذات الدنيا، وخيرات الآخرة؛ فقدم مفلساً مع قوة الحجة عليه^(١).

بينما إذا نظرنا إلى حال علماء الآخرة، نراهم: يتواذون ولا يتحاسدون كما قال الله جل ذكره، عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. فقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يدعو كل ليلة لجماعة من أصحابه.

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص: ٢٥٩-٢٦٠.

وقال بعضهم: "إذا أُعطي عبدٌ حقيقة العلم وصدق اليقين سُمي هذا خائفاً"^(١). والذي يكون بعكسه، لا يكون خائفاً من الله.

وقال الإمام أحمد بن حنبل لولد الشافعي رحمه الله: "أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل ليلة وقت السحر". وهم بمَعزِلٍ من إثارة حب الدنيا وكانوا يتخوفونه، ويرحمون من بُليّ به. فكان بعضهم إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام عنهم! وكانوا يتدافعون الفتوى خوفاً من الله. ويحبُّون الخمول. وكان بعضهم يدعو لبعضٍ ويستفيد منه؛ لأنهم ركبُ تصاحبوا فتوادوا. فالأيام والليالي مراحلهم إلى سفر الجنة. أما علماء الدنيا فينظرون إلى الرئاسة فيها، ويحبُّون كثرة الجمع والثناء"^(٢).

وقد قيل: "ما ألبس الله ﷺ عبداً لبسة أحسن من خشوع في سَكينة فهي لبسة الأنبياء عليهم السلام ولاسيما الصالحين، والصديقين والعلماء". ومن آتاه الله علماً وزهداً، وتواضعاً، وحسن خلق، فهو إمام المتقين"^(٣).

وكذلك؛ فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا. ولو صدقوا وتصدَّوا لحق العلم لأفلحوا. ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه. ومن استولى عليه

(١) ينظر: قوت القلوب: ٩٤/٣.

(٢) صيد الخاطر، ص: ٤٦.

(٣) إحياء علوم الدين: ٩٠/١.

حب الدنيا لم يقدر على الحسبة من الأراذل، فكيف على المملوك والأكابر^(١)! ونحن نريد في زماننا هذا؛ العالم الأبي الذي كان مثلاً للسلف الصالح عليه السلام، والذي قال فيه علي الجرجاني^(٢):

يقولون لي: فيك انقباض وإنما	رأوا رجلاً عن موقِفِ الدُّلِّ أَحْجَمَا
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كنتُ كلَّما	بدا مَطْمَعٌ صَبْرُتُهُ لِي سُلَّمَا
إذا قيل: هذا مَهْلٌ قلتُ: قد أرى	ولكنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
أُنْزِهَا عن بعضٍ ما لا يَشِيئُهَا	مَخَافَةً أقوالِ العِدا: فِيمَ أوِ لِمَا؟
وإني إذا ما فاتني الأمرُ لم أَبْتَ	أُقَلِّبُ كَفِّي إِنْزِرُهُ مُتَنَدِّمًا
ولكنه إن جاء عَفْوَ قَبْلَتِهِ	وإن مالٍ لم أُتْبِعْهُ: هَلَا وَلَيْتَمَا
وكم نِعْمَةٍ كانت على الحُرِّ نِقْمَةً	وكم مَغْنَمٍ يَعْتَدُهُ الحُرُّ مَغْرَمًا
أَشْقَى به غَرْساً وأَجْنِيهِ ذِلَّةً	إذا فَاتَبَاغُ الجَهِلِ قد كان أَحْزَمًا
وإني لَرَاضٍ عن فَتَى مُتَعَقِّفٍ	يَرُوحُ وَيَعْدُو ليس يَمْلِكُ دِرْهَمًا
فإن قلتَ: زَنْدُ العلمِ كَابٍ، فإنما	كَبَا حين لم نَحْرُسْ جِماهُ وأَظْلَمَا
ولو أنَّ أهلَ العلمِ صَانُوهُ صَاهَتُمْ	ولو عَظَّمُوهُ في النُفُوسِ لَعُظِّمَا
ولكنَّ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا	مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا
وما كُلُّ بَرَقٍ لَاحَ لي يَسْتَفِرُّني	ولا كُلُّ من لَاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا

وقال كعب الأحبار: "يكون في آخر الزمان علماء يُرْهَدُونَ الناس في الدنيا ولا يُزْهَدُونَ، ويخَوْفُونَ الناس ولا يخافون، وينهون عن

(١) ينظر: بقايا شمعة، ص: ١٢٢.

(٢) صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، للشيخ عبد الفتاح أبو

غدة، ص: ٣٥٢-٣٥٣.

غشيان الولاية ويأتونهم، ويؤثرون الدنيا على الآخرة. يأكلون بالسنتهم
يقرّبون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون على العلم كما تتغايرون
النساء على الرجال، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره
أولئك الجبارون أعداء الرحمن" (١).

٨- الخوف من تحول النية: قال الحارث المحاسبي: "وربما كان
اعتقاد المرء عند عمله إرادة الآخرة، ثم ينتقل قليلاً قليلاً إلى إرادة
الدنيا، وذلك أنه شيء خفيّ. وقد كان ينبغي أن تكون عناية المؤمن
بذلك أكثر من عنايته بما يعمل من الأعمال الظاهرة؛ لأن أعمال
الجوارح لا يمكنه أن يقلبها ولا يغيرها عن حالها. والنية لا يأمن عليها
الفساد وإن كانت صادقة صحيحة: أن تتحوّل من أحسن ما كانت
عليه إلى أقبح ما تكون عليه" (٢). ومن انبعث لقصد التقرب إلى الله
ﷺ، ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر من حظوظ النفس. كأن
يصوم لينتفع بالجمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب. فمتى
كان باعته التقرب إلى الله ﷻ، ولكن انضاف إليه خاطر من هذه
الخواطر، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص التام؛ لأن الخالص هو
الذي لا باعث عليه إلا طلب التقرب من الله ﷻ. فإذا كان الباعث
الديني أقوى من الآخر، فله ثواب بقدر ما فضل من قوته، قال
الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: ١/٧٨، تبين المحارم: ٨٥/٢.

(٢) آداب النفوس، ص: ٧٠.

وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠]. كحال الغازي إذا قصد الغزو والغنيمة، ويكون قصد الغنيمة على سبيل التبع، حصل له الثواب، ولكنه لا يساوي ثواب من لا يلتفت إلى الغنيمة أصلاً^(١).
وقال سفيان الثوري رحمه الله: "ما عالجت شيئاً أشدَّ عليّ من نيتي! لأنها تنقلبُ عليّ".

وقال يوسف ابن أسباط رحمه الله: "تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد فإذا أصبحت النية سيئة يحاسب ناوئها بها، ويعاقب على همه بتنفيذها، ولو لم يفعل ما عزم عليه من سوء. إذا كان قد تركها لغير الله تعالى، لنحو عجز أو حياء أو رهبة من الناس أو فقدان الوسيلة إليها"^(٢).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله لأبيه في احتضاره أوصني يا أبت، فقال: "يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير"^(٣).

٩- الخوف من النفاق: إن الله ﷻ قد أكثر من ذكر النفاق في القرآن لنكون على بينة منه. قال ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، ص: ٤٢٩-٤٣١ بتصرف.

(٢) التعليق على حاشية رسالة المسترشدين، للحارث المحاسبي، بتعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص: ٧٧.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد المقدسي: (١٠٤/١).

وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ [الأنعام: ٥٥]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمَ الْأَخِيرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

قال ابن القيم رحمته الله: "فإن بلية الإسلام بهم -[بالمنافقين]- شديدة جداً؛ لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة يُخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد" ^(١). ولخطورتهم قال الله ﷻ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]. فحصر العداوة فيهم كأن لا عدو غيرهم؛ لأنهم شر الأعداء.

وقال النبي ﷺ: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمٍ اللَّسَانِ) ^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) ^(٣).

وقال ابن أبي مليكة رحمته الله: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، وما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل" ^(٤).

(١) ينظر: مدارج السالكين: ٣٤٧/١، ٣٤٨.

(٢) أخرجه السيوطي، في الجامع الصغير، رقم: (٢١٨٥)، وقال: صحيح، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (١١٨).

(٤) فتح الباري: ١١٥/١.

وقال الإمام أحمد رحمه الله في رواية ابن هانئ لما سئل: "ما تقول فيمن لا يخاف النفاق على نفسه؟ فقال: ومن يأمن على نفسه النفاق" ^(١).
 وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ قِيلَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ" ^(٢).

وَعَنْ أَبِي رَنْبِيٍّ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيِّ رضي الله عنه، أَحَدِ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: فَوَ اللَّهُ لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ

(١) فتح الباري: ١/١١٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، رقم: (٣٥٧١١)، وابن المبارك في الزهد والرقائق: (١٤٣)، والبعغوي في شرح السنة: (٤١٣٨).

لصَافَحْتَكُمْ الملائكةُ على فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، ولكن يا حَنُظَلُهُ
«ساعةٌ وساعةٌ»، ثلاثَ مرَّاتٍ (١).

قال الإمام النووي رحمه الله: "أي فضل دوام الذكر لله تعالى، والفكر
في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، وجواز
الاشتغال بأمور الدنيا" (٢).

والنفاق: قسمان: نفاق عملي، ونفاق عقدي، وهو أسوأ
القسمين؛ ذلك لأن نفاق العقيدة يؤدي بصاحبه إلى أسوأ العواقب.
ولقد تعرضت سورة التوبة للحديث عن هذا النموذج الكئيب. قال
الله ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ
وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٦]. ومن هؤلاء المنافقين الذين
عاهدوا الله ﷻ لئن أنعم عليهم ورزقهم ليبذلن الصدقة وليصلحن
العمل، ولكن هذا العهد إنما كان في وقت الفقر والعسرة، وفي وقت
الرجاء والطمع، فلما استجاب الله ﷻ له ورزقه ووسع عليه من
فضله، نسي عهده وتنكر لوعده، وتولى مُعْرِضاً عن الوفاء؛ فكان
هذا النكث للعهد، مع الكذب على الله ﷻ، سببا في تمكين النفاق من
قلبه وانتهى أجله على هذا النفاق، ولقي الله ﷻ به (٣).

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٧٥٠).

(٢) شرح صحيح مسلم: ٦٥/١٧.

(٣) نماذج تربوية من القرآن، السيد الصاوي، ص: ٨٧-٨٨.

والنفاق العملي، كالذي يعاهد الله ﷻ، ثم يُخلف العهد، والذي يكذب على الله ﷻ، فلا يفي بما وعد. قال رسول الله ﷺ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ) ^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) ^(٢).

واخلاف العهد والكذب على الله ﷻ، يُؤلِّد نفاقاً دائماً في القلب. قال الله ﷻ: ﴿فَاعْقِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧]. وهكذا فأمر النفاق جدُّ خطير، على مر الأعصار والبيئات، وقد كثر النفاق في زماننا لضعف الدين، فلا بدَّ من التوبة النصوح وإصلاح العمل.

قال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن أحسن الناس عملاً وأشد الناس وجلاً، فلو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يُعاین ولا يزداد صلاحاً وبراً إلا ازداد فرقاً، والمنافق ^(٣) نفاقاً عملياً، يقول:

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٣٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٢٤٥٩).

(٣) لعله يقصد النفاق العملي، وهو لا يُخرج من الملة ولكن ينقص في الإيمان. أما نفاق العقيدة فإنه يُخرج من الملة.

سوادُ الناس كثير، وسيغفر لي، ولا بأس عليّ، فيسيء العمل ويتمنى على الله" (١).

١٠- الخوف من التقصير في الواجبات المراد رضى الله فيها: إن

ميزان الحساب دقيق يجازي على مثقال الذرة. قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]. وإن الكتاب لا يترك خطيئة صغيرة ولا كبيرة، إلا وهي مكتوبة فيه، محفوظة لم ينس منها عمل سر ولا علانية، ولا ليل ولا نهار قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَبِّلَتْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] (٢).

وقال الله ﷻ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [القمر: ٥٣].

وقال ﷻ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۖ وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]. أي: يُنبئهم الله بما عملوا، يقول جل ذكره: أحصى الله ما عملوا، فعده عليهم وأثبتته وحفظه، ونسيه عاملوه. والله على كل شيء شهيد (٣).

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: (١٨٤/٤).

(٢) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ١٥١/١٤.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٢.

١١- الخوف من الرياء: والرياء: هو طلب المنزلة في القلوب بإراءة الفضائل، وفي العرف: بإظهار العبادات. وحدُّ الرياء: هو إراءة العباد بطاعة الله تعالى، وكلُّما عمل من عمل الآخرة لأجل الدنيا فهو رياء لأن كلَّ عمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى، فهو داخل في الرياء^(١).

وهو كَمِينٌ -خدعة- خَفِيٌّ من كمائن الشيطان؛ يدفع المريض إلى التوقف عن كثير من الطاعات خوفاً من الرياء حتى يصاب المريض المسكين بالوسوسة، قائلاً: أنا مخلص أم مُراءٍ؟! أخاف أن لا يقبل الله لي عملاً؟! وينتهي الأمر بعذابات نفسية، وقلق واضطرابات، مع قعود عن كثير من صالح العمل! وليس هذا من التقوى في شيء؛ بل الأمر كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما"^(٢). وقال أيضاً: "كانوا يُراءون بما يعملون، وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون"^(٣).

واعلم أن الرياء حرام من محرمات الإيمان والعقيدة، والمُرَائِي مَمْقُوت عند الله تعالى، ولقد شهدت بذلك الآيات والأحاديث. قال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٧]. وقال جل

(١) تبين المحارم: ٣٠٤/٢.

(٢) ينظر: كتاب "بأي قلب نلقاه"، د. خالد أبو شادي، ص: ٢٢١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم: ٤٥٦٥/١٠.

ذكره: ﴿كَأَلَيْهِ يُنْفِقُ مَالُهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، قال مجاهد: هم أهل الرياء^(١).

وقال ﷺ: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ، قالوا: وما الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يا رسول الله؟ قال: الرِّيَاءُ؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لهم يومَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!)^(٢).

وقال ﷺ: (يقولُ اللهُ تعالى: مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ، فَأَنَا أَغْنِي الْأَغْنِيَاءَ عَنِ الشِّرْكَ)^(٣).

وعن شداد بن أوس ﷺ، قال: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ...)^(٤). وعن معاذ بن جبل ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ، رَأَى اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّعَ)^(٥).

(١) تفسير البغوي: ٦٩٠/٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٢٣٦٣٠)، عن محمود بن لبيد ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٩٨٥)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه أحمد، المسند: ١٢٦/٤، موسوعة نضرة النعيم: ٤٥٦٢/١٠.

(٥) نقله شعيب الأرنؤوط، تخريج المسند، رقم: (٢٢٠٠٠).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ^(١).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا بكر لِّلشِّرْكِ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِّلشِّرْكِ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدْلِكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرَكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ) ^(٢). فلقد حذر النبي ﷺ أُمَّتَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَبْطُلُ أَجْرُ الْأَعْمَالِ، وَمِنْ ذَلِكَ طَلَبُ الرِّيَاءِ بِالْأَعْمَالِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَزِلُّ فِيهِ فُحُولُ الْعُلَمَاءِ فَضْلاً عَنِ الْعِبَادِ الْجُهْلَاءِ بِآفَاتِ النُّفُوسِ وَغَوَائِلِ الْقُلُوبِ. وَمِنْهُ أَنَّ الرِّيَاءَ إِمَّا جَلِيٌّ: وَهُوَ مَا يَحْمِلُ عَلَى الْعَمَلِ، وَيَبْعَثُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا خَفِيٌّ: وَهُوَ مَا لَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ يُخَفِّفُ مَشَقَّتَهُ كَمَنْ يَعْتَادُ التَّجْدُّ كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَتَّقِلُ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ أَوْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ نَشِطَ لَهُ وَخَفَّفَ عَلَيْهِ وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ إِنَّمَا يَعْمَلُ لِلَّهِ، وَلَوْلَا رَجَاءُ الثَّوَابِ لَمَا صَلَّى ^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٧٤٥٨).

(٢) نقله الألباني، في صحيح الأدب المفرد، رقم: (٥٥١).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، ص: ٧٥.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأى رجلاً يُطأطئ رقبتَه، فقال له: "يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك؛ ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب" ^(١).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه وينقص منه إذا دُمَّ".

وقال رجل لسعيد بن المسيب رضي الله عنه: "إنَّ أحدنا يصنع المعروف يحبُّ أن يُحمد ويؤجَّر، فقال: أتحب أن تُمقَّت؟ قال: لا؟ قال: فإذا عملت لله عملاً فأخلصه". وقال قتادة رضي الله عنه: "إذا رآى العبد، يقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي يستهزئ بي" ^(٢).

وقيل: "إن المرائي يُنادى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي يا غادر، يا خاسر، يا فاجر. اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، فلا أجر لك عندنا" ^(٣).

وقد ذكر ابن قدامة المقدسي رحمه الله في مختصره، أن بعض أبواب الرياء أشد من بعض؛ لأنه درجات:
- أشدها وأغلظها: أن لا يكون مراده بالعبادة الثواب أصلاً كالذي يصلي بين الناس ولو انفرد لم يصل.

(١) بغية الطالبين من إحياء علوم الدين، الشيخ أحمد محمد عساف، ص: ٢٠٥.

(٢) تبیین المحارم: ٣٠٢/٢.

(٣) إحياء علوم الدين: ٢١٨٦/٣.

- والدرجة الثانية: أن يقصد الثواب مع الرياء قصداً ضعيفاً بحيث لو كان خالياً لم يفعله، فهو قريب من القسم الأول في كونهما ممقوتين عند الله تعالى.

- الثالثة: أن يكون قصد الرياء، وقصد الثواب متساويين، بحيث لو انفرد كل واحد منهما عن الآخر لم يبعثه على العمل، فهذا قد أفسد مثل ما أصلح ولا يسلم من الأثم.

- الرابعة: أن يكون اطلاع الناس عليه مقوياً لنشاطه، ولو لم يطلع عليه أحد لم يترك العبادة، فهذا يثاب على قصده الصحيح ويعاقب على قصده الفاسد، وقريب من ذلك الرياء بأوصاف العبادة لا بأصلها، كالذي يصلي وغرضه تخفيف الركوع والسجود ولا يطيل القراءة، فإذا رآه الناس أحسن ذلك، فهو أيضاً من الرياء المحظور؛ لأنه يتضمّن تعظيم الخلق ولكنه دون الرياء بأصول العبادات^(١).

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: "لا يعرف الرياء إلا مُخلصٌ، ولا النفاق إلا مؤمنٌ، ولا الجهل إلا عالمٌ، ولا المعصية إلا مُطيعٌ"^(٢).
فالمخلص لا رياء له ولا يحب الشهرة، والصادق لا إعجاب له^(٣).
وأما المرائي: فهو الذي يحب الثناء والشهرة، ويكره المذمة. وهو:
الذي يكون مذهبه ونيته في أول عمله وآخره طلب الثناء والمحمدة

(١) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، ص: ٢٥٦.

(٢) الرسالة القشيرية، ص: ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٠٨.

والرفعة والتكرمة عند الناس وإحراز المنافع به، فذلك الذي جاءه الويل والثُّبور في الدنيا والآخرة.

وعلازمة أصحاب الجاه في الدنيا، وأصحاب الرياء المحبين لذلك: أنهم إذا سمعوا الثناء والمحمدة أحبوا ذلك، وازدادوا عزة وإعجاباً بأنفسهم وغفلة عن الاستدراج، وتمادَوْا وتَمَنَّوْا، وطمعوا أن ما ظهر عليهم من أعمالهم كان أحبَّ إليهم مما خَفِيَ، ولم يخافوا من فتنة ولا آفة^(١).

كما أن طالب التعظيم والتبجيل والتقديس والاحترام، من الأعمال الصالحة الدينية التي يعملها سيجد في الناس من يعظِّمونه، ويبجِّلونه ويقدِّسونه من أجل ما شاهدوا، ويشاهدون من مظاهر أعماله الصالحة التي يعملها ضمن سنن الله السببية والله يُهيئ ذلك له؛ تحقيقاً لسنته ولكنه لا يجعل له في الآخرة ثواباً عليها^(٢).

واعلم أنه قد لا يشتهي الإنسان الحمد، ولكنه يحذر من الذم كالجبان بين الشجعان، فإنه يثبت ولا يفر؛ لئلا يذم. وذلك من الأمور التي تحرِّك إلى الرياء^(٣).

(١) آداب النفوس، ص: ٧٣-٧٤.

(٢) ينظر: ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ٨٩/١.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ص: ٢٦١.

لذا ينبغي للعاقل العامل أن يأخذ الأدب في عمله من راعي الغنم لأنَّ راعي الغنم إذا صلَّى عند غنمه فإنه لا يطلب بصلاته محمّدة غَنَمِهِ، كذلك العامل ينبغي أن لا يبالي من نظر الناس إليه، ويعمل لله تعالى عند الناس وفي الخلاء بمنزلة واحدة، ولا يطلب به محمّدة الناس^(١). فيجتهد في علاج الرياء: بتذكُّر اطلاع الله على ضميره وتذكُّر تركه لو اطَّلَعَ الناس عليه^(٢). وأن يعوِّد نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش؛ فإنه لا دواء في الرياء مثل إخفاء الأعمال، وذلك يشقُّ في بداية المجاهدة فإذا صبر عليه مدة بالتكُّلف، سقط عنه ثِقَلُهُ، وأمدّه الله بالعون فعلى العبد المجاهدة، ومن الله التوفيق. كما أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه إذا ظن أنه خير له ونافع، إما في الحال أو المآل فإن علم أنه لذيذ في الحال ضار في المآل، سهل عليه اجتنابه وقطع عنه الرغبة، كمن يعلم أن العسل لذيذ، ولكن إذا بان له أن فيه سُمًّا، أعرض عنه. وكذلك طريق هذه الرغبة، أن تعلم ما فيها من المضرة؛ فإن الإنسان متى عرف مضرة الرياء، وما يفوته من صلاح قلبه، ومن المنزلة في الآخرة وما يتعرض له من العذاب والمقت والخزي، هذا مع ما يتعرَّض له في الدنيا من تشتُّت الهمم؛ بسبب ملاحظة قلوب الخلق؛ فإن رضى الناس غاية لا تدرك. فإذا قرَّر هذا في نفسه، فترت رغبته في الرياء، وأقبل على الله تعالى بقلبه فإن

(١) ينظر: تبیین المحارم: ٣٠٣/٢.

(٢) المرجع السابق: ٣١٠/٢.

العاقل لا يرغب فيما يضره ويقلُّ نفعه^(١). وعندئذ يعلم أن رضى الله تعالى غاية لا تترك.

١٢ - الخوف من الشهرة: أن يخاف من الشهرة وانتشار الصيت على نفسه ودينه، وخصوصاً إذا كان من أصحاب المواهب، وأن يوقن بأن القبول عند الله بالسرائر لا بالمظاهر، وأن إنساناً لو طبقت شهرته الآفاق وهو مدخول النية، لم يغن عنه الناس من الله شيئاً^(٢).

فلقد كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زُكي قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون^(٣). فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (بحسب إمري من الشر أن يُشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله)^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: (يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسرّه، فإذا أطلع عليه أعجبّه فقال: له أجران: أجر السرّ وأجر العلانية)^(٥).

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص: ٢٦١، بتصرف.

(٢) النية والإخلاص، للشيخ الدكتور: يوسف القرضاوي، ص: ٦٩.

(٣) ذكره الألباني، في صحيح الأدب المفرد، رقم: (٥٨٥)، عن عدي بن أرطأة الفزاري رضي الله عنه.

(٤) ذكره ابن حجر العسقلاني، تخرّيج مشكاة المصابيح: (٦٤/٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٥) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٣٨٤)، وذكره ابن جرير الطبري، في مسند عمر: (٨٠٧/٢)، وقال: حديث صحيح.

وكان الكثير من علماء السلف وصالحهم، يخافون على قلوبهم من فتنة الشهرة، وسحر الجاه، والصيت ويحذرون من ذلك تلاميذهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت سُجّ الليل، جُدّد القلوب، خُلّقان الثياب تُعرفون في أهل السماء، وتَخْفَوْنَ في أهل الأرض" ^(١).

وعن الحسن رضي الله عنه قال: "خرج ابن مسعود رضي الله عنه، يوماً من منزله فاتبعه ناس، فالتفت إليهم، فقال: علام تتبعوني؟ فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما أتبعني منكم رجالان" ^(٢)!

وعن سليم بن حنظلة رضي الله عنه قال: "أتينا أبا بن كعب رضي الله عنه لنتحدث إليه، فلما قمنا ونحن نمشي خلفه، فرقنا عُمُرَ، فتبعه فضربه عُمُرُ بالدرّة، قال: فاتّقه بذراعيه، فقال: يا أمير المؤمنين! ما نصنع؟ قال: أو ما ترى فتنة للمتبع، مذلة للتابع" ^(٣). وهي لفظة عمرية نفيسة إلى ما قد تحدثه هذه المظاهر البسيطة في بدايتها من عواقب وآثار بعيدة الغور في نفسيّة الجماهير التابعة، والقادة المتبعين.

وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: "ما صدّق الله من أحب الشهرة" ^(٤)! وقال: "ما قرّرت عيني يوماً في الدنيا قط، إلا مرة واحدة: بتُّ ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن - [داء في البطن لعله مغصٌ

(١) ينظر: الفوائد، ص: ٢١٥.

(٢) إحياء علوم الدين: ٣/٢١٤٦.

(٣) ورد في مسند الدارمي، (٤٤٨/١)، (٥٤٠)، وإسناده جيد.

(٤) إحياء علوم الدين: ٣/٢١٤٥.

أو إسهال أو نحو ذلك]- فجاء المؤذن، وجرتني برجلي حتى أخرجني من المسجد". وما ذلك إلا لأن المؤذن لم يعرفه.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "إن قَدَرْتُ على ألا تُعرف فافعل وما عليك ألا تُعرف؟ ... وما عليك أن يُثنى عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تعالى" ^(١)؟

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: دخل رجل على داود الطائي رحمه الله، فقال له: ما حاجتك؟ قال: جئت لزيارتك. قال داود: أما أنت فقد عملت خيراً حين زُرت؛ ولكن. انظر ماذا ينزل بي أنا؟! إذا قيل: من أنت فتُزار؟ أمن الزهاد أنت؟ لا والله، أمن العباد أنت؟ لا والله، أمن الصالحين أنت؟ لا والله. ثم أقبل يُويخ نفسه ويقول: كُنْتُ في الشبيبة فاسقاً، فلما كبرت صرت مرئياً! والله للمرائي أشْرُ من الفاسق ^(٢)!

وليعلم العبد، أنه ما من شيء يُهلك دين العبد ويفسده مثل حرصه على المال، والجاه، والشرف والمنصب، وغير ذلك من أمور الدنيا الخسيسة. وصدق رسول الله ﷺ، إذ يقول: (ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسدَ لهما من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينه ^(٣)). فقد شبه رسول الله ﷺ حرص المرء على المال والشرف بذئبين جائعين أرسلا في زريبة غنم، فانظر هل يبقيان منها شيئاً؟

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: ٢١٤٩/٣.

(٢) سمير المؤمنين، ص: ١٦٤.

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٧٦)، وصححه.

فكذلك حرص المرء على المال والمنصب والجاه في الدنيا إنما هو مفسدة لدينه أيّ مفسدة، إلا أن يكون هدفه، وغايته واضحة نصب عينه في تسخير ما يبتغيه من مال، أو منصب، أو جاه، أو شهرة، أو غير ذلك، لرفعة دينه ونصرته، وفي ذلك جهاد النفس الأعظم، الذي لا يناله إلا المتقون. فهي منزلة ما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم^(١).

ولكن يجب ألا يفهم من هذه الآثار الدعوة إلى الانطوائية والعزلة؛ فإن الذين رويت عنهم إنما هم أئمة، ودعاة مصلحون، كان لهم آثار طيبة في دعوة المجتمع وتوجيهه وإصلاحه.

لكن الذي يفهم من مجموعها هو اليقظة لشهوات النفس الخفية، والحذر والخوف من الكوى -[المنافذ]- التي يتسلل منها الشيطان إلى قلب الإنسان، وإذا سُلّطت عليه الأضواء، وأحاط به الأتباع والشياع وأشير إليه بالبنان.

تنبيه: والشهرة؛ في ذاتها ليست مذمومة؛ فليس هناك أشهر من الأنبياء ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ والأئمة المجتهدين، لكن المذموم هو طلب الشهرة والزعامة، والجاه، والحرص عليها، فأما وجودها من غير هذا التكلف والحرص فلا شيء فيه، وإن كان فيه -[كما قال الغزالي]- فتنة على الضعفاء دون الأقوياء^(٢).

(١) ينظر: قلوب أسيرة الشيطان، ص: ١٥٤-١٥٥، بتصرف.

(٢) النية والإخلاص، ص: ٧١.

لذا ينبغي للمسلم أن يخفي أحواله عن الخلق جهده، كخشوعه
وذلكه وانكساره؛ لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم
لها؛ فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله. فلا شيء أنفع للصديق
من التحقق بالمسكنة، والفاقة، والذل وأنه لا شيء، وأنه ممن لم
يصح له بعد الإسلام حتى يدعي الشرف فيه. وكان الإمام ابن
تيمية رحمته الله يقول: "ما لي شيء، ولا مئ شيء، ولا في شيء. وكان كثيراً ما
يتمثل بهذا البيت:

أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي^(١)

(١) مدارج السالكين: ٥٢٠/١.

المبحث الثاني: الخوف غير المشروع:

وهو الذي لم يكن من الله ﷻ، ولا من صفاته المُقتضية للهيبَة والخشية، ولا من معاصي العبد وجنایاته، بل يكون لغير ذلك من الأمور. وقد ذكر القرآن الكريم صوراً من الخوف المذموم، منها:

١- الخوف من الشيطان والهوى والنفس: ولقد تعددت

النصوص القرآنية التي تحذّر من عداوة [-الشيطان]- هذا الخبيث ودعت عباد الله إلى عدم الخوف من كيده ومكره، كما دعت إلى عدم الاستجابة لوسواس هذا الشيطان التي يلقيها عبر أوليائه من الكافرين، والمنافقين لتوهين عزيمة المؤمنين^(١). قال جل ذكره:

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧]. وقال ﷺ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۖ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۚ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيََاءَهُ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]. وفي تخويف أوليائه قولان:

أحدهما: أنه يخوف المؤمنين من أوليائه المشركين. وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم.

(١) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ١٥٢/١٤.

والثاني: أنه يخوف أوليائه المنافقين؛ ليقعدوا عن قتال المشركين. وهذا قول الحسن والسدي^(١).

ومن المخاوف التي يثيرها الشيطان في قلوب العباد الخوف من الفقر، قال ﷺ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. أي: يخوفكم منه، وينذرکم به إذا أنتم أنفقتم في سبيل الله^(٢).

وفي مقابل وعد الشيطان بالفقر، هناك وعد الله ﷻ بالمغفرة والفضل وسعة العطاء، لمن أعطى وبذل وأنفق في سبيل الله.

فقلب المؤمن لا يطرقه خوف الشيطان؛ لأنه يسجد في محراب الخشية لله ﷻ، فإذا ألمَّ به شيء من وسوسة الشيطان تذكَّر أمر الله تعالى ونهيه. وإذا زلَّ وعصى بادر إلى التوبة، والرجوع إلى حصن مولاه ﷻ. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]^(٣) أما غير المؤمن فقد يعبد الشيطان؛ خوفاً من أثره وشره، كطائفة اليزيدية -أو الإيزيدية- في شمال "سورية"، ويقال لهم: عابدو الشيطان، وقد رأيت منهم بعيني في مدينة "الحسكة". وللعلم فاليزيديون يقدِّسون إبليس الملعون في القرآن؛ لأنه لم يسجد لآدم عليه السلام، وكذلك

(١) ينظر: النكت والعيون، للماوردي: ٤٣٨/١.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ٣٣٥/١.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم: ١٩٤/٣-١٩٥ بتصرف.

خوفاً منه لأنه قوي لدرجة أنه تحدى الله سبحانه فيخافونه ويمجّدونه لبطولته في العصيان^(١).

ونرى اليوم ما يسمّى بعبادة الشيطان، وكيف وقع فيها أقوام من الأمم الغربية وغيرهم من أوروبا وأمريكا، وصار لهم طقوس يجتمعون إزاءها، ويلتفّون حول هذه المعاني التي تنطلق من التوحّش، ومن الهيمية والأنانية، والشهوة واللذّة والمتعة المحرمة والاقتصار عليها دون شيء وراءها ودون ما سواها! وكيف امتدت هذه المخترعات الشيطانية إلى رقاع وبقاع إسلامية، فأصبح بعض المراهقين والمراهقات ينضمّون تحت هذه الأندية، ويلتقون في حفلات، ويتعاطون ألواناً من الطقوس المتعلّقة بعبادة الشيطان قال ﷺ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١]^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: "إن الله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدواً عالماً بطرق هلاكه، وأسباب الشر الذي يلقيه فيه مُتفننا فيها خبيراً بها، حريصاً عليها، لا يَفُتّر عنه يقظة ولا مناماً، ولا بد له من واحدة من ستّ ينالها منه:

إحداها، وهي غاية مراده: أن يحول بينه وبين العلم والإيمان فيلقيه في الكفر، فإذا ظفر بذلك فرغ منه واستراح.

(١) ينظر لزماً: عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص: ٤٦، وموسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، مجموعة من المؤلفين: (١٧٣/١٠).

(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (١٧٣/١٠).

فإن فاتته هذه، وهُدي إلى الإسلام حرص على ما بعد الكفر، وهي البدعة وهي أحب إليه من المعصية؛ فإن المعصية يُتاب منها والبدعة قد لا يُتاب منها؛ لأن صاحبها يرى أنه على هدى. فإذا ظفر منه بهذه؛ صيَّره من رُعاته وأمرائه.

فإن أعجزته ألقاه في الثالثة؛ وهي الكبائر.

فإن أعجزته ألقاه في اللِّمَم، وهي الرابعة، وهي الصغائر.

فإن أعجزته شغلهُ بالعمل المفضول عما هو أفضل ليرتج -[أي: ليغلق]- عليه الذي بينهما؛ وهي الخامسة.

فإن أعجزه ذلك صار إلى السادسة؛ وهي تسليط حزبه عليه يؤذونه ويشتمونه ويهتونه، ويرمونهم بالعظائم ليحزنه، ويشغل قلبه عن العلم والإرادة وسائر عمله.

فكيف يمكن أن يتحرَّز منه من لا علم له بهذه الأمور ولا بعدوه، ولا بما يُحصنه منه؟ فإنه لا ينجو من عدوه؛ إلا من عرف طريقه التي يأتيه منها وجيشه الذي يستعين به عليه، وعرف مداخله ومخارجه وكيفية محاربته وبأي شيء يحاربه، وبماذا يداوي جراحته وبأي شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه.

وهذا كله لا يحصل إلا بالعلم؛ فالجاهل في غفلة عن هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم.

ولهذا جاء ذكر هذا العدو وشأنه وجنوده، ومكايدِه في القرآن كثيراً جداً؛ لحاجة النفس إلى معرفة عدوها وطرق محاربته ومجاهدته

فلولا أن العلم يكشف عن هذا لما نجا من نجا منه، فالعلم وثمرته هو الذي تحصّل به النجاة.

فمن تأمل القرآن والسنة، وجد اعتناءهما بذكر الشيطان ومحاربتة أكثر من ذكر النفس، فإن النفس المذمومة؛ ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] واللوامة؛ في قوله جل ذكره: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] أما الشيطان فذكر في مواضع عديدة في القرآن الكريم، فجاء ذكر اسم ابليس في إحدى عشر آية، وورد ذكر الشيطان في ثمان وثمانين آية. وهكذا؛ فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس، وهذا هو الذي لا ينبغي غيره؛ فإن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته، فهي مركّبه وموضع شره ومحل طاعته.

وقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن، وغير ذلك وهذا لشدة الحاجة إلى التعوذ منه^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، (أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله مرّني بكلماتٍ أقولهنّ إذا أصبحتُ، وإذا أمسيْتُ. قال: قل: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ

(١) ينظر: طب القلوب، لابن القيم، جمع وترتيب: صالح أحمد الشامي، ص: ١٠٥-١٠٧.

بتصرف.

الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه. قال: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ^(١). ويروى: بِشَرِّكَه، -[بفتح الشين والراء]-: أي: حباثته ومصائبه^(٢). فالله رهّبنا من اتباع خطوات الشيطان.

وقال الشيخ د. مصطفى السباعي رحمته الله: "إِذَا خَوَّفَكَ الشَّيْطَانُ مِنَ الْفَقْرِ فَرُدَّهُ بِالرِّزْقِ الْمَكْتُوبِ، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. وَإِذَا خَوَّفَكَ مِنَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ، فَرُدَّهُ بِالْأَجَلِ الْمَكْتُوبِ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]^(٣) لذا ينبغي الحذر من أخطار النفس وانحرافاتهما؛ فالمسلم بخير ما برئ من عيوب نفسه وأمراضها، بالغ ما بلغت قوة الأعداء والخصوم. ونفهم ذلك من وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمسلمين حيث يقول: "كونوا أشد احتراساً من المعاصي من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله. واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله فلا تعملوا بمساخط الله وأنتم في سبيل الله"^(٤).

ومنه أيضاً: الخوف من انحراف الفهم لدى الناس. يروي لنا التابعي الكوفي، عامر الشعبي رضي الله عنه: "إن رجلاً خرجوا من الكوفة

(١) ذكره الألباني في صحيح أبي داود، رقم: (٥٠٦٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، ص: ٤٢٧.

(٣) هكذا علمتني الحياة، ص: ٧٩.

(٤) فقه السنة، السيد سابق، ص: ٨٤٧.

ونزلوا قريباً يتعبدون، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فأتاهم ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال: ما حملكم على ما صنعتُم؟ قالوا: أحببنا أن نخرج من غِمار الناس نتعبد، فقال عبد الله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا" ^(١).

٢- الخوف من الأعداء: اتخذ أعداء الإسلام كافة الوسائل والتدابير التي من شأنها بث الخوف في قلوب المؤمنين وتثبيطهم وإضعاف روحهم المعنوية، لذا كان الخوف من الأعداء من صور الخوف المذموم التي حذر الله ﷻ منها، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]. وقال ﷺ: ﴿أَيُّومَ يَسِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]. وكيف يخاف المؤمن من أعدائه وهو يوقن بأن الله ﷻ، وليه وناصره صاحب القدرة

(١) الزهد والرفائق، لابن المبارك، ص: ٣٩٠، صلاح الأمة في علو الهمة، د. سيد بن حسين العفاني: ١٣/٢.

النافذة والعزة الحقيقية، وبيده الأجال والأرزاق وبيده وحده الأمر كله من خير وشر^(١). قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

نعم إن الخوف من العدو أمر طبيعي؛ إذا دفع المؤمن إلى الاستعداد والتجهز لهذا العدو، أما إذا تجاوز الخوف الحدود ودعا أصحابه إلى الجبن والفرار، أو الاستسلام، فهذا هو الخوف المذموم الذي يُعاقب عليه صاحبه. وقد مدح الله ﷻ عباده المؤمنين ووصفهم، بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]^(٢). قال ابن كثير ﷻ: "أي لا يرددهم عما هم فيه من طاعة الله، وقاتل أعدائه وإقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يرددهم عن ذلك رادًّا، ولا يصددهم عنه صائدًّا، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل"^(٣). وقد أحسن رحمه الله من حيث الأصل.

(١) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ١٥٤/١٤.

(٢) المرجع السابق: ١٥٤/١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ١٣٦/٣.

أقول: ولكن إذا تبدّلت الظروف، والبيئات والأزمنة، والأشخاص والأحوال، واحتاج الجهاد إلى طرائق جديدة تناسب الواقع؛ فإن الفتوى تسير مع ذلك، وكأنها فقه الطوارئ والضرورات. والضرورة تُقدّر بقدرها وقد يُفتَى فيها بالقول المرجوح مع وجود القول الراجح بناء على رؤية المفتي العارف بالواقع وظروف المستفتي^(١).

٣- الخوف من الموت المؤدي للنكوص عن الجهاد والفرار من

التكاليف: إن الخوف من الموت محقّز قوي لأصحاب القلوب الحية يدفعها للمسارعة إلى الخيرات والبعد عن المعاصي والسيئات، كما يسوقها إلى التوبة كلما حادت عن الصراط المستقيم. أما إذا أدّى الخوف من الموت إلى الجبن والخور، فهو خوف مذموم. ولقد قصّ علينا القرآن الكريم قصة قوم نزل الموت بديارهم، فخرجوا منها فراراً من الموت، وهم يظنّون أنهم بخروجهم وفرارهم يتمكّنون من الإفلات من قدر الله تعالى^(٢). قال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر -[إذا كان القضاء مبرماً]- وأنه، لا ملجأ من الله إلا إليه؛ فإن هؤلاء

(١) ينظر: إعلام الموقعين: ٤١/١، بتصرف.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم: ٣٦٣/١.

فرّوا من الوباء طلباً لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم
وجاءهم الموت سريعاً في آن واحد^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم: ٦٦١/١.

الفصل الثالث

كيف نقوي الخوف من الله تعالى في أنفسنا؟

المبحث الأول: كيف نقوي الخوف؟

إذا تجرأ العبد على فعل المحرمات، احتاج جرعة كبيرة من دواء الخوف ومن أهم ما يقوي جانب الخوف عند المسلم:

١- **ذكر عظمة الله وجلاله وقهره وجبروته**، فهو يُمهّل، ولا يُهمّل. قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، لذلك فالمؤمن؛ إذا ذكر الله وجَلَّ قلبه خصوصاً عند عظمته وجلاله وقهره.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، يحركها يقبل بها ويدبر: يمجّد الرب نفسه: "أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم". فرجف برسول الله ﷺ المنبر، حتى قلنا: لِيَخَرَّنَّ بِهِ ^(١).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٥/٤. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، (١/٨٩).

وقال: رجاله رجال الصحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ) ^(١).

والملائكة إذا سمعوا صوته غشيم من الفزع، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. وكذلك المؤمنون إذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٢- التدبر في كتاب الله ﷻ: والإيجاز في ذلك في نقطتين:

أ- التدبر المعين على الخوف: ففيه تدبر صفات الجلال والعظمة والكبرياء لله ﷻ، وفيه آيات الوعيد وما أعدّه الله ﷻ للعصاة من العذاب الأليم. فهو تبصرة وعظة، فيه الحجة البالغة والموعظة البليغة ^(٢). قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالوا: يا رسول الله لو خوَّفْتنا فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: ما أعددت له من عصاني من العذاب ^(٣).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: (يا رسول الله قد شَبَتَ قَالَ: شَيَّبَنِي هُوْدٌ، وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٧٣٨٢).

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم: ٦١٢/٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤٦٧/١٩.

الشَّمْسُ كُورَتْ^(١). وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ)^(٢).

وهكذا: فَإِنَّ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ إِنَّمَا تَقَعُ مَوْقِعَ الْإِيمَانِ مِنَ الْقُلُوبِ الْمَشْفُوقَةِ مِنَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمِنَ الْفَطْرِ السَّلِيمَةِ الَّتِي تَصْغِي إِلَى وَعِيدِ اللَّهِ وَنَذِيرِهِ فَتُدْرِكُ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَلَا تَعْمِيهَا الْأَهْوَاءُ وَالشَّهَوَاتُ عَنِ الْاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ^(٣).

وقد بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ أَنْ لآيَاتِهِ أَعْظَمُ أَثَرٍ فِي تَخْوِيفِ الْقُلُوبِ مِنْ بَارِيهَا وَتَحْذِيرِهَا سَطَوَاتِهِ، قَالَ ﷺ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. أي: تأخذ الذين يخشون ربهم قشعريرةً عند سماعه؛ بسبب ما يعتريهم مِنَ الْوَجَلِ وَالْخَوْفِ، وَمَا يَصِيبُ قُلُوبَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ وَالْيَقِينِ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَإِذَا ذُكِرَتْ آيَاتُ الْوَعِيدِ وَالْعَذَابِ اقْشَعَرَّتْ جُلُودُ الْخَائِفِينَ مِنَ اللَّهِ وَإِذَا ذُكِرَتْ آيَاتُ الْوَعْدِ وَالرَّحْمَةِ لَانَتْ جُلُودُهُمْ وَسَكَنَتْ قُلُوبُهُمْ^(٤). وقال تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشَعًا

(١) أخرجه الترمذي، رقم: (٣٢٩٧)، وصححه.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم: (٣٣٣٣)، وصححه.

(٣) مجالس القرآن، د. فريد الانصاري: ٧١/٢.

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم: ٢٥٣/٧.

مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [الحشر: ٢١].

فإذا نزل القرآن على القلوب المؤمنة اهتزت لجلاله وزلزلت
أقطارها لرهبته^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ
وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ
عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ؛ فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
بِحَذَائِرِهِمَا... فَلَا تَزَالُ مَعَانِيهِ تُنْهَضُ الْعَبْدَ إِلَى رَبِّهِ بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ
وَتُحَذِّرُهُ وَتُخَوِّفُهُ بِوَعِيدِهِ مِنَ الْعَذَابِ الْوَبِيلِ، وَتَحُثُّهُ عَلَى التَّضَمُّرِ
وَالْتَّخَفُّفِ لِلِقَاءِ الْيَوْمِ الثَّقِيلِ، وَتَهْدِيهِ فِي ظُلُمِ الْأَزْءِ وَالْمَذَاهِبِ إِلَى
سَوَاءِ السَّبِيلِ"^(٢).

وكانت عادة السلف -رحمهم الله - يُرَدِّد أحدهم الآية إلى الصباح
فيقرأ القرآن بتفكير حتى إذا مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه
كرَّرها ولو مائة مرة، بل ولو استغرق الأمر معك الصلاة كلها فقراءة
آية بتفكير وتفهم، أنفع للقلب وأرجى لزوال الداء وحدوث الشفاء
وبالتالي أدعى إلى بلوغ ذروة الإيمان وتذوق حلاوة القرآن. ومنه إن
تكرار الآيات في الخوف يُفيد في تعميق الخوف من الله في نفس
المؤمن. فإنك لا تدري متى يُفْتَح الباب، ومتى ينشر الصدر والفؤاد
ولعل ساعة رضاه عنك في تناول يدك وأنت لا تشعر، ولعل دموع

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: ١٢/١١٤٥.

(٢) مدارج السالكين، ص: ٤٥١.

خشيتك محبوسة تنتظر آية منك تُتلى في خشوع لتهمر، أو خلوة في وجل لتتفجّر^(١).

وقال بعضهم: "عشت في ظلال القرآن أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود، أكبر في حقيقته، وأكبر في تعدد جوانبه. إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده. وإنه الدنيا والآخرة، لا هذه الدنيا وحدها. والنشأة الإنسانية ممتدة في شعاب هذا المدى المتطاوّل. والموت ليس نهاية الرحلة، وإنما هو مرحلة في الطريق. وما يناله الإنسان من شيء في هذه الأرض ليس نصيبه كله؛ إنما هو قسط من ذلك النصيب. وما يفوته هنا من هذا الجزاء لا يفوته هناك. فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع. على أن المرحلة التي يقطعها على ظهر هذا الكوكب إنما هي رحلة في كونٍ حسيّ مأنوس، وعالم صديق ودود. كون ذي روح تتلقى وتستجيب وتتجّه إلى الخالق الواحد الذي تتجّه إليه روح المؤمن في خشوع. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا﴾ [الرعد: ١٥]^(٢).

ب- الخوف الذي يؤدي إلى الأمن:

جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. بعد أن ذكر قصصاً من السيرة وأخبار السلف في شأنها: "ولقد اتفق لي ببلادنا

(١) ينظر: جرعات دواء، د. خالد أبو شادي، ص: ٧٠.

(٢) مقدمة في ظلال القرآن، ص: ١١.

الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا. وذلك أني هربت أمام العدو وانحزت إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض قاعد ليس يسترني عنهما شي، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن، فعبرا عليّ ثم رجعا من حيث جاءا، وأحدهما يقول للآخر: هذا ديبله، يعنون شيطاناً. وأعنى الله عز وجل أبصارهم فلم يروني، والحمد لله حمداً كثيراً على ذلك" (١).

وقال الشيخ ناصر العمر: "أنا والله أعرف من المعاصرين أشخاصاً لم يعلموا بقصة الإمام القرطبي، ابتلاهم الله بالمحن في بعض البلاد، فيقولون: إذا أقبلنا على المحنة بدأنا نردّد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، فينجون ولا يمسّون بسوء" (٢)!

٣- تذكّر الموت والقبر والحساب والميزان والصراط وأهوال يوم القيامة والنار:

- **تذكّر الموت والقبر:** إنما هو من البواعث الحقيقية على تحسين الصلة بين العبد وربّه، وإزالة شواغل الدنيا من الفكر والعقل. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقال جل ذكره: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٢٧٠/١٠).

(٢) أفلا يتدبرون القرآن، أ.د: ناصر بن سلمان العمر، ص: ٢٠٩.

أَمَوْتُ الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿[السجدة: ١١]﴾. كما أن النبي ﷺ أوصى بالإكثار من ذكر الموت. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (أَكْثَرُوا ذَكَرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ. يعني، الموت) ^(١). وقال ﷺ: (كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنَّها تُرِقُّ القلبَ وتُدَمِّعُ العينَ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ ولا تقولوا هُجْرًا) ^(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: (زُرِ الْقُبُورَ تَذَكَّرْ بِهَا الْآخِرَةَ وَاغْسِلِ الْمَوْتَى فَإِنَّ مُعَالَجَةَ جَسَدٍ خَاوٍ مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ، وَصَلِّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ؟ فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ^(٣).

وعن البراء رضي الله عنه، قال: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَ التَّرَى، ثُمَّ قَالَ: يَا إِخْوَانِي لِمَثَلِ هَذَا فَأَعِدُّوا) ^(٤).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ^(٥).

(١) أخرجه الترمذي، في جامعه، رقم: (٢٣٠٧).

(٢) أخرجه أحمد: (١٣٤٨٧)، صحيح الجامع، رقم: (٤٥٨٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک: (٣٣٠/٤)، وقال الذهبي، في "تلخيص المستدرک": صحيح.

(٤) أخرجه ابن ماجه، رقم: (٣٤٠٢)، وقال: حديث حسن.

(٥) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (١٣٧٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ
فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ، غَيْرَ فَرْعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ -[شدة الفزع
والخوف حتى يذهب بالقلب]-، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ -[أي: في أي دين]-؟
فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ
رَأَيْتَ اللَّهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ
النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ
اللَّهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيَقَالُ
لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيَقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مَتَّ، وَعَلَيْهِ
تَبِعْتُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَجْلِسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَرْعًا مَشْعُوفًا
فَيَقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟
فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُهُ فَيُفْرَجُ لَهُ قَبْلَ الْجَنَّةِ
فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ، ثُمَّ
يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَقَالُ
لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مَتَّ، وَعَلَيْهِ تَبِعْتُ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) (١).

إِنْ فِي إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتُهُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، تَنْبِيهِ لَهُمْ حَتَّى يَجْتَهِدُوا
فِي تَقْوِيَةِ إِيْمَانِهِمْ؛ لِيَبْلُغُوا بِهِ دَرَجَةَ إِيْمَانِ الْيَقِينِ، وَالَّذِي يَتَحَصَّلُ
بِالْمَدَاوِمَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ.

(١) ذكره الألباني، في صحيح ابن ماجه، رقم: (٣٤٦٢).

وفيه تحذير للمؤمنين من المعاصي؛ فإن المذنبين يُعَذَّبون في قبورهم على معاصيهم، وإن من أعظم الذنوب خطراً في عذاب أهل القبور النسيمة، والغيبة وعدم التنزه من البول^(١). فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى أَمَّا أَحَدُهَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ)^(٢). فلنحسن العمل الذي يظهر للميت في قبره إما حسناً وإما سيئاً.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: "كَلَّ يَوْمَ يَقَالُ: مَاتَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَلَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يَقَالُ فِيهِ: مَاتَ عُمَرُ". وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: "إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارِ الْمَوْتِ فِي إِقْبَالِ فَمَا أَسْرَعَ الْمَلْتَقَى"^(٣).

وقال بعضهم: "لِذَا كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا أَنْ نُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ؛ بِالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَفِي أَهْوَالِهِ وَسُكْرَاتِهِ وَشِدَائِدِهِ، وَحَالَةِ الْإِنْسَانِ وَقْتَ الْإِحْتِضَارِ وَمَا سَيُؤَوَّلُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنْ نَعِيمٍ، أَوْ عَذَابٍ وَبِمَاذَا سَيُخْتَمُ عَلَيْهِ وَمَنْ يَتَوَلَّى قَبْضَ رُوحِهِ، هَلْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ أَمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ؟ وَمَا سَيُلْقَى فِي قَبْرِهِ؟ فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ

(١) ينظر: فقه علوم الآخرة، ص: ٧٦.

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٢١٨).

(٣) نهج البلاغة: ٨٧/٤، وحاشية رسالة المسترشدين، ص: ١٦٧.

وأقوى الأسباب للإقلاع عن الانهماك في الدنيا والإقبال على الله" (١).
وفي هذا شواهد قرآنية وحديثية عديدة.

- تذكر الحساب والميزان والصراط: قال الله ﷻ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وعن عائشة رضي الله عنها (أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكتي، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أمّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرؤوا كتابيه، حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم) (٢).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غيًّا مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر) (٣).

(١) الأعمال بالخواتيم، ص: ٢٩، بتصرف.

(٢) أخرجه أبو داود، رقم: (٤٧٥٥)، وقال محقق جامع الأصول: عبد القادر الأرناؤوط:

(٤٧٥/١٠)، حديث حسن، وأخرجه أحمد: (١١٠/٦).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٣٠٦)، وذكره شعيب الأرناؤوط، تخريج رياض الصالحين،

ص: ٩٣.

وقال الحسن البصري رحمه الله: "عجبت لأقوام أمروا بالزاد ونُودي فيهم بالرحيل، وجلس أولُهم على آخرهم وهم يلعبون".

وقال أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي رحمه الله: "إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها في أوان كسادها، فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير".

وكان أبو بكر بن عياش رحمه الله، يقول: "لو سَقَطَ من أحدهم درهمٌ لَظَلَّ يومه يقول: إِنَّا لله، ذَهَبَ دِرْهَمِي وهو يَذْهَبُ عُمْرُهُ، ولا يقول: ذَهَبَ عُمْرِي وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات، ويحفظون الساعات ويلازمونها بالطاعات ^(١)".

- **تذكر أهوال يوم القيامة:** إنه يوم عصيب شديد الأهوال والمؤمن في أمس الحاجة إلى تذكر هذا اليوم وإلى الحياة معه، وإلى العمل له، وإنه مهما أكثر من عمل، فإنه قليل إلى المطلوب منه، لو علم هوله وتصوّر صورته ^(٢).

ففيه يقف العباد جميعاً، صامتين أذلاء، منكسي الرؤوس، لا يتكلم أحد منهم إلا أن يأذن الله له بالكلام. والناس عندها ينقسمون إلى فريقين. قال عليه السلام: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۖ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ ۚ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ

(١) ينظر: مواظب ابن الجوزي، «الياقوتة»، ص: ٥٧-٥٨.

(٢) التفسير القرآني للقرآن: ٩/٩٧٣.

فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ ﴿١٨﴾ (هود: ١٠٥-١٠٨) (١).

ولقد تعددت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تصف أهوال ذلك اليوم العصيب، وأحوال الخلق في هذا اليوم، وإن كل أحد يأتي الله سبحانه وتعالى ذلك اليوم ومعه سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه، وهذا غير شهادة جوارحه، وغير شهادة الأرض التي كان عليها له وعليه، وغير شهادة رسوله والمؤمنين، فإن الله سبحانه يستشهد على العباد، الحفظة والأنبياء والأمكنة، التي عملوا عليها الخير والشر، والجلود التي عصوه بها (٢). قال الله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٥٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤١ - ٤٤]. وقال تبارك وتعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِيرٍ ﴿٦﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦ - ٨]. وقال ﷻ: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ

(١) ينظر: زاد الدعاة: (١/١٥٠).

(٢) الفوائد، ص: ١٣.

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿[القمان: ٣٣]. فيخرج
الناس من القبور فزعين وجلين يصيحون: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ
مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]. وآخرون ينادون: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
هَذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧]. وآخرون ينادون فزعين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ
قَرِيبٍ نُّحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. ويزداد الفزع والرعب
حتى يهرب الناس بعضهم من بعض^(١). قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ
مِّنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ ۖ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ
شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُخْشَرُ
النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا) -[غير مختونين]-. قُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ:
«يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»^(٢).

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ
أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلِمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا
يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ
يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)^(٣).

(١) ينظر: السلسيل المورود قصة رحلة الخلود، أ.د: عبد السلام المجيدي، ص: ٩٣.

(٢) أخرجه مسلم، رقم: (٢٨٥٩).

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٧٤٤٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعاً وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ، أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ) ^(١).

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "إخواني تفكروا في الحشر والمعاد وتذكروا حين تقوم الأشهاد: إن في القيامة لحسرات، وإن في الحشر لظفرات، وإن عند الصراط لَعَثَرَات، وإن عند الميزان لَعِبَرَات، وإن الظلم يومئذ ظلمات، والكتب تحوي حتى النظرات، وإن الحسرة العظمى عند السيئات، فريق في الجنة يرتقون في الدرجات، وفريق في السعير يهبطون الدرجات، وما بينك وبين هذا إلا أن يقال: فلان مات، وتقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، فيقال: فات" ^(٢).

وعن مغيث الأسود أنه كان يقول: "زوروا القبور كل يوم بفكركم، وتوهموا جوامع الخير كل يوم في الجنة بعقولكم وشاهدوا الموقف كل يوم بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة والنار بهممكم، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامها وأطباؤها" ^(٣).

- تذكُّر أهوال النَّار: تنوّعت الآيات التي تصف عذاب أهل النار أعاذنا الله منها. ولهول النار يوم القيامة فقد ذُكرت في القرآن مائة

(١) رواه أحمد: (٤١٨/٢)، ومسلم: (٢٨٦٣)، في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة، والبخاري: (٦٥٣٢)، في الرقاق.

(٢) مواعظ ابن الجوزي، «الياقوتة»، ص: ٥٣.

(٣) أورده أبو نعيم في "الحلية": (١٤٣/١٠)، (٥٠٢).

وخمساً وأربعين مرة. فقد ذكر الله ﷻ أن حرها شديد، وقعرها بعيد ومقامعها من حديد، ثياب أهلها من قطران، يصب فوق رؤوسهم الماء المغلي فلا يفترون عنهم العذاب، ولا هم ينظرون، كما في قوله ﷻ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۚ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن تَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۖ وَلَهُمْ مَقَاصِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

ويكفي في وصف عذاب النار؛ أن غمسة واحدة فيها تنسي المرء كل ألوان النعيم والمتاع في الدنيا، فما بالك بالخلود الأبدي والعذاب السرمدي^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (يُؤْتَى بَأَنَعِمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَارَبِّ، ...) (٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا) (٣).

(١) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ١٧٤/١٤.

(٢) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٨٠٧).

(٣) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٨٤٢).

وعن التَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَيْنِ مِنَ النَّارِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجَلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا) ^(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً. فَقَالَ: «تَذَرُونَ مَا هَذَا؟». قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا) ^(٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) ^(٣).

وعن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَخْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ عَمْرَوًا -[عَمْرُو بْنُ لُحْيٍ]، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ عَلَى الْعَرَبِ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ]- يَجْرُ قُصْبُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ) ^(٤). وعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يُجَاءُ

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٨٤٤).

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٦٤٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٤٦٢٤)، ومسلم في صحيحه، رقم: (٢٨٥٦).

بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَفْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ
كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ
فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟!
قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ^(١).

وعن إبراهيم بن محمد البصري، قال: "نظر عمر بن عبد
العزیز رحمه الله إلى رجل عنده متغیر اللون، فقال له: ما الذي أرى
بك؟ قال: أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين إن شاء الله، فأعاد عليه
عمر، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات، فقال: إذا أبيت إلا
أن أخبرك، فإني دُقت حلاوة الدنيا فصَغُرُ في عيني زهرتها وملاعها
واستوى عندي حجارها وزههها، ورأيت كأن الناس يساقون إلى
الجنة وأنا أساق إلى النار، فأسهرت لذلك ليلي، وأظلمات له نهاري
وكل ذلك صغير وحقير في جنب عفو الله وثوابه -جل وعلا- وجنب
عقابه^(٢).

وذكر "ابن أبي الدنيا" بإسناده عن "سفيان" رحمه الله قال: "كان
عمر بن عبد العزيز رحمه الله ساكناً وأصحابه يتحدثون، فقالوا:
ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكراً في أهل الجنة
كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى"^(٣)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٣٢٦٧)، ومسلم في صحيحه، رقم: (٢٩٨٩).

(٢) التخويف من النار، ص: ٦٤.

(٣) أورده ابن أبي الدنيا، في "الرقعة والبكاء": (٦٦/١)، (٦٣).

وقال مالك بن دينار: "قالت ابنة الربيع بن خثيم عليه السلام: يا أبت، ما لك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام" ^(١).

وقال الإمام ابن الجوزي عليه السلام: "لله درّ قوم أطار ذكر النار عنهم النوم وأطال اشتياقهم إلى الجنان الصوم، فنحلت أجسادهم وتغيرت ألوانهم ولم يقبلوا على سماع الذل في حالهم واللوم ودافعوا أنفسهم عن شهوات الدنيا بغد واليوم، دخلوا أسواق الدنيا فما تعرضوا لشراء ولا سوم -[أي: المساومة أو المفاوضة في البيع والشراء]- وجدوا في الطاعة بالصلاة والصوم، هل عندكم من صفاتهم ياقوم" ^(٢)؟

وقيل لزيد بن مزيد عليه السلام: "ما لنا لم نزل نراك باكياً وجلاً خائفاً فقال: إن الله توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلّا في الحمّام لبكيت حتى لا تجفّ لي عبرة.

وعوتب عطاء السلمي عليه السلام في كثرة البكاء، فقال: "إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله تعالى، مثلت نفسي بينهم فكيف لنفس تغلّ يدها وتُسحب إلى النار ولا تبكي" ^(٣)؟

هذا؛ ولتذكّر أهوال النار يُحسن بالمؤمن أن يكرر تلاوة السور والآيات التي تصفها، منها، قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ

(١) ينظر: التخويف من النار، ص: ٥٥.

(٢) مواظ ابن الجوزي، «الياقوتة»، ص: ٥٤-٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص: ٥٥-٥٦.

كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
فَأَلْفَيْهِ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ
بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ
لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ
مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ [ق: ٢٤ - ٣٠]، وغيرها.

وإننا إذ نذكر بعضاً من أسماء السور وأرقام الآيات، إنما على
سبيل المثال وليس الحصر: سورة البقرة، الآيات: ١٧٤-١٧٥، آل
عمران، الآيات: ١٠ و ١٩٦-١٩٧، النساء، الآيات: ١٤ و ٥٦، المائدة
الآيات: ٣٦-٣٧، الأعراف، الآيات: ٣٦-٤١، يونس، الآيات: ٧-٨ و ٢٧
يس، الآيات: ٥٩-٦٧، ص، الآيات: ٥٥-٦٤، الدخان، الآيات ٤٠-٥٠
الواقعة، الآيات: ٤١-٥٦، الملك، الآيات: ٦-١١، المزمل، الآيات: ١١-
١٣، المدثر، الآيات: ٢٦-٥٦، النبأ، الآيات: ٢١-٣٠، الغاشية، الآيات:
٧-١.

٤- **مجالسة العلماء والصالحين:** إن الجلوس مع الصالحين

يضيف روحانية؛ فهم القوم لا يشقى جليسهم. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحْفُوفُهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -[وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ]- مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَتَاهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَتَاهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ:

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٦٢٨).

فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ^(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لُقْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِمَجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ! وَاسْمَعْ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ! فَإِنَّ اللَّهَ لِيُحْيِيَ الْقَلْبَ الْمَيِّتَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ)^(٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لولا ثلاث في الدنيا لما أحببت البقاء فيها: ١- لولا أن أحملَ أو أُجهزَ جيشاً في سبيل الله. ٢- ولولا مكابدة الليل. -[قيام الليل والعبادة فيه]- لتحصيل ما فيه من جزيل الثواب. ٣- ولولا مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما يُنتَقَى أطايب التمر"^(٣). وكذلك قال في التأكيد على مجالسة أولئك: "لا خير في قوم ليسوا بناصحين، ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين"^(٤). وقال: "جالسوا التَّوَّابِينَ؛ فإنهم أرقُّ أفئدةً"^(٥).

ورُوي عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ: "لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعة ظمأ الهواجر -[وقت الظهيرة عند اشتداد الحر]-، والسجود في

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٦٤٠٨).

(٢) ذكره الألباني، في ضعيف الترغيب، رقم: (٧٨).

(٣) ينظر: مقدمات رسالة المسترشدين: ص: ٢٠.

(٤) المرجع السابق: ص: ١٢٠.

(٥) روضة العقلاء، لابن حبان، ص: ١٨.

الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقى أطايب الثمر^(١). وفي الوقت نفسه فقد حثنا رسول الله ﷺ، على مجالسة المساكين. قال أبو ذر رضى الله عنه، يا رسول الله زدني: فقال ﷺ: (أَحَبُّ المساكين وجالِسُهُمْ)^(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: "لأن يكون لي مجلسٌ من عُبيدِ الله^(٣)، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها. وقال أيضاً: والله إنني لأشتري ليلة من ليالي عُبيدِ الله بألف دينار من بيت المال، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحرّيك وشدة تحفظك؟ فقال: أين يُذهبُ بكم؟! والله إنني لأعود برأيه وبنصيحته، وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إن في المحادثة -[يعني له ومثله]- تلقيحاً للعقل، وترويحاً للقلب وتسريحاً للهم، وتنقيحاً للأدب"^(٤).

وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رضى الله عنه فَقَالَ: "يَا أَبَا سَعِيدٍ كَيْفَ نَصْنَعُ بِمُجَالَسَةِ أَقْوَامٍ يُخَوِّفُونَنَا حَتَّى تَكَادَ قُلُوبُنَا تَطِيرُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْ

(١) سير أعلام النبلاء: ٣٤٩/٢.

(٢) ذكره الألباني، في صحيح الترغيب، رقم: (٢٢٣٣).

(٣) عُبيد الله: التابعي الجليل، "عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود" أحد فقهاء المدينة السبعة، المتوفى: ٩٩ هجري، رضى الله عنه.

(٤) نقله شيخنا عبد الفتاح أبو غدة، في تعليقه على رسالة المسترشدين، ص: ١٠٧-١٠٨، عن ابن خلكان، في كتابه وفيات الأعيان: ٢٧١/١.

تَصْحَبَ أَقْوَامًا يُخَوِّفُونَكَ حَتَّى تُدْرِكَ أَمْنًا، خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ تَصْحَبَ أَقْوَامًا يُؤْمِنُونَكَ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْمَخَافُ" (١).

كما أن في صحبة الأصدقاء المؤمنين خير للعبد وشفاعة له في الآخرة. فلقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا خَلَصَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ وَأَمْنُوا، فَمَا مَجَادِلُهُ أَحَدِكُمْ لَصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ مَجَادِلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أَدْخَلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يَصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَحْجُونَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكلُ النَّارُ صورهم؛ فمنهم من أخذته النَّارُ إلى أنصافِ ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون: رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْ قَدِ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُول: أَخْرَجُوا مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنُ نَصْفِ دِينَارٍ ثُمَّ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَمَنْ لَمْ يَصِدَّقْ هَذَا فليقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَوُتِّ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١٥٠/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، رقم: (٨٥٧)، وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه، رقم: (٥١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: "استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعَةً يوم القيامة" ^(١).

فلا تخالط إلا عاقلاً تقياً، ولا تجالس إلا عالماً بصيراً. فرؤية الرجل الصالح القدوة، تذكر بالله؛ لما يُرى عليه من النور والإشراق والأنس والطمأنينة والمحبة والسكينة، في سمته وهيئته وخشعته. ففي صحبة الصالحين إيناس لوحشة الروح وتخلص من صعوبة التفرد، قال ابن القيم رحمه الله: "وفيه ما يزيل وحشة التفرد ويحث على السير والتشمير للحاق بهم" ^(٢).

واجلس مجلس الحكمة ففيه نفحة من الجنة، تجدها في طريقك وفي دارك، وفي بيتك، فلا يفتك المجلس ولو كنت على معصية، ولا تقل: ما الفائدة من حضور المجلس، وأنا أعصي ولا أقدر على ترك المعصية؟ بل على الرامي أن يرمي، فإن لم يأخذ اليوم يأخذ غداً ^(٣). ثم إنك تحضر المجلس في الجامع ليتوفر عقلك، وإن كان عمرك قليلاً فيصير كثيراً بحصول الإيمان والخشوع والخضوع، والخشية والتدبر والتذكر ونحوها ^(٤).

(١) ينظر: تفسير البغوي، ص: ٨٧٦.

(٢) مدارج السالكين: (٢٢/١).

(٣) تاج العروس، ص: ٢٠.

(٤) المرجع السابق، ص: ٢٨-٢٩.

وإذا حضرت مجلس علم فلا يَكُنْ حضورك إلا حضور مستزيد علماً
وأجراً، لا حضور مستغنٍ بما عندك طالب عثرة تشيعها، أو غريبة
تشنعها، فهذه أفعال الأراذل، الذين لا يفلحون في العلم أبداً^(١).
قال الحسن البصري رحمه الله: "الدنيا كلها ظلمة، إلا مجالس
العلماء"^(٢).

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: "من أراد النظر إلى مجالس
الأنبياء، فلينظر إلى مجالس العلماء"^(٣).
واعلم أن خير مجالس العلماء والصالحين، تلك التي يُذكر فيها
تفسير القرآن الكريم، وتُروى فيها سنة رسول الله ﷺ، ويُعلم فيها
الفقه في الدين^(٤). ورحم الله تعالى من قال:

إذا سكتوا رأيت لهم جمالاً وإن نطقوا سمعت لهم عقولاً^(٥)

وقال آخر^(٦):

بعشرتكم الكرام تُعد منهم فلا تُرينَ لغيرهم ألوفاً

(١) ينظر: مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، لابن حزم الاندلسي، ص: ٢٠٩.

(٢) رسالة المسترشدين: ص: ١٠٢-١٠٨، بتصرف.

(٣) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ص: ١٥٠.

(٤) حاشية رسالة المسترشدين، ص: ١١٨.

(٥) المرجع السابق، ص: ١٦٠.

(٦) المرجع السابق، ص: ١٦٢.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله ^(١):

أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَهُ
وَأَكْرَهُ مَنْ تَجَارَتْهُ الْمَعَاصِي وَلَوْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ

٥- قراءة سير الصالحين: إن لقراءة مناقبهم وفضائلهم: ما

تطمئن به القلوب، وتنشرح به الصدور وتصلح به الأخلاق والأعمال.

قال الحافظ القرشي رحمه الله في فاتحة كتابه "الجواهر
المضية" ٣/١، قال جماعة من السلف في تفسير قوله ﷺ: ﴿الْأَيُّذِكِرُ
اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: هو ذكر أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما حصل
لهم هذا الشرف من وجوه: أعظمها: رؤية النبي ﷺ، والثاني: ما
اكتسبوه من العلم، والثالث: حسن الاتباع له، إلى غير ذلك من
الوجوه. ولما كان كذلك، فالتابعون مشاركون لهم في ذلك، فكان
ذكرهم تطمئن به القلوب، وكذلك من بعدهم ممن تبعهم بإحسانٍ
إلى يوم الدين ^(٢).

وقال الإمام الجنيد رحمه الله: "الحكايات جند من جنود الله ﷻ، يثبت
الله بها قلوب أوليائه، ف قيل: هل لهذا من شاهد؟ قال: شاهده قوله
تبارك وتعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾
[هود: ١٢٠]."

(١) شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه، جمعه وشرحه: محمود بيجو، ص: ١٩٩.

(٢) ينظر: مقدمات رسالة المسترشدين، ص: ١٨-١٩.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آدابُ القوم وأخلاقهم. وشاهده قوله جل ذكره: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال مالك بن دينار رحمه الله: "الحكايات تُحَفُّ الجَنَّةَ. وقال آخر: استكثروا من الحكايات فإنها دُرر، وربما كانت فيها الدُّرَّةُ اليتيمة" ^(١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: "إن المؤمن يُصبح حزيناً ويمسي حزيناً، ولا يسعه غير ذلك؛ لأنه بين مخافتين: بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله ﷻ يصنع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك" ^(٢).

وقال إبراهيم بن سعد الجوهري رحمه الله: "قال لي المأمون: قال لي الرشيد: ما رأت عيناى مثل الفضيل بن عياض، دخلت عليه فقال لي: فرغ قلبك للحزن -[أي: ما يقع للعبد منه بسبب تقصيره في طاعة الله وما قد يقع فيه من الذنوب والمعاصي]- وللخوف حتى يسكناه فيقطعاك عن المعاصي ويباعداك من النار" ^(٣).

(١) ينظر: مقدمات رسالة المسترشدين، ص: ١٢-١٣ بتصرف.

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة: ١٩٧/٤.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤٣٨/٨، والتاريخ الكبير: ٣٣٥/١٢.

وَيُرَوَّى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رحمته الله أَنَّهُ قَالَ: "سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَفْتَحَ عَلَيَّ بَاباً مِنَ الْخَوْفِ فَفَتَحَ، فَخِضْتُ عَلَى عَقْلِي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ عَلَى قَدَرِ مَا أَطِيقُ فَسَكَنَ قَلْبِي" ^(١).

وَقِيلَ: "أَنْ رَجُلًا تَعَلَّقَ قَلْبَهُ بِامْرَأَةٍ؛ فَخَرَجَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ إِلَى حَاجَةِ لَهَا فَذَهَبَ الرَّجُلُ مَعَهَا، فَلَمَّا خَلَا بِهَا فِي الْبَادِيَةِ وَنَامَ النَّاسُ، أَفْشَى الرَّجُلُ سِرَّهُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: انْظُرْ أَنَامَ النَّاسُ بِأَجْمَعِهِمْ، فَفَرَحَ الرَّجُلُ بِقَوْلِهَا وَظَنَّ أَنَّهَا قَدْ أَجَابَتْهُ، فَقَامَ وَطَافَ حَوْلَ الْقَافِلَةِ فَإِذَا النَّاسُ نِيَامٌ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: هُمْ نِيَامٌ فَقَالَتْ: مَا تَقُولُ فِي اللَّهِ ﷻ أَنْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ. فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: إِنَّ الَّذِي لَمْ يَنَمْ وَلَا يَنَامَ يَرَانَا، وَإِنْ كَانَ النَّاسُ لَا يَرُونَنَا، فَذَلِكَ أَوْلَى أَنْ يَخَافَ مِنْهُ. فَتَرَكَهَا الرَّجُلُ خَوْفًا مِنَ الْخَالِقِ، وَتَابَ وَرَجَعَ إِلَى وَطَنِهِ" ^(٢).

لِذَا لَا بَدَ لِمَنْ كَانَ إِيْمَانُهُ وَخَوْفُهُ بِالتَّكْلِيدِ -[لَا بِالْعِيَانِ وَالْمُشَاهَدَةِ بَعِيْنِ الْقَلْبِ]- أَنْ يَعَالِجَ قَلْبَهُ وَنَفْسَهُ، بِاسْتِمَاعِ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي أَمْرِ الْخَوْفِ، وَيَطَالِعِ أَحْوَالَ الْخَائِفِينَ وَأَقْوَالِهِمْ، وَلَا يَنْسِبُ عَقُولَهُمْ وَمَنَاصِبَهُمْ إِلَى مَنَاصِبِ الرَّاجِينَ الْمُغْرورِينَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْاِقْتِدَاءَ بِهِمْ أَوْلَى؛ لِأَنَّهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ. وَأَمَّا الْأَمْنُونَ -[خَوْفُ اللَّهِ]- فَهُمْ الْفِرَاعِنَةُ الْجَهَّالُ الْأَغْبِيَاءُ ^(٣).

(١) الرسالة القشيرية، ص: ١٣١، إحياء علوم الدين: ٤/٢٧٨٧.

(٢) مكاشفة القلوب، للإمام الغزالي، ص: ٢٠.

(٣) تبیین المحارم: ٥/٢٥٦.

٦- سماع المواعظ والخطب: لما لسماعها من أثر في النفوس وحث المؤمن على الاجتهاد في العبادات، والانتفاء عن ارتكاب المعاصي والذنوب، وخشية الله في السر والعلن. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقال جل ذكره: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وجاء في الحديث الشريف، عَنِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قَالَ: (وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ؛ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ) ^(١).

وقيل: "في مجالس الذكر تنزل الرحمة وتغشى السكينة، وتحف الملائكة" ^(٢). فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (...ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت

(١) أخرجه الترمذي، في صحيحه، رقم: (٢٦٧٦).

(٢) لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، ص: ٤٧.

عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ
فِيمَنْ عِنْدَهُ...^(١).

وَيُرَوَّى أَنَّهُ شَكَا رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عليه السلام قَسَاوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ:
"أَذْنُهُ مِنَ الذِّكْرِ. وَقَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ مَحْيَاةُ الْعِلْمِ، وَتَحْدِثُ فِي
الْقَلْبِ الْخُشُوعَ. فَالْقُلُوبُ الْمَيِّتَةُ تَحْيَا بِالذِّكْرِ، كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ
بِالْقَطْرِ"^(٢).

وَقِيلَ: "الْمَوَاعِظُ سَيَاطُ تَضْرِبُ بِهَا الْقُلُوبُ، فَتَوْثُرُ فِي الْقُلُوبِ
كَتَأْثِيرِ السَّيَاطِ فِي الْبَدَنِ. وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ إِذَا خَرَجُوا مِنْ
مَجْلِسِ سَمَاعِ الذِّكْرِ خَرَجُوا وَعَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، فَمِنْهُمْ مَنْ
كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْكُلَ طَعَاماً عَقِيبَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَعْمَلُ
بِمُقْتَضَى مَا سَمِعَهُ مُدَّةً. فَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ تَعْلِيمُ جَاهِلٍ، أَوْ إِيقَازُ
غَافِلٍ"^(٣).

وَإِنْ نَبِيَّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام، كَانَ إِذَا ذَكَرَ خَطِيئَتَهُ يَغْشَى
عَلَيْهِ وَيَسْمَعُ اضْطِرَابَ قَلْبِهِ مِثْلَ فِي مِيلٍ؛ فَأَرْسَلَ اللَّهُ تعالى إِلَيْهِ جَبْرِيلَ
فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: الْجَبَّارُ عليه السلام يَقْرَأُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: هَلْ رَأَيْتَ خَلِيلاً
يَخَافُ خَلِيلَهُ، فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ إِذَا ذَكَرْتَ خَطِيئَتِي، وَفَكَّرْتَ فِي
عُقُوبَتِهِ؛ نَسِيتُ خَلْقِي^(٤).

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٦٩٩).

(٢) ينظر: لطائف المعارف، ص: ٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص: ٥١، بتصرف.

(٤) مكاشفة القلوب، ص: ١٩.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "الدنيا كـرغيف خبز عليه عسل، وقع عليه الذباب فانقطع جناحه؛ فمات ولو سُرَّ برغيف يابس ما هلك" ^(١).

واعلم أن الاستماع للمواعظ والخطب، على اختلاف مصادره سواء أكان من الرأي -[التلفاز]- أو من وسائل التواصل الاجتماعي أثر عظيم. إلا أن حضور مجلس ذكر عند عالم وفقه في الدين أبلغ وأكثر تأثيراً؛ لأنه مما يرقق القلب ويبعث الخوف فيه. ولأن العلماء قالوا: "العين مغرفة الكلام".

٧- الدعاء: فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا) ^(٢).

ولقد صلى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رضي الله عنه بالقوم صلاةً أخفها فكأثمهم أنكروها! فقال: ألم أتمَّ الرُّكُوعَ والسُّجُودَ؟ قالوا: بلى، قال أما أتي دعوتُ فيها بدعاءٍ كانَ النَّبِيُّ ﷺ يدعو به (اللَّهُمَّ بَعِّلِمَكَ الْغَيْبَ

(١) التاريخ الكبير، للبخاري: ٢٣٦/١٠.

(٢) أخرجه الترمذي، في صحيحه، رقم: (٣٥٠٢)، وفي الأذكار، للنووي: (٢٥٥/١).

وقدرتك على الخلقِ أحيي ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي، وتوفّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي، وأسألكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ وكلمةَ الإخلاصِ في الرِّضا والغضبِ، وأسألكَ نعيمًا لا ينفدُ وقرّةَ عينٍ لا تنقطعُ، وأسألكَ الرِّضاءَ بالقضاءِ وبرَدَ العيشِ بعدَ الموتِ ولذّةَ النَّظرِ إلى وجهِكَ والشَّوقَ إلى لقاءِكَ، وأعوذُ بِكَ من ضراءِ مُضرةٍ وفتنةٍ مضلّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ واجعلنا هداةً مُهتدينَ^(١).

وعن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (من سألَ الله تعالى الجنّةَ ثلاثَ مرّاتٍ، قالتِ الجنّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ، ومن استجارَ مِنَ النَّارِ ثلاثَ مرّاتٍ، قالتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجِرْهُ مِنَ النَّارِ)^(٢).

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنه، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ)^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعْتُ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَعُوذُ

(١) رواه قيس بن عباد أو عبادة رضي الله عنه، صحيح النسائي، رقم: (١٣٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٥٧٢)، وصححه.

(٣) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٥٩٠).

بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ^(١).

وجاء في قصة أصحاب الأخدود، (...ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَجَفَّ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ...)^(٢).

وكان النبي ﷺ، إذا خاف قوماً قال: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعُكَ فِي نُحُورِهِمْ ونعوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)^(٣). وكان يدعو ﷺ (...اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي وَأَمِنْ رُوعَاتِي...)^(٤).

وكذلك؛ فإن نبي الله موسى ﷺ دعا ربه فالتجأ إليه: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

ومما اشتهر على ألسنة الناس، قولهم: "اللَّهُمَّ يَا خَفِيَ الْأَلْطَافِ نَجِّنَا مِمَّا نَخَافُ"، وهذا الدعاء -[وإن لم يكن مأثورًا]- ففيه الالتجاء إلى الله والاستغاثة به. والرجاء منه ﷺ ذي اللطف الخفي؛ أن

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٤٨٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم: (٣٠٠٥)، عن صهيب بن سنان الرومي ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود، في صحيحه، رقم: (١٥٣٧)، عن أبي بردة بن عبد الله أن أباه حدثه، وذكره.

(٤) ذكره الألباني في صحيح أبي داود، رقم: (٥٠٧٤)، عن عبد الله بن عمر ﷺ.

ينجينا من كل ما نخافه، فإننا نخاف الله ﷻ، نخاف غضبه ومكره وعذابه، ونخاف سوء المصير، ونخاف القوم الظالمين، ونخاف من شرّ ما خلق الله تعالى، ونخاف من شرّ الوسواس الخناس، ونخاف من الشرور عامة، ونرجو من الله أن ينجينا منها، ونستعيز به سبحانه من كل ذلك.

٨- محاسبة النفس: ومما يعين على تحقيق الخوف من الله تعالى محاسبة النفس. وهي: بأن يتصقح الإنسان ما صدر منه من أفعال فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل^(١). قال ﷺ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]. وقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال ابن القيم رحمه الله: "دلّت الآية على وجوب محاسبة النفس لينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال، أمّن الصالحات التي تنجيه؟ أم من السيئات التي توبقه"^(٢)؟ فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفّ في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه

(١) ينظر: أدب الدين والدنيا، للماوردي، ص: ٣٤٢.

(٢) إغاثة اللهفان: ١/١٥٢.

وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يُحاسب نفسه دامت حسراته وطالت
في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته^(١).
وجاء في الحديث القدسي: (...يا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا
لَكُمْ ثُمَّ أُوقِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ
ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)^(٢).

وقال بعض العلماء: "إن ترك المحاسبة ناشئ من الغفلة" ولذلك
كان مما يدعو به الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اللهم لا تدعني في
غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين؛ لأن الغفلة
حجاب عن الآخرة"^(٣).

وقال رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن
توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر، يوم لا تخفى منكم خافية"^(٤).
وإن أصل فساد القلب ترك محاسبة النفس، فيصبح القلب
مظلماً. فبعض الناس يقتربون الصغائر ولا يحاسبون أنفسهم
عليها، ولا يكثرثون بها. بينما كان الصحابة رضي الله عنهم، يرون ذلك أمراً
عظيماً. عن أنس رضي الله عنه قال: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ
مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ)^(٥).

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، لسعيد حوى، ص: ١٢٢.

(٢) أخرجه مسلم، رقم: (٢٥٧٧)، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٣) المسالك في شرح مؤطأ الإمام مالك: ٤٥١/٣.

(٤) رسالة المسترشدين، ص: ٨٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٦٤٩٢).

وقال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن قَوَّام على نفسه يحاسبها لله وإنما خفّ الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من دون محاسبة" ^(١).

وقال الترمذي رحمه الله: "يُروى عن ميمون بن مهران قال: لا يكون العبد تقياً حتى يُحاسبَ نفسه كما يُحاسبُ شريكه، من أين مَطْعَمُهُ وملبِسُهُ" ^(٢)؟

ولقد مثل بعضهم لكيفية محاسبة النفس، قائلاً: "قد مثلت النفس مع صاحبها بالشريك في المال.

فكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشاركة على ما يفعل الشريك أولاً.

ثم بمطالعة ما يعمل، والإشراف عليه، ومراقبته ثانياً.
ثم محاسبته، ثالثاً.

ثم بمنعه من الخيانة إن اطلع عليه، رابعاً.

فكذلك النفس: يشارطها أولاً على حفظ الجوارح السبعة التي حفظها هو رأس المال. والربح بعد ذلك فمن ليس له رأس مال فكيف يطمع في الربح؟

وهذه الجوارح السبعة، هي: العين، والأذن، والفم والفرج، واليد والرجل. هي مَرَكِب العطب والنجاة فحفظها أساس كل خير

(١) ينظر: إغاثة اللهفان: ٨١/١، البداية والنهاية: ٢٧٢/٩.

(٢) سنن الترمذي: ٢٨٢/٩، إغاثة اللهفان: ٧٩/١.

وإهمالها أساس كل شر. قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]. فإذا شارطها على حفظ هذه الجوارح انتقل منها إلى مطالعتها، والإشراف عليها ومراقبتها، فلا يهملها، فإنه إن أهملها لحظة رتعت في الخيانة ولا بد فإن تمادى على الإهمال تمادت في الخيانة حتى تُذهِبَ رأس المال كله، فمتى أحس بالنقصان انتقل إلى المحاسبة. فحينئذ يتبين له حقيقة الربح والخسران، فإذا أحس بالخسران وتيقنه استدرك منها ما يستدركه الشريك من شريكه: من الرجوع عليه بما مضى، والقيام بالحفظ والمراقبة في المستقبل.

ومما يعينه على هذه المراقبة والمحاسبة: معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً. ومعرفته أن ربح هذه التجارة سُكِّنَى الفردوس، والنظر إلى وجه ربه سبحانه، وخسارتها: دخول النار والحجاب عن الرب تعالى فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم.

فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر؛ أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها، فكل نفسٍ من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا خطر لها، يمكن أن يشتري بها كنزاً من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد. أما إضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسران عظيم، لا

يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم، وأقلهم عقلاً. وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن. قال ﷺ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^(١) وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]"^(١).

والكيس من دان نفسه دائماً، واهتمها بالتقصير ورأى أن ما يعمل به مهمل أكثر قليل بجانب حقيقة شكر الله ﷻ. كالذي يفتح الله على يديه بالأعمال الصالحة لا يعلمها إلا قليل، ويراها المسلمون فلا يعرفون صاحبها. وتكون غايته الله. فما ضره أن يحشر مع قتلى معركة "نهاوند" الذين لا يعرفهم الناس، بل الله يعرفهم.

فعن مدرك بن عوف الأحمسي رضي الله عنه: "بينما أنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ أتاه رسول النعمان بن مقرن فجعل عمر يسأله عن الناس، فجعل الرجل يذكر من أصيب من الناس بنهاوند فيقول: فلان بن فلان وفلان بن فلان. ثم قال الرسول: وآخرون لا نعرفهم. فقال عمر: لكن الله يعرفهم. وفي لفظ آخر: ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم"^(٢).

كما أن في النفس من الأسرار والخفايا ما لا يكشفه إلا عون الله لنا حتى إن سهل بن عبد الله التستري الزاهد يجزم بأن: "معرفة النفس أخفى من معرفة العدو". أي: أن عيوبها تستتر وتُمَوُّ أمرها

(١) ينظر: طب القلوب، ص: ٨٦-٨٩ بتصرف.

(٢) الخراج، لأبي يوسف، ص: ٣٥.

كما يستتر العدو ويخادع. لكنه خفاء لا بد من اقتحامه واستجلائه
إذا أردنا النفس الزكية^(١).

وقال وهيب بن ورد المكي رحمه الله: "إن من صلاح نفسي علي
بفسادها وكفى للمؤمن من الشر أن يعرف فساداً لا يصلحه". فلا
يزهدنك فيها أنها معرفة عيوب وتأمل سالب، بل انظرها على أنها
خطوة ضرورية في طريق الإصلاح كما نظرها وهيب^(٢).

٩- المراقبة: وكذلك؛ فإنها مما يُعين على الخوف من الله. قال
ابن القيم رحمه الله: "هي دوام علم العبد وتيقُّنه باطِّلاع الحقِّ على ظاهره
وباطنه. وهي ثمرة علم العبد بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه
سامع لقوله مطلع على عمله كل وقت، وكل طرفة عين"^(٣).
وقال الجرجاني: "استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع
أحواله"^(٤).

وتتجلّى حقيقة المراقبة، في أن يتيقَّن العبد أن الله سبحانه لا يخفى
عليه شيء من أحواله. قال رحمه الله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]. ولا يخفى عليه خافيه في هذا الكون
قال رحمه الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

(١) ينظر: العوائق، محمد أحمد الراشد، ص: ٧٧.

(٢) الزهد، لابن المبارك، ص: ٥٢٨.

(٣) مدارج السالكين: ٦٥/٢.

(٤) التعريفات، ص: ٢١٠.

فالمؤمن الحق يعلم أن الله محيط به، فيبتعد عن ارتكاب المحرمات في الخلوة والجلوة، فلا تصدر منه خائنة من خشية الله ﷻ في الغيب والشهادة. وإيثار ما أنزل الله وتعظيم ما حرم الله وتصغير ما صغر الله. قال ﷺ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. وفيها التأدب مع الله ﷻ، ودليل كمال الإيمان، وسبب حصول الغفران ودخول الجنان. وقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]. وبراءة من النفاق، فقد ذكر الله ﷻ أخلاق المنافقين بأنهم يخافون من المخلوق، ولا يخشون الرقيب عليهم. وقال ﷺ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُ إِذْ يَبْيِطُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨] (١).

وفي الحديث الصحيح، لما سئل عنه رسول الله ﷺ قال: (...أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...) (٢).

أراد بذلك استحضار عظمة الله، ومراقبته في حال العبادة (٣). وحال العبد لا يخلو إما أن يكون في طاعة، أو في معصية، أو في مباح. فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال، ومراعاة الأدب

(١) منزلة المراقبة في ضوء القرآن والسنة، حمزة شواهنة، ص: ٢٤٥-٢٤٦، بتصرف.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٥٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ص: ٤٣٧.

وحراستها -[أي النفس]- عن الآفات. وإن كان في معصية؛ فمراقبته بالتوبة، والندم والإقلاع، والحياء، والاشتغال بالتفكير. وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب، ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها. ولا يخلو العبد في جملة أحواله من بلية لا بد له من الصبر عليها، ونعمة لا بد له من الشكر عليها، وكل ذلك من المراقبة^(١).

ومما رواه البيهقي في الشعب، عن الأصمعي قال: "حدثني رجل من الأعراب، قال: خرجت ليلة فإذا أنا بجارية تستقي ماء فراودتها عن نفسها فقالت: ويلك إن لم يكن لك زاجر من دين، أمالك زاجر من كرم. فقلت: لها مالك لا يرانا إلا الكواكب، قالت: ويلك وأين مكوكبها"^(٢)؟ أي: أين الله ﷻ الذي يراك، إن كان لا يراك إلا النجوم والكواكب، فإن الله الذي خلقها وكوكبها يراك؟

والمراقبة المطلوبة من الإنسان، تتمثل في:

- أن يراقب الله ﷻ قبل العمل: هل يُقَدِّمُ عليه، أو لا؟ فإن كان رشداً أمضاه، وإن كان غيياً اجتنبه.

- ويراقبه أثناء العمل: بأن يوافق السنّة، فلا يحدث ولا يبتدع ويخلص عمله لله ﷻ؛ فالله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً لوجهه، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٣] لَا شَرِيكَ لَهُ^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، ص: ١٢٥.

(٢) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي، وابن السبكي، والزبيدي: ٢٤٣٥/٦.

- وبعد أداء العمل: على المؤمن أن يسأل نفسه: هل تم هذا العمل بإتقان؟ هل أدى حقه؟ هل أتم أركانه؟ هل حقق شروطه؟ هل وفى آدابه^(١).

وقيل: "إن الاهتمام بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه، وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة. فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة، ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينباع الحكمة من القلب. وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك"^(٢). وقال شقيق البلخي رحمه الله: "رأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والرب تعالى ينظر إلى باطني فرأيت مراقبته أولى وأوجب فسقطت عني رؤية الخلق"^(٣).

وإن في استيلاء مراقبة العبد لربه جل جلاله، حتى كأنه يراه، ما يجلب السكينة. وكلما اشتدت هذه المراقبة أوجبت له الحياء والسكينة والمحبة والخضوع والخشوع والخوف والرجاء ما لا يحصل بدونها. قال إبراهيم بن سفيان رحمه الله: "إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرده الدنيا عنه"^(٤).

(١) ينظر: قد أفلح من زكاها، ص: ٣٠٩ - ٣١٠.

(٢) إحياء علوم الدين: ٨٥/١.

(٣) صفة الصفوة: ٣٤٠/٢.

(٤) بصائر ذوي التمييز: (٥٧٧/٢)، وموسوعة نضرة النعيم، (١٩٠٠).

والعبد محتاج إلى السكينة:

- عند الوسائوس والهواجس المعترضة في أصل الإيمان؛ ليثبت قلبه ولا يزيغ.

- عند الوسائوس والخطرات القادحة في أعمال الإيمان؛ لئلا تقوى وتصير هموماً وغموماً وإرادات ينقص بها إيمانه.

- عند أسباب المخاوف على اختلافها؛ ليثبت قلبه ويسكن جأشه.

- عند أسباب الفرح؛ لئلا يطمح به مركبه فيجاوز الحد الذي لا يُعبر فينقلب ترحاً وحنناً.

- عند هجوم الأسباب المؤلمة على اختلافها، الظاهرة والباطنة، فما أحوجه إلى السكينة حينئذ، وما أنفعها له، وأجداها عليه، وأحسن عاقبتها.

- والسكينة في هذه المواطن علامة على الظفر، وحصول المحبوب واندفاع المكروه، وفقدتها علامة على ضد ذلك، والله المستعان^(١).

فينبغي للمؤمن أن يتمثل دوماً في جميع أحواله: [الله معي.. الله ناظري.. الله شاهدي]. وليتذكر؛ أن الملائكة معه في جميع أحواله وأفعاله. يكتبون كل شيء. قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

١٠- المجاهدة: وكذلك؛ فإن مجاهدة النفس مما يعين على هذا الخوف. والمراد بها: كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة. قال ابن بطال: "جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل"، قال جل

(١) طب القلوب، ص: ٢٣٧-٢٤٢، بتصرف.

ذكره: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] ^(١) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. أي: جاهدوا أنفسهم في هواها، خوفاً منا، واجتهدوا في العمل بالطاعة والكفّ عن المعصية، رغبة في ثوابنا وحنزراً من عقابنا ^(٢).

وجاء في الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: (...والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله) ^(٣).

لذا ينبغي لمن حاسب نفسه، فرآها قد قارفت معصية أن يعاقبها بالعقوبات التي مضت، وإن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل، أو ورد من الأوراد، أن يؤديها بثقل الأوراد عليها، فكهذا كان يعمل عمال الله تعالى، فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة، بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم ^(٤). وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما، "أنه فاتته صلاة في جماعة فأحيا الليل كله تلك الليلة". وإذا لم تطاوعه نفسه على الأوراد، فإنه يجاهد بها ويكرهها ما استطاع.

(١) ينظر: موسوعة نضرة النعيم: ٣٣٠/٥/٨.

(٢) النكت والعيون: ٢٩٤/٤.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم: (١٦٢١)، وأحمد: (٢٣٩٦٧)، واللفظ له، ذكره شعيب الأرنؤوط، في تخريج المسند، رقم: (٢٣٩٦٧)، وقال: حديث صحيح، عن فضالة بن

عبيد رضي الله عنه.

(٤) المستخلص في تزكية الأنفس، ص: ١٢٩.

وقال ابن المبارك رحمه الله: "إن الصالحين كانت أنفسهم تواتهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تواتينا إلا كرهاً".
ومما يستعان به عليها، أن يُسمعها أخبار المجتهدين وما ورد في فضلهم ويصحب من يقدر عليه منهم فيقتدي بأفعالهم.
وقال بعضهم: "كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى وجه محمد بن واسع وإلى اجتهاده؟ فعملت على ذلك أسبوعاً" ^(١).
وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "جاهد نفسك حتى تطمئن؛ فإنها إذا اطمأنت عرفت عيوب الدنيا وزهدت فيها" ^(٢).

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص: ٤٤٠، قد أفلح من زكاها، ص: ٣٢٠.

(٢) الفتح الرباني والفيض الرحمانى، ص: ١٢٦.

المبحث الثاني: ثمرات الخوف:

إنَّ للخوف فوائد مهمة، لعل أبرزها:

أولاً: في الدنيا:

١- الخوف دليل على تمكّن؛ وقوة الإيمان في قلب المؤمن

فالكافر لا يرعوي، قال الله ﷻ: ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠] أمّا المؤمن فيخبت قلبه عندما يُذَكَّرُ بالله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥]. فالذي يخاف من الله لا يخاف أحداً من العباد، وما ذلك إلا من تعظيم طاعة الله في قلب المؤمن، وتخويف الله لعباده. قال الحسن البصري رحمه الله: "يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة، أشدّ إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة، إني أخوفك مقاماً خوفك الله منه: قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]. يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله تعالى في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه" (١).

(١) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١٥٠/٢.

ومما ينسب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام:^(١)

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ
وَمَنْ يُضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبَ الزَّمَانُ صَدَعَكَ
شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

٢- يحجز الإنسان المسلم عن المعصية ويقوم سلوكه وعمله

فيسلك الطريق المستقيم لمرضاة الله جل جلاله، وهذا ما نراه في سلوك أحد ابني آدم حينما همَّ أخوه لقتله. قال الله جل جلاله حكاية عنه: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]، وهذا ما جرى مع ذاك الرجل الذي كان ينوي فعل الفاحشة مع ابنة عمه. فجاء في الحديث الشريف الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وأخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم، عن الثلاثة الذين انحدرت عليهم الصخرة فسدت عليهم الغار. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (...وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأرذتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسي ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتخرجت من الوفوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي

(١) من الشعر المنسوب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، جمعه وشرحه، عبد العزيز سيد

وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا....^(١). فخوف الله هو الذي يكفُّ الأيدي أن تمتد بالأذى، ويحجبها عن القيام به.

فإذا أردت أن تعرف مدى خوفك من الله تعالى فانظر أين أنت من المحافظة على الصلاة؟ والزكاة؟ وأين أنت من الحلال والحرام؟ فالخائف: هو الذي يراقبه الله تعالى في كل حين؛ فيحجزه ذلك عن مخالفة أمره وارتكاب نهيه^(٢).

٣- يُبْعِدُ الْمُسْلِمَ عَنِ الْغُرُورِ وَالْكِبْرِيَاءِ، فَيَسْتَشْعِرُ مَقَامَ الْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ ﷻ فهو يعلم أنَّ القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء.

٤- يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ لِلْإِبْتِعَادِ عَنِ الظُّلْمِ وَالتَّعَدِّيِّ عَلَى حَقُوقِ النَّاسِ فهو يخاف من الجبار المنتقم جلَّ ذكره.

٥- النَّظَرُ فِي نَضْرَةِ النِّعَمِ يَرْفَعُ الْهَمَّةَ لِلْمَزِيدِ مِنَ الْعَمَلِ

الصَّالِحِ، قال الله ﷻ: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]. قال الغزالي^(٣): "الخوف سَوَّطُ الله، يسوق به عباده إلى

المواظبة على العلم والعمل؛ لينالوا بهما رتبة القرب من الله ﷻ"^(٣).

وقال بعضهم: "خَفِ الله في دينك، وَارْجُهُ في جميع أمورك"^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٢٢٧٢).

(٢) ينظر: قلوب أسيرة الرحمن، د. عبد الحميد هنداي، ص: ١٠٦-١٠٧، بتصرف.

(٣) إحياء علوم الدين: ٤/٢٧٢٩.

(٤) رسالة المسترشدين، ص: ٨١.

٦- التمكين في الأرض: فالخوف من الله ﷻ يؤدي إلى التمكين في الأرض والانتصار على الأعداء والأمن من خطرهم، ووراثة الأرض والديار. قال ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣ - ١٤].

٧- النجاة من كل سوء: ولا ننسى كما قدمنا أنفاً أن تدبر القرآن والالتجاء إلى الله تعالى بكلامه بصدق وخشوع وخوف وخشية يؤدي إلى الأمن من العذاب ومن الأعداء.

فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: (ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا)^(١). فهذه الخشية هي التي تحفظ العبد وتنجيه من كل سوء، والنجاة المذكورة في الحديث عامة، فتشمل النجاة في الدنيا والآخرة^(٢).

وقيل: (رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ -[وفي رواية خشية]- اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، رفعه: (خَشْيَةُ اللَّهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ، وَالْوَرَعُ سَيِّدُ الْعَمَلِ). وورد في زبر داوود أن رأس الحكمة خشية الرب^(٣).

(١) السلسلة الصحيحة للألباني: رقم: (١٨٠٢).

(٢) ينظر: كتاب الخوف، للشيخ صالح المنجد. ص: ٣٨.

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، ص: ٤٧٧.

ثانيًا: في الآخرة، له فوائد، منها:

١- الرضى من الله تعالى، كما قال جل ذكره: ﴿جَزَّأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

٢- وعده الله ﷻ بالجنان، قال ﷺ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، فالخائف: من ركب طاعة الله، وترك معصيته، فالرجل يهيم بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه فله جنتان؛ قاله ابن عباس ﷺ ومجاهد ﷺ. وقال الضحاك ﷺ: "هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من مُحَرَّم تركه من خشية الله، وما عمل من خير أفضى به إلى الله لا يحب أن يطلع عليه أحد". وأما قوله: ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ فقال عطاء وابن شَوَذِبٍ ﷺ: "أن ذلك نزل في أبي بكر ﷺ خاصة، حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت، والنار حين بُرِزَتْ" ^(١). وفي تفسير ﴿جَنَّاتٍ﴾: قال رسول الله ﷺ: (جنتان من فضة، أنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عزوجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) ^(٢).

فإن قيل: كيف وعد سبحانه الخائف جنتين فقط؟

(١) ينظر: روح وريحان من سورة الرحمن، ص: ١٨٣-١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري، رقم: (٤٨٧٨)، ومسلم، رقم: (١٨٠)، من حديث عبد الله بن

قيس ﷺ.

يجيب الرازي على ذلك بقوله: لأن الخطاب للثقلين فكأنه قيل: لكل خائفين من الثقلين جنتان، جنة للخائف الإنسي، وجنة للخائف الجني وقيل: المراد به أنه لكل خائف جنتين جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي، وقيل: جنة يثاب بها، وجنة يتفضل بها عليه زيادة؛ لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]؛ أي: الجنة وزيادة^(١). وقال جل ذكره: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

٣- سبب لمغفرة الذنوب والنجاة من النار: كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم)^(٢).

٤- القرب من الله تعالى^(٣)، والفوز بالمتعة تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة: جاء في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (سبعة يُظِلُّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة

(١) ينظر: روح وريحان من سورة الرحمن، ص: ١٨٦.

(٢) أخرجه الترمذي، في صحيحه، رقم: (١٦٣٣).

(٣) قلوب أسيرة الرحمن، ص: ١٢١.

ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ^(١).

قال الحافظ ابن حجر^{رحمته الله}: قوله: "إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ"، الظاهر أَنَّهُ يقول ذلك بلسانه إمَّا ليزجرها عن الفاحشة، أو ليعتذر إليها ويحتمل أن يقوله بقلبه^(٢).

وقوله: "ففاضت عيناه"، أي: فاضت الدموع من عينيه، وأسند الفيض إلى العين مبالغة، كأنَّها هي التي فاضت، قال القرطبي^{رحمته الله}: "وفيض العين بحسب حال الدَّاكر، وبحسب ما يكشف له، ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله^ﷻ، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشَّوق إليه"^(٣).

ولذا ترى أن أولياء الله، يجتمعون تحت ظل عرشه وعلى الرغم من أنهم ليسوا بأنبياء ولا شهداء، إلا أنه يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، وما لهم ألا يكون لهم ذلك، وهم: قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها. فهم؛ لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس.

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رواه البخاري، رقم: (٢٨٩/٦١٠).

(٢) صحيح البخاري: (٦٦٠)، وفتح الباري: ١٤٥/٢.

(٣) فتح الباري: ١٤٧/٢.

ومنادي الحق ينادي عليهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ^(١).

(١) السلسبيل المورود قصة رحلة الخلود، ص: ٩٧.

الفصل الرابع

نماذج من حياة الصالحين، وحياة غير الخائفين من الله تعالى

المبحث الأول: نماذج من الذين خافوا الله تعالى:

أثنى الله ﷻ على عباده الصالحين من المرسلين ومن اتبعهم فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].
وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

إنَّ الخوف -[عموماً]- هو سمة لأهل الإيمان الكُمَّل الخُلَّص من عباد الله ﷻ؛ ففي سيرة رسول الله ﷺ أعظم النماذج، وكذلك في سير الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والتابعين. حيث كانوا في غاية العمل مع غاية الخوف.

- رسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليَّ القرآن قلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: فإني أحبُّ أن أسمعَهُ مِن غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: أُمْسِكْ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ "تسيل دموعهما")^(١).

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٤٥٨٢).

وعن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه، قال: (دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، ... قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبَرِنَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبِّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ. قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حَجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ لِحَيْتِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلِّهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَاتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ: فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ

(١) ينظر: صحيح ابن حبان، رقم: (٦٢٠)، تخريج شعيب الأرنؤوط، بإسناد صحيح على

شرط مسلم.

الله ﷻ بما قال، -[وهو تعالى أعلم]- فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوئك^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: (كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به، قالت: وإذا تحيلت السماء، - [ظهر فيها سحابة فيها رعد وبرق]- تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت السماء، سري عنه فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألته فقال: لعله، يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مِّمَّنْطَرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: (خسفت الشمس، فقام النبي ﷺ فرعًا، يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد، فصلّى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعلُهُ، وقال: هذه الآيات التي يُرسل الله، لا تكون لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكن يخوف الله به عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره)^(٣).

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٠٢).

(٢) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٨٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (١٠٥٩).

- خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:

حيث لم يكن منه إلا هفوة واحدة، فكم خاف واستغفر، وقال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]^(١). وقال كعب في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]. كان إذا ذكر النار قال: أوه. قال الشوكاني: إنه الذي يكثر التأوه من ذنوبه^(٢).

- آدم وداود عليه السلام:

قال علقمة بن مرثد: "لو عُدل بكاء أهل الأرض ببكاء داوود ما عدله، ولو عُدل بكاء أهل الأرض، ببكاء آدم حين أُهبط إلى الأرض ما عدله"^(٣).

- أبو بكر الصديق عليه السلام:

وهو الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]. كان يقول: "لو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله"^(٤). وكان ﷺ شجي النشيج^(٥)، كثير البكاء^(٦). وكان

(١) ينظر: منهاج العابدين، ص: ١٥٨.

(٢) فتح القدير، للشوكاني: ٤١١/٢.

(٣) صلاح الأمة في علو الهمة: ١٩٣/٤.

(٤) عظماء الإسلام، لمحمد سعيد مرسي، ص: ٨.

(٥) شجي النشيج: الشَّجْوُ: الحُزْنُ، والنَّشِيجُ: الصَّوْتُ الذي يتردَّدُ في الحَلْق. ينظر: النهاية

في غريب الحديث والأثر، (شَجَا): ٤٤٧/٢.

(٦) روح وريحان من سورة الرحمن، ص: ١٨٦.

يقول: "وَدِدْتُ أَنِّي شَعْرَةٌ فِي جَنْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ^(١). وَكَانَ يَمْسِكُ بِلِسَانِهِ وَيَقُولُ: هَذَا الَّذِي أَوْزَدَنِي الْمَوَارِدَ وَكَانَ يَبْكِي كَثِيرًا، وَيَقُولُ: ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا. وَكَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ عُوذٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﷻ"^(٢). فلما مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ واشتدَّ مَرَضُهُ قَالَ: (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ: مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ؛ فَإِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ)^(٣).

وعن الحسن رضي الله عنه، قال: "أبصر أبو بكر رضي الله عنه، طائراً على شجرة. فقال: طوبى لك يا طائر تأكل الثمر، وتقع على الشجر، لوددت أني ثمرة ينقرها الطير"^(٤).

وَكَانَ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عُذْرَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، وَلَا أَنْفَعُهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. فَقَالَ ﷺ:

(١) رواه أحمد في الزهد: (٩٠)، رقم: (٥٦٠)، وذكره ابن الجوزي في المنتظم: (٤/٦٣).

من حديث أبي عمر الجوني رضي الله عنه.

(٢) الداء والدواء، لابن القيم، ص: ٩٣.

(٣) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٤٢٠)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) الزهد، لابن المبارك، ص: ٥١.

بَلَىٰ وَاللَّهِ، إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَأَعَاد النِّفْقَةَ إِلَى مَسْطَحٍ، وَقَالَ:
وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا^(١).

- الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان مع قوّته الشديدة يسمع الآية فيخّر مغشياً عليه من
الخوف، سمع قول الله ﷻ: ﴿وَيَدَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا
يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، فخر مغشياً عليه، وسمع قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ
يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] فخر مغشياً عليه^(٢).

وكان يقول: "لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس إنكم داخلون
الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا هو"^(٣). كما أنه ﷺ
سأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، الذي هو أمين سر رسول الله ﷺ والذي
أطلع رسول الله على أسماء المنافقين، فقال له: أنشدك بالله ﷻ!
ألم يسمني رسول الله منهم؟ قال: لا"^(٤).

ولمّا طُعِنَ ﷺ، -[من قبل أبي لؤلؤة المجوسي لعنه الله]- دخل عليه
شابٌ فقال: "أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وُلِّيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص: ٤٣٠، واللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون،

لموسى بن راشد العازمي، ص: ١٢٥، بتصرف.

(٢) عظماء الإسلام، ص: ١٢.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية: ٥٣/١

(٤) جامع الكتب الإسلامية، نماذج من خوف السلف، د. سفر بن عبد الرحمن

الحوالي، م: ١، ص: ١.

شَهَادَةً، قَالَ: وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كَفَافٌ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي" (١). وقال ﷺ: أفي الإمارة تُثني عليّ يا ابن العباس ﷺ؟! فقلت: وفي غيرها. قال عمر ﷺ: والذي نفسي بيده، لو دِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ فِيهَا؛ لَا أَجْر وَلَا وَزَرَ (٢)!

وقال ﷺ: "لو أن لي طلاع-[ملء]- الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه" (٣). وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر (٤).

وقال ابن عمر ﷺ: "كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه فقال لي: ضع رأسي. قال: فوضعتُه على الأرض. فقال: ويلى وويل أُمي، إن لم يرحمني ربي" (٥).

وعن مصعب بن سعد، قال: "قالت حفصة لعمر ﷺ: يا أمير المؤمنين اكتسيت ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير. فقال: إني سأُخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقي من شدة العيش، وكذلك أبو بكر ﷺ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة، رقم:

(٣٧٠٠)، عن عمرو بن ميمون ﷺ.

(٢) ينظر: سمير المؤمنين، ص: ٨٣.

(٣) شرح السنة: ٣٧٣/١٤.

(٤) عظماء الإسلام، ص: ١١-١٣ بتصرف.

(٥) شرح السنة: ٣٧٣/١٤.

فقال لها: أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد؛ لعلّي أدرك عيشهما الرخي" (١).

- ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَبْكِي حَتَّى يَبْلَّ لَحِيَّتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا رَأَيْتُ مَنَظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ) (٢). وَقَالَ أَيْضًا: "لَوْ أَنَّنِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَا أَذْرِي إِلَى أَيَّتَهُمَا يُؤَمَّرُ بِي لَأَخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتَهُمَا أَصِيرُ" (٣).

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كَانَ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ مِنْ اثْنَتَيْنِ: طُولِ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، قَالَ: "فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً وَالْآخِرَةَ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ" (٤).

(١) ينظر: صفة الصفوة، ابن الجوزي: ٩٤/١.

(٢) رواه هاني مولى عثمان رضي الله عنه، صحيح ابن ماجه، رقم: (٤٣٦١)، وقال: حديث حسن.

(٣) حلية الأولياء: ٦١/١.

(٤) الداء والدواء، ص: ٤٨.

وَقَالَ فِي وصيته لابنه الحسن عليه السلام: "يَا بُنَيَّ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذَكَرَ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتَفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ؛ حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذْتَ وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ وَلَا يَأْتِيكَ بَغْتَةً فِيهِرَكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَتَكَالِبُهُمْ عَلَمُهَا؛ فَقَدْ نَبَأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعْتَ لَكَ نَفْسَهَا وَتَكْشِفُ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّ أَهْلَهَا تَاهَوْا فِي خَيْرَاتِهَا وَغَرَقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبْتَ بِهِمْ وَلَعَبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يَسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا" ^(١).

- أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

قال: "وددت أني كبش، فذبحني أهلي، وأكلوا لحمي وحسوا مرقى" ^(٢).

- أبو هريرة رضي الله عنه:

إنه كان على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء رضي الله عنهم. بكى في مرضه فقيل: ما يبكيك؟ قال: "ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بعد سفري وقلة زادي" ^(٣)، وأني أمسيتُ في صعود ومَهْبُطَةٌ على جنة أو نار، فلا أدري إلى أيهما يؤخذ بي" ^(٤).

(١) ينظر: موارد الظمان لدروس الزمان: ٥١٣/٢-٥١٤، بتصرف.

(٢) الداء والدواء، ص: ٤٨.

(٣) التاريخ الكبير: ٤/١٥٧.

(٤) الزهد، لنعيم بن حماد: ٣٨/٢.

- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

كان يخاف من كثرة ماله أن يهلكه. عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: "دخل عليها عبد الرحمن بن عوف، فقال: يا أمّه، قد خفت أن يهلكني كثرة مالي، أنا أكثر قريش مالا، قالت: يا بني فأنفق" ^(١). قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

- الصحابي أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه:

أبو سفيان؛ المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، كان أخا النبي ﷺ من الرضاعة. قال أبو إسحاق السبيعي: "لما احتضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال: لا تبكوا علي، فإني لم أتنطّف -[أي: لم أتلطخ]- بخطيئة منذ أسلمت". لله دره، ثنتا عشرة سنة لم يفعل خطيئة وحياته كلها طاعة. فكان يصلي في الصيف نصف النهار حتى تكرر الصلاة، ثم يصلي من الظهر إلى العصر ^(٢).

- الصحابي ثابت بن قيس رضي الله عنه:

وخوفه أن يكون قد حبط عمله: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: (لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا

(١) أخرجه أحمد، تخرجه المسند، رقم: (٢٦٥٤٩)، وقال: صحيح.

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة: ١٣/٥.

تَشْعُرُونَ ﴿ [الحجرات: ٢]. وكان ثابت بن قيس بن الشَّماس رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنتُ أرفع صوتي على رسول الله ﷺ حَبِطَ عملي، أنا من أهل النار، وجلس في بيته حزينًا، فتفقده رسول الله ﷺ، فانطلق بعض القوم إليه، فقالوا له: تفقدك رسول الله ما لك؟ فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي وأجهر بالقول حبط عملي، وأنا من أهل النار، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال فقال: لا، بل هو من أهل الجنة^(١).

- الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاصؓ:

كان يقول: "لأن أدمع دمعة من خشية الله أحبُّ إلي من أن أتصدَّق بألف دينار"^(٢).

- عمر بن عبد العزيزؓ:

يروى عنه أنه قرأ ذات يوم، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]. فبكى بكاءً شديداً حتى سمعه أهل الدار فجاءت فاطمة فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهما، فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال فقال له: يا أبت ما يبكيك؟ فقال: يا بني! خير، ودَّ أبوك أنه لم

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (١١٩).

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة: ١٩٥/٤.

يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني! لقد خشيت أن أهلك وأن أكون من أهل النار^(١).

وكان يقول: "من خاف الله ﷻ، أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يَخَفِ الله تعالى، خاف من كل شيء"^(٢).

وعن ابن أبي حاتم قال: "لما مرض عمر بن عبد العزيز ﷻ جاء بطبيب فقال له: داء ليس له دواء غلب الخوف على قلبه. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لو جعلت على طعامك أميناً لا تُغتال، وحرساً إذا صليت وتنحَّ عن الطاعون -[أي: انتقل عن الشام]-، قال: "اللهم إن كنت تعلم أنني أخاف يوماً دون يوم القيامة فلا تُؤمِّنْ خوفي"^(٣).

وعن عطاء قال: "كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة"^(٤).

وكان ﷻ من أشد الناس خشية لله تعالى، وقد كان يتمثل الأبيات التالية^(٥):

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ وليك نومٌ والردى لك لازم

(١) ينظر: فقه سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، أبو المجد محمد شريف الراشد، ص: ٤١٢.

(٢) شعب الإيمان: ٢٠٦/٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٣٩/٥.

(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي: ١٢٨/٣.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، ص: ٣٤٥.

وَتُشْغَلُ فيما سوف تَكْرَهُ غَبَّهَ كذلك في الدنيا تعيش الهائم

- الإمام أبو حنيفة النعمان رحمته الله:

روى مسعود بن شعبة بسنده إلى الحسن بن صالح قال: "كان أبو حنيفة شديد الورع، مجانباً للحرام تاركاً لكثير من الحلال مخافة الشبهة، ما رأيت فقيهاً قطّ أشدّ صيانة منه لنفسه وعلمه." وروى الموفق بسنده إلى مسعر بن كدام، قال: "كنت أمشي مع أبي حنيفة فوطئ على رجل صبي لم يره، فقال الصبي: لأبي حنيفة: يا شيخ، ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟ فغشي على أبي حنيفة، فأقمت عليه حتى أفاق، فقلت له: يا أبا حنيفة، ما أشد ما أخذ قلبك قول هذا الصبي؟ فقال: أخاف أنه تُقَنَّ" ^(١).

ولقد كان شديد الخوف من الله، وكان لا يخاف من أحد في الخلق حتى ولو كان سلطاناً باطشاً، فعن مليح بن وقيع قال سمعت أبي يقول: "كان أبو حنيفة عظيم الأمانة، جليلاً في نفسه يؤثر ربه على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله، لاحتمل" ^(٢).

وعن يحيى بن أكثم أنه قال: "سمعت ابن داود يقول: أراد ابن هبيرة أبا حنيفة على قضاء الكوفة فأبى وامتنع، فحلف ابن هبيرة إن هو لم يفعل ليضربنّه بالسَّياطِ على رأسه، ف قيل لأبي حنيفة فقال: ضربة لي في الدنيا أسهل علي من مقامع الحديد في الآخرة والله

(١) أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء، وهبي سليمان غاوي، ص: ٨٧-٨٨، بتصرف.

(٢) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ص: ٢٢١.

لا فعلت ولو قتلتني، فحكي قوله لابن هبيرة فقال: بلغ من قدره أن يُعارض يميني بيمينه، فدعاه فقال شَفَاهَاً وحلف له إن لم يَلِ ليضربنَّ على رأسه حتى يموت، فقال أبو حنيفة: هي موتة واحدة فأمر به فَضْرِبَ عشرين سوطاً على رأسه، فقال أبو حنيفة: "اذكر مقامك بين يدي الله فإنه أذل من مقامي بين يديك، ولا تهددني فإني أقول [لا إله إلا الله] والله سَأِئِلُكَ عني حيث لا يقبل منك جواباً إلا بالحق" فأوماً إلى الجلاد أن أمسك، وبات أبو حنيفة في السجن فأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب، فقال ابن هبيرة: إني قد رأيت النبي ﷺ في النوم وهو يقول لي: أما تخاف الله تضرب رجلاً من أمتي بلا جرم، وتهدده؟! فأرسل إليه فأخرجه واستحلَّه^(١).

وكان أحمد بن حنبل رحمه الله، إذا ذكر ذلك له بكى وترحم على أبي حنيفة وذلك بعد أن ضرب أحمد^(٢).

- الإمام مالك بن أنس رحمه الله:

قال ابن المبارك رحمه الله: "رأيت مالكا فرأيت من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أني كثيراً ما كنت أسمعُه يقول: من أحب أن يُفتح له فرجة في قلبه، وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن عمله في السر أكثر منه في العلانية." وقال المغيرة: "خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة فمررت بمالك

(١) ينظر: أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للصيمري، ص: ٦٧.

(٢) تاريخ بغداد: ٤٤٩/١٥، الإمام أبو حنيفة، محمد الشيخ طاهر البرزنجي ومروان بن

عزيز الكردي، ص: ٢٦-٢٧

ابن أنس، فإذا به قائم يصلي حتى بلغ ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. فبكى بكاءً طويلاً وجعل يرددها ويبكي حتى طلع الفجر فلما تبين له ركع، فصرت إلى منزلي فتوضأت، ثم أتيت المسجد فإذا به في مجلسه، والناس حوله، فلما أصبح نظرت فإذا بوجهه قد علاه نورٌ حسن^(١).

- الإمام الشافعي رحمه الله:

رُوي أنَّ سفيان بن عُيينة حدث حديثاً في الرقائق والشافعي جالس، فلما سمع الحديث غشي عليه. وروي أيضاً: أنه سمع مرة من الحارث بن ليبيد في مكة المكرمة على الصفا؛ يقرأ قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۖ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]. وكان حسن الصوت، فتغير لونه، واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً، وخر مغشياً عليه، فلما أفاق جعل يقول: أعوذ بالله من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين، إلهي! هب لي جودك! وجللني بسترِكَ واعف عن تقصيري بكرم وجهك! وحكي أنه وقع سوطه من يده مرة، فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاءً عليه خمسين ديناراً^(٢).

(١) الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، عبد الغني الدقر، ص: ٣٢٠-٣٢١، بتصرف.

(٢) ينظر: سمير المؤمنين، ص: ١٥٤-١٥٥.

- الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

قال: "الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فلا أشتهيه".
وقال: "الخوف من الله ومراقبته، هما التقوى، والتقوى هي الدين كله" ^(١). ويروى عن أبي بكر المروزي رحمه الله، أنه قال: "دخلت على أحمد رحمه الله يوماً فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرض، ونبیه ﷺ يطالبه بأداء السنة والمملكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يطالبه بقبض روحه وعياله يطالبونه بالنفقة" ^(٢)؟

وروي عن ولد أحمد بن حنبل رحمه الله، أنه قال: "كان أبي إذا دعا له رجل يقول: الأعمال بخواتيمها. وكنت أسمعه كثيراً يقول: اللهم سلم، اللهم سلم" ^(٣).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله: "سمعت أبي يقول: رأيت رب العزة عز وجل في المنام، فقلت: يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك فقال: كلامي يا أحمد، قال قلت: يارب بفهم أو بغير فهم، قال: بفهم وبغير فهم" ^(٤).

(١) ينظر: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، عبد الغني الدقر، ص: ٢٢٧.

(٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص: ٢٨٤.

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٨٣.

(٤) المرجع السابق، ص: ٤٣٤.

وجاء عن الربيع بن سليمان رحمه الله؛ أنه قال: "كتب على يدي الشافعي كتاباً إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله، ثم قال لي: يا أبا سليمان انحدر بكتابي هذا إلى العراق؛ ولا تقرأه فأخذت الكتاب وخرجت من مصر حتى قدمت العراق، فوافيت مسجد أحمد بن حنبل فصادفته يصلي الفجر فصليت معه، ولما انفلت من صلاتي سلمت عليه وأوصلت الكتاب إليه فجعل يسألني عن الشافعي طويلاً قبل أن ينظر في الكتاب، ثم فضّه وقرأه حتى إذا بلغ موضعاً منه بكى وقال: أرجو الله تعالى أن يحقق ما قاله الشافعي، قلت يا أبا عبد الله أي شيء قد كتب؟ قال: إنه يذكر في كتابه أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله في نومه وهو يقول له: يا ابن ادريس بشر هذا الفتى؛ أبا عبد الله أحمد بن حنبل أنه سيمتحن في دين الله ويدعى إلى أن يقول القرآن مخلوق فلا يفعل، وأنه سيضرب بالسياط، وأن الله عز وجل ينشر له بذلك علماً لا ينطوي إلى يوم القيامة"^(١).

- الحسن البصري رحمه الله:

كان خوفه وحزنه، لعلمه بأنه عز وجل لا يبالي ما فعل، فخاف أن يقع بوصف الجبرية في ترك المبالاة وأن يجعله نكالاً لأصحابه وموعظة لأهل طبقته. وقيل: "إذا رأيته قاعداً كأنه أسير قديم ليضرب عنقه وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها وإذا سكّت كأن النار تسعّر بين عينيه." وعوتب في شدة حزنه، فقال: "ما

(١) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص: ٤٥٦-٤٥٧، بتصرف.

يؤمنني أن يكون قد اطلع عليّ في بعض ما يكره فَمَقَّتَنِي، فقال:
اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل في غير معمل". وذلك من شدة
التعظيم لله تعالى^(١).

- مالك بن دينار رحمه الله:

قال: "بينما أنا أطوف بالبيت إذ بجويرية متعبدة، متعلقة بأستار
الكعبة وهي تقول: يا رب، كم شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعاتها!
وتبكي، فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر. وقال مالك: فلما رأيت
ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول: ثكلت مالكا أمه"^(٢). وروي
عنه: "إذا عرف الرجل من نفسه علامة الخوف وعلامة الرجاء فقد
تمسك بالأمر الوثيق، أما علامة الخوف فاجتناب ما نهى الله عنه
وأما علامة الرجاء فالعمل بما أمر الله تعالى به"^(٣).

- سفيان الثوري رحمه الله:

يُحكى أنه بكى ليلة إلى الصبح، ف قيل: "بكاؤك هذا على الذنوب؟
فحمل تبناً وقال: الذنوب أهون على الله من هذا، إنما أخشى أن
يسلبني الله تعالى الإسلام"^(٤).

(١) ينظر: قوت القلوب: ٨٤/٣.

(٢) إحياء علوم الدين: (١٨٤/٤).

(٣) البرهان في شعب الإيمان، علي الشريجي، ص: ١٠١.

(٤) تبين المحارم: ٢٥٧/٥ - ٢٥٨.

- وهيب بن ورد المكي طبيب القلوب ﷺ:

فقد قال رحمه الله: "إن استطعت أن لا يشغلك عن الله تعالى أحدٌ فافعل. وقال: لا يكون هم أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همُّه في إحكامه وتحسينه فإن العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه. وقال أيضاً: لأن أدع الغيبة أحب إليّ من أن يكون لي الدنيا -[منذ خُلقت إلى أن تفتى]- فأجعلها في سبيل الله، ولأن أغض بصري، أحب إلي من أن تكون لي الدنيا -[منذ خُلقت إلى أن تفتى]- فأجعلها في سبيل الله، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقوله في ترك ظاهر الإثم وباطنه: "اتق الله أن تسبَّ إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر". وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: "قيل لوهيب بن ورد: أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا ولا من همَّ بمعصية"^(١).

- علي بن الفضيل بن عياض رحمه الله:

قال محمد بن ناجية: "صليت خلف الفضيل، فقرأ قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١]، في الصباح، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]. غلبه البكاء، فسقط ابنه عليٌّ مغشياً عليه".

(١) صلاح الأمة في علو الهمة: ١٧/٥.

وقال إبراهيم بن بشار: "الآية التي مات فيها علي بن الفضيل هي في سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]. فمع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه، رحمه الله" (١).

- الترمذي رحمه الله:

قال عمر بن علك: "مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم، والحفظ، والورع، والزهد. بكى حتى عمي، وبقي ضريعاً سنين" (٢).

- الحافظ ابن عساكر رحمه الله:

يروى ابنه القاسم: "أنه كان يحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة" (٣).

- الإمام ابن تيمية رحمه الله:

انظر إلى هذا الجبل الرباني، الذي يقول: "والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً" (٤).

وقال الذهبي عن ابن تيمية: "كان ثابتاً لا يداهن ولا يُحابي، بل يقول الحقَّ المرَّ - قال النبي ﷺ: (قُلِ الْحَقُّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا) (٥) - الذي أدَّاه

(١) وقفات وتأملات في حياة التابعين والتابعات، محمد بن رياض الأثري، ص: ٨٩.

(٢) تذكرة الحفاظ: (٦٣٤/٢)، وتهذيب التهذيب: (٣٨٩/٩).

(٣) المرجع السابق: ٢١/٥.

(٤) صلاح الأمة في علو الهمة: ٢٤/٥.

(٥) رواه المنذري، في الترغيب والترهيب: (٢٠٠/٣)، عن أبي ذر الغفاري رحمه الله.

إليه اجتهاده، وَحَدَّةَ ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما
اشتهر منه من الورع، وكمال الفكر، وسعة الإدراك، والخوف من
الله العظيم، والتعظيم لحرّمات الله" (١).

- عامر بن قيس رضي الله عنه:

قيل له: إنك تبيت خارجاً أما تخاف الأسد؟ قال: "إني لأستحي من
ربي أن أخاف شيئاً دونه" (٢).

(١) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، ص:

(٢) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر: ٢٠٣/١٥.

نماذج من حياة بعض النساء:

- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

كانت تقول: "من أرضى الله عز وجل بإسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أرضى الناس بإسخاط الله، وكلّله الله إلى الناس" ^(١).

ومما يروى عن مناقبها، "أنه جاء عبد الله بن عباس رضي الله عنه، يستأذن على عائشة رضي الله عنها، قبيل موتها وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقال لها: هذا عبد الله بن عباس يستأذن عليك. فقالت: دعني من ابن عباس فإنه لا حاجة لي به ولا بتزكيتته. فقال: يا أمتاه إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك ويودعك. قالت: فأذن له. فدخل فلما أن سلم وجلس قال: أبشرى. قالت: بيم؟ قال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة، إلا أن تخرج الروح من الجسد. كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح ﷺ ليطلبها حين يصبح في المنزل فأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله أن تيمموا صعيداً طيباً، فكان ذلك في سبيلك. وما أذن الله لهذه الأمة من الرخصة، فأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه؛ إلا وهي تتلى فيه آناء الليل والنهار. فقالت: دعني منك يا ابن عباس فو

(١) ينظر: أعلام النساء، لعمر رضا كحالة: ١١٨/٣.

الذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً^(١). وفي رواية أنها قالت: ياليتني كنت نباتاً من نبات الأرض ولم أكن شيئاً مذكوراً. وفي رواية أخرى أنها قالت: والله لوددت أني كنت شجرة، والله لوددت أن الله لم يكن خلقي^(٢).

- أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها:

كانت كريمة سخية، صوامة قوامة شهد لها بذلك رسول الله ﷺ. عن عبد الله بن شداد أن رسول الله قال لعمر: إن زينب بنت جحش أواهة. قيل: يا رسول الله، ما الأواهة؟ قال: الخاشعة المتضرعة؛ وتلا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]^(٣).

- رابعة العدوية رضي الله عنها:

هي: رابعة بنت إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب. قال ابن الجوزي: كانت فطنة، ومن كلامها الدال على قوة فهمها قولها: أستغفر الله من قلة صدقي في قلبي: أستغفر الله. وكانت تقول: مُحب الله لا يسكن أنينه وحنينه، حتى يسكن مع محبوبه^(٤). وليس صحيحاً ما نُسب إليها من أقوال، مثل: "إني لا أعبدك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك؛ ولكن لأنني أحبك." وليس صحيحاً ما

(١) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٦٠/٨.

(٢) أعلام النساء: ١٢٤/٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢١٧/٢.

(٤) صفة الصفوة: ٢٠٩/٢ - ٢١٠، عظماء الإسلام، ص: ٤٢٤.

رتبوه على زهدهما من معان فاسدة؛ كالعشق الإلهي، والفناء في الله والشهود والمبالغات^(١).

ولقد كانت كثيرة البكاء، قُرئ عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت. وكانت تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها. وكانت تقول: "اكتموا حسناتكم كما تكتُمون سيئاتكم". وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة^(٢). ومما يُنسب لها ولم نقف على صحته والتأكد منه تمثلها بهذا القول^(٣):

يا حبيب القلوب أنت الحبيب	أنت أنسي وأنت مني قريب
يا طبيباً بَطِّبْهُ يتداوى	كل ذي عِلَّةٍ فنعم الطبيب
طلعتْ شمسٌ مَنْ أُحِبَّ بليلاً	فاستنارتْ وما تلاها غروب
إنَّ شمس النهار تغرب بالليل	وشمس القلوب ليست تغيب
وإذا ما الظلام أسدل سترًا	فإلى ربها تحنّ القلوب

- حبيبة العدوية^(ع):

عن عبد الله المكي، قال: "كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح؛ فشدت عليها درعها وخمارها. فقالت: إلهي، غارت

(١) ينظر: عظماء الإسلام، ص: ٤٢٤.

(٢) صفة الصفوة: ٢/٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) تاريخ الطبري: (٢٢٣/١١).

النجوم ونامت العيون وغلّقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيه، وهذا مقامي بين يديك".

فإذا كان السحر؛ قالت: "اللهم وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهناً أم رددتها عليّ فأعزّى فوعزتك، لهذا دأبي ودأبك أبداً ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا وقع قلبي في غير جودك وكرمك" ^(١).

- أمية بنت أبي المورع رضي الله عنه:

قال أبو الوليد، رباح بن أبي الجراح العبدي: "ما رأيت قط مثل أمية بنت أبي المورع الموصلية، كانت من العابدات الخائفات، وكانت إذا ذكرت النار، قالت: دخلوا النار وأكلوا وشربوا من النار وعاشوا ثم تبكي! وكانت كأنها حبة على مقل، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت" ^(٢).

- حفصة بنت سيرين: أم الهذيل، الفقيهة، الأنصارية رضي الله عنه:

قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، وماتت وهي ابنة تسعين. وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال: "اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ". وقالت عنها جاريتهما: "أنها كانت امرأة صالحة، فهي الليل كله تبكي وتصلّي" ^(٣).

(١) ينظر: صفة الصفوة: ٢/٢١٢، وصلاح الأمة في علو الهمة: ٤٤٣/٢.

(٢) صفة الصفوة: ٢/٢١٢.

(٣) المرجع السابق: (٣٢٤/٤)، وسير أعلام النبلاء: (٥٠٧/٤).

- معاذة بنت عبد الله ﷺ:

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: "بلغنا أنها كانت تحيي الليل عبادة، وتقول: "عجبت لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد في ظلم القبور" (١).

(١) سير أعلام النبلاء: (٥٠٨/٤).

المبحث الثاني: نماذج من حياة الذين لا يخافون الله ﷻ:

لقد قصّ علينا القرآن الكريم خبر الكفار والعصاة الذين استكبروا على الله؛ وأكثروا في الأرض الفساد وكانوا ظالمين ولم يتوبوا. فجاء في حقهم التهديد والوعيد، قال سبحانه تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ جُعِرُمُْونَ﴾ [المرسلات: ٤٦]. وقال جلّ ذكره: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ﴾ [الزمر: ١٦]. أي: جعل ما أعدّه لأهل الشقاء من العذاب داعياً يدعو عباده إلى التقوى وزجراً عما يوجب العذاب. فسبحان من رحم عباده في كل شيء، وسهل لهم الطرق الموصلة لله، وحثهم على سلوكها، ورغبهم بكل مرغب تشاق له النفوس وتطمئن له القلوب. وحذرهم من العمل لغير ذلك غاية التحذير^(١). وفي ذلك موعظة بليغة من الله تعالى. وقال جل ذكره: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ قَوْلُ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ - ٧]. أي: بالذين ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ③ قَوْلُ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ. أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ: أَمْصِيبٌ هُوَ أَمْ مُخْطِئٌ. وَاخْتُلِفَ فِيمَنْ نَزَلَ هَذَا فِيهِ، فَذَكَرَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَقَالَهُ الْكَلْبِيُّ وَمَقَاتِلٌ. وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْهُ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِّنْ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص: ٥٦٠.

الْمُتَأَفِّقِينَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ. وَقِيلَ فِي أَبِي جَهْلٍ. وَقِيلَ: فِي غَيْرِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ ^(١).

والخلاصة: أن السورة تجعل تكذيب المرء بالقيامة والحساب سبباً لإقدامه على إيذاء الضعيف، ومنع المعروف ^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۖ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِرْهَا ۖ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿النور: ٣٩-٤٠﴾. إِنَّ الْكَافِرِينَ أَعْرَضُوا عَنْ نُورِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ الْوَحِيدُ لِلْهُدَايَةِ، وَانْطَلَقُوا يَلْتَمِسُونَ أَسْبَابَ سَعَادَتِهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ وَالْجُحُودِ وَالْكُنُودِ، وَالْكِبَرِ وَالْفُجُورِ، فَأَخَذُوا يَتَعَثَّرُونَ فِي كُلِّ وَادٍ مِّنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ وَالْقَلْقِ وَضِيقِ الصَّدْرِ وَالْوَانِ الْخَبِيَةِ، وَيَتَجَدَّدُ عِنْدَهُمُ الْأَمَلُ فَيَكْرَرُونَ الْمَسْعَى، وَهَكَذَا، حَتَّى تَأْتِيَهُمْ مَنَآيَاهُمْ وَهُمْ ظَامِئُونَ لِلْظَّفَرِ بِسَعَادَتِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَجِدُونَهَا، وَعِنْدئِذٍ يَرُونَ أَنَّ الدُّنْيَا الَّتِي سَعَوْا وَرَاءَهَا بِمِثَابَةِ سَرَابٍ خَادِعٍ وَعِنْدئِذٍ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ يَحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، لِيَجَازِيَهُم بِالْعَدْلِ ^(٣). قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلْهَكُمُ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢١٠.

(٢) تفهيم القرآن العظيم، محمد فاروق الزين، ص: ٤٠٨.

(٣) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،

ص: ١٣١.

التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④
 كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ
 لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿التكاثر: ١-٨﴾.

وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فكما أن نظام الخلق قائم على عدم إمكان دخول الجمل^(١) بجثته الكبيرة في ثقب الإبرة لل تفاوت الكبير بين جسم الجمل وفراغ ثقب الإبرة مع بقاء كلٍّ منهما على مستوى أبعاده، كذلك قوانين عدل الله وحكمته تقضي بأن لا يدخل الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عن الخضوع لها، جنته التي أعدها للذين آمنوا ولم يستكبروا عن طاعة الله والخضوع لجلاله، وسلطان أمره التكليفي^(٢).

فينبغي الاعتبار مما جاء من ذكر قصص الكفار وأخبارهم في القرآن الكريم، فإنه يُقاس عليهم كل من فعل فعلهم. ويكفي أن نعلم أن قصة موسى مع فرعون وردت في القرآن ثلاث وثمانين مرة من أجل نعتير بها ونعرف كيف نتعامل مع الكافرين والملحدين ومن سعى سعيهم في كل زمان ومكان. هذا؛ ونذكر منهم:

(١) دخل الجمل في سم الإبرة، وهو ثقبها، قاله: الطبري: (٤٣٤/١٢).

(٢) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص: ١٥١-١٥٢.

- ابن نبي الله نوح:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢) قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿[هود: ٤٢- ٤٣].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا الابن هو -[يام]- أخو سام وحام ويافث وقيل: اسمه -[كنعان]-. وكان كافراً عمل عملاً غير صالح، فخالف أباه في دينه، فهلك مع من هلك" (١).

- آزر أبو نبي الله إبراهيم:

كان ممن يعبد الأصنام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]. قال القرطبي رحمه الله: "قال محمد ابن إسحاق والكلبي والضحاك رحمهم الله: إن آزر أبا إبراهيم عليه السلام، وهو [تارح]، مثل إسرائيل ويعقوب. قلت: فيكون له اسمان كما تقدم. وقال مقاتل: [آزر] لقب، و[تارح] اسم. وحكاه الثعلبي عن ابن إسحاق القشيري، ويجوز أن يكون العكس، قال الحسن: كان اسم أبيه آزر" (٢). وقال ابن كثير رحمه الله: "قال ابن جرير: والصواب أن اسم أبيه آزر. ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه تارح، ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان، كما

(١) ينظر: قصص الأنبياء، ص: ٩٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤٣٣/٨.

لكثير من الناس، أو يكون أحدهما لقباً. وهذا الذي قاله جيد قوي والله أعلم^(١). وذكر الله تعالى ما كان بين إبراهيم وأبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعا أباه إلى الحق بالطف عبارة وأحسن إشارة تبين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه، فكيف تغني عنه شيئاً، أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر^(٢)؟ قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۚ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ﴾ [مريم: ٤١ - ٤٥]. قال ابن كثير^(٣): "وقد استغفر له إبراهيم ﷺ كما وعده في أذنيه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. كما قال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَعْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۖ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]"^(٣).

وعن أبي هريرة^(٤)، عن النبي ﷺ قال: (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ أَرْزَقَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَغْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٨٩/٣.

(٢) قصص الأنبياء، ص: ١٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص: ١٣٧.

إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأُبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِحٍ -[الذبيح: ذكر الضباع الكثير الشعر]- فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ^(١).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رحمته الله: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ فِي الدُّنْيَا لَمَّا مَاتَ مُشْرِكًا فَتَرَكَ الْإِسْتِغْفَارَ لَهُ، لَكِنْ لَمَّا رَأَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَدْرَكَتْهُ الرَّأْفَةُ وَالرِّقَّةُ؛ فَسَأَلَ فِيهِ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسِيحٌ يَسَّ مِنْهُ حِينَئِذٍ فَتَبَرَّأَ مِنْهُ تَبَرُّوًّا أَبَدِيًّا"^(٢).

- فرعون:

قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [النازعات: ١٥]. جَاءَ التَّكْلِيفُ الْإِلَهِيُّ لِمُوسَى، عَقِبَ ذِكْرِ النَّدَاءِ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى: ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [النازعات: ١٧]. وَالطُّغْيَانُ أَمْرٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَلَا أَنْ يَبْقَى. إِنَّهُ أَمْرٌ كَرِيهٌ مُفْسِدٌ لِلْأَرْضِ، مُخَالَفٌ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، مُؤَدٍّ إِلَى مَا يَكْرَهُ. فَمَنْ أَجَلَ مِنْهُ يَنْتَدِبُ اللَّهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْتَارِينَ. لِيَحَاوِلَ وَقِفَ هَذَا الشَّرِّ، وَمَنْعَ هَذَا الْفُسَادِ وَإِبْطَالِ هَذَا الطُّغْيَانِ. وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ كَيْفَ يَخَاطَبُ الطَّاغِيَةَ بِأَحَبِّ أَسْلُوبٍ، وَأَشَدِّ جَاذِبِيَّةٍ لِلْقَلْبِ لَعَلَّهُ يَنْتَهِي، وَيَتَّقِي غَضَبَ اللَّهِ وَأَخْذَهُ: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى﴾ [النازعات: ١٨]. هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنْ رَجَسِ هَذَا الطُّغْيَانِ، وَدَنْسِ

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٣٣٥٠).

(٢) فتح الباري: ٥٠١/٨.

ذاك العصيان؟ هل لك إلى طريق الصلاة والبركة؟ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ
فَتَحْسَبِي﴾ [النازعات: ١٩]. هل لك أن أعرفك طريق ربك؟ فإذا عرفته
وقعت في قلبك خشيته. فما يطغى الإنسان ويعصي إلا حين يذهب
عن ربه بعيداً. ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠]. لقد بلغ موسى ما
كلف تبليغه. بالأسلوب الذي لقّنه ربه وعرفه. ولم يفلح هذا
الأسلوب في إلانة القلب الطاغى الخاوي من معرفة ربه؛ فأراه موسى
الآية الكبرى. آية العصا واليد البيضاء. ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ
ۖ فَخَشَرَ فَدَآىٰ﴾ [النازعات: ٢١-٢٣]. أدبر يسعى في الكيد والمحاولة
فحشر السحرة والجماهير، ثم صدرت منه الكلمة المليئة بالغرور
والجهالة. ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. وأمام هذا التطاول
الوقح، بعد الطغيان البشع، وهنا تحركت القوة الكبرى: ﴿فَأَخَذَهُ
اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَقِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥]. ويقدم الله نكال الآخرة على
الأولى؛ لأنه أشد وأبقى. فهو النكال الحقيقي الذي يأخذ الطغاة
والعصاة بشدته وبخلوده. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَحْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦].
فالذي يعرف ربه يخشاه، وهو الذي يدرك ما في حادث فرعون من
العبر لسواه^(١).

وأخبرنا الله ﷻ، عن قوم عاد وثمود وفرعون فجمع في هذه
الآيات القصار مصارع أقوى الجبارين الذين عرفهم التاريخ القديم.

(١) ينظر: في ظلال القرآن، ص: ٣٨١٤-٣٨١٥-٣٨١٦. بتصرف

قَوْمَهُ فِي زِينَتِهِ ^ص قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَكَّتْ لَنَا مِثْلَ مَا
أُوتِيتَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ
ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ
﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ
بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآفُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ^ص
لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ^ص وَيَكَآفُهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الْأْدَارُ
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ^ع وَالْعَقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص: ٧٦ - ٨٣]. قال شيخ المفسرين الطبري رحمته الله: "وهذا
قول أكثر أهل العلم: إنه كان ابن عم موسى. قال قتادة: وكان يسمى
-[المنور]- لحسن صورته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق
السامري؛ فأهلكه البغي لكثرة ماله. وقال شهر بن حوشب: زاد في
ثيابه شبراً طويلاً؛ ترفعا على قومه" ^(١). وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما
والسدي: "أن قارون أعطى امرأة بغياً مالاً على أن تقول لموسى عليه
السلام وهو في مأل من الناس: إنك فعلت بي كذا وكذا، فيقال: أنها
قالت له ذلك. فأرعد من الفرق وصلى ركعتين، ثم أقبل عليها
فاستحلفها من ذلك على ذلك، وما حملك عليه، فذكرت أن قارون
هو الذي حملها على ذلك، واستغفرت الله وتابت إليه. فعند ذلك

(١) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص: ٣٩٠.

خرّ موسى لله ساجداً، ودعا الله على قارون. فأوحى الله إليه: إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك، والله أعلم" (١).

- أبو جهل:

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۚ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۚ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ۚ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۚ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۚ﴾ [القيامة: ٣١ - ٣٥]. قال القرطبي رحمه الله: "أي: لم يُصدّق أبو جهل ولم يُصلِّ، وكذب بالقرآن وتولى عن الإيمان، وراح يتبختر افتخاراً بذلك". وقال قتادة: "أقبل أبو جهل بن هشام يتبختر، فأخذ النبي ﷺ بيده فقال: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۚ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۚ﴾. فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئاً إني لأعزُّ من بين جليها. فلما كان يوم بدر أشرف على المسلمين فقال: لا يُعبد الله بعد هذا اليوم أبداً، فضرب الله عنقه وقتله شر قتلة" (٢).

- أبو لهب عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

قال الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ﴾ [المسد: ١ - ٣]. قيل: إنَّ سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن يزيد: أن أبا لهب أتى النبي ﷺ فقال: ماذا أُعطى إن آمنت بك يا محمد؟! فقال: كما يُعطى المسلمون قال: مالي

(١) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير: ٣١٠/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٩.

عليهم فضل؟! قال: وأي شيء تَبْغِي؟ قال: تَبَا لهذا من دين، أن أكون أنا وهؤلاء سواء. وقيل: إن أبا لهب أراد أن يرمي النبي ﷺ بحجر فمنعه الله من ذلك وأنزل الله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ لل منع الذي وقع به ^(١).

- امرأة أبو لهب:

قال الله ﷻ: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ٤ في جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿[المسد: ٤ - ٥]. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: "كانت تمشي بالنميمة بين الناس". وقال قتادة وغيره: كانت تُعَيِّر رسول الله ﷺ بالفقر. ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها، فَعُيِّرَتْ بالبخل. وقال ابن زيد والضحاك: "كانت تحمل العِضَاهَ والشوك؛ فتطرحه بالليل على طريق النبي ﷺ وأصحابه"، وقاله: ابن عباس ؓ. قال الربيع: "فكان النبي ﷺ يطؤه كما يطأ الحرير". وقال ابن عباس ؓ في رواية أبي صالح، ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال: سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً وقاله مجاهد وعروة بن الزبير: تدخل من فيها وتخرج من أسفلها، ويلوى سائرها على عنقها" ^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٥٤٥/٢٢.

(٢) المرجع السابق: ٥٥٠-٥٥٢-٥٥٤.

- امرأة نوح، وامرأة لوط:

قال الله ﷻ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۚ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠].
قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة، وليس المراد ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين. وقال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قتة: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما، يقول في هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: "مازنتا، أما امرأة نوح: فكانت تخبر عنه أنه مجنون، وأما امرأة لوط: فكانت تدل قومها على أضيافه" (١).

وجاء في الأحاديث النبوية ذكر بعضهم، منهم:

- كعب بن الأشرف اليهودي:

من زعماء يهود بني النضير، قام بتحريض قريش على الأخذ بثأرها، ومحو عار هزيمتها في بدر، وكان يؤدي نساء الصحابة ببذاءة لسانه أشد الإيذاء، وكان يهجو النبي ﷺ في شعره ويسبّه. فقال النبي ﷺ: (مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ -رضي الله عنه-: أَتَجِبُ أَنْ أَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا -[يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ]- قَدْ عَنَّا

(١) تفسير ابن كثير: ١٧١/٨

وَسَأَلْنَا الصَّدَقَةَ، قَالَ: وَأَيْضًا، وَاللَّهِ لَتَمْلُئَنَّهُ، قَالَ: فَإِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ
فَنَكَرَهُ أَنْ نَدْعَهُ، حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُهُ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُ
حَتَّى اسْتَمَكَّنَ مِنْهُ فَقَتَلَهُ^(١).

- عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين:

سيد قبيلة الخزرج، كان أول لقاء له مع النبي ﷺ في ما رواه
الإمام البخاري رحمه الله عن أسامة بن زيد (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ
عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَذَكِيَّةٌ وَأَرْذَفَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَرَاءَهُ؛ يَعُودُ
سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سُلُولٍ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ -[أَيَّ يَتَظَاهَرُ بِالْإِسْلَامِ]-
وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ
وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ
خَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَيِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَقَفَ فَتَنَزَّلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ
فَقَالَ ابْنُ سُلُولٍ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ: إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا
فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ
عَلَيْهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: "بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاعْشِنَا بِهِ فِي
مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نَحِبُّ ذَلِكَ" فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ، وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ
حَتَّى كَادُوا يَتَنَاقِضُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا، ثُمَّ
رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّ

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٣٠٣١)، عن جابر بن عبد الله رحمه الله

سَعْدٌ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ، -[يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ]-، قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ؛ فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ -[أي: يثرب]- عَلَى أَنْ يَتَوَجَّوْهُ فَيُعَصِّبُوهُ فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بَذْلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ^(١).

ولقد فعل من المؤامرات الشيء العجيب، فخان الله ورسوله وخان الخيانات جميعها من الصغرى إلى العظمى، إلى خيانة دولة المسلمين وإلى التجسس لحساب العدو مع إخوانه المنافقين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ [المائدة: ٤١]^(٢). وهو الذي بادر مع عصبة اليهود في إطلاق حادثة الإفك والافتراء على أم المؤمنين عائشة عليها السلام. فجاء الوعيد الإلهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِ مِّنْهُمْ مَّا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٥٦٦٣).

(٢) ينظر: رأس المنافقين، الموقع الرسمي للشيخ صالح المنجد، تاريخ النشر: ٣/ربيع الآخر/١٤٢٠، بتصرف.

- أول من تُسْعَرُ بهم النار يوم القيامة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَٰكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌّ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)^(١).

- الجبارون الذين لا يخافون الله:

جاء في الحديث، عن النبي ﷺ، قال: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (١٩٠٥).

يُسَاقُونَ إِلَى سَجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يَسْعَى بُوْلُسُ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسَقَوْنَ
مِنْ غُصَاةٍ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ^(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أَوَّلُ مَنْ
يَخْتَصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ وَامْرَأَتُهُ، وَاللَّهُ مَا يَتَكَلَّمُ لِسَانُهَا وَلَكِنْ
يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا يَشْهَدَانِ عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ تُغَيِّبُ لِرِجْوِجِهَا، وَتَشْهَدُ يَدَاهُ
وَرِجْلَاهُ بِمَا كَانَ يُؤْلِمُهَا، ثُمَّ يُدْعَى الرَّجُلُ وَخَادِمُهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ يُدْعَى
أَهْلُ الْأَسْوَاقِ وَمَا يُوجَدُ ثُمَّ دَوَانِقُ -[سُدُسُ الدَّرْهَمِ]- وَلَا قَرَارِيضُ وَلَكِنْ
حَسَنَاتٌ هَذَا تُدْفَعُ إِلَى هَذَا الَّذِي ظَلِمَ وَسَيِّئَاتُ هَذَا الَّذِي ظَلَمَهُ
تُوضَعُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَبَّارِينَ فِي مَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُقَالُ:
أُورِدُوهُمْ النَّارَ فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي يَدْخُلُونَهَا، أَوْ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَنْ
مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]^(٢).

- الحكام الظالمون والعاملون بغير تقوى الله تعالى:

الناس في هذه الحياة الدنيا فريقان مؤمن مطيع لله ولرسوله صلى
الله عليه وسلم، وظالم عاصٍ مُصِر على العداوة لله ولرسوله.
فالمخالفون لأمر الله ورسوله عمداً، المتعلّقون بأكابر الشياطين
هؤلاء هم الصادّون عن سبيل الله المضلّون للاتباع. وكذلك فإن
معنى الصد عن سبيل الله: أن تضع يدك في فم من يقول الحق حتى
لا يقوله، أو تعترض بسلطانك سائراً على الصراط المستقيم حتى

(١) أخرجه الترمذي، في جامعه، رقم: (٢٤٩٢)، وقال: حديث حسن، عن عبد الله بن

عمرو رضي الله عنه.

(٢) الدر المنثور، للسيوطي: (٦٥٩/١٢)، أخرجه الطبراني، بسند لا بأس به.

تَلَوِيَّ عُنُقِهِ، وَتُضَلُّلَ سَعْيِهِ وَتَجَعُّلِهِ يَنْتَكِسُ بِأَيِّ أَسْلُوبٍ. هَذَا هُوَ
الْصِدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالضَّلَالِ الْمَضَاعِفِ^(١). وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ
مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِينَ ۖ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]. فَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُ ذَرَّةُ خَوْفٍ
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ لَمْ يَتَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَصْلَحْ سَوْفَ يَعَذِّبُهُ اللَّهُ
عَذَابًا أَلِيمًا. وَقَالَ الْمَوْلَى ﷺ: ﴿وَلَا تَحَسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۚ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي
رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ
يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)^(٢).
وَعَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعِيَاضِ بْنِ غَنَمٍ وَهْشَامِ بْنِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا، أَشَدُّ النَّاسِ
عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٣).

(١) ينظر: خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، قطب عبد الحميد
قطب، مراجعة: د. محمد عاشور: ١٥١/٢، بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (١٤٢).

(٣) ذكره الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٩٩٨).

وقال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "قد رأيت في قطر من الأقطار قتل حكامه عشرة من أئمة المساجد وأحرقوهم؛ لأنهم رفضوا التسوية بين الرجل والمرأة في الميراث!! هذا وقع في الصومال سابقاً ويريد الله أن الأنهار التي تجري في الصومال قد جفت!! ويريد الله أن الحكام هناك يتسولون الأكل لمن حولهم، وهيهات!!" وقس على هذا المشهد غيره من المشاهد في البلاد العربية والإسلامية.

وإن من يعمل بغير صدق ووفاء وإخلاص. كالذي يدلس ويغش الناس فيما يقوم به من أعمال وخدمات لهم، كالطبيب الذي لا يخاف الله في مرضاه، والمهندس الذي يتعهد الأعمال من تصميم وبناء وصيانة، وظلم بعض شركات التأمين، والعاملين في مجال خدمات الصيانة للسيارات، أو الأجهزة الالكترونية إلى غير ذلك. ولا يجعل مخافة الله وتقواه في قلبه. كيف لهم بناء أعمالهم على أساس متين؟

قال ابن القيم رحمه الله: "من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به، فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه. وإنما العارف همته تصحيح الأساس وإحكامه والجاهل يرفع البناء عن غير أساس، فلا يلبث بنيانه أن يسقط"^(١).

وفي ختام حديثنا عن الخوف، لنتأمل قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾

(١) ينظر: الفوائد، ص: ٢٢٨.

[طه: ١٢٤]. يبين الله عز وجل حالة من أعرض عن ذكر الله بعد أن آمن به، وأبصر نوره، فجره إعراضه إلى نسيان ذكر الله بتركه، وترك العمل به، وغيابه عن ذاكرته، حتى كان كالكاfer به الأعمى عن رؤية نوره، وأنه بسبب ذلك يحشر أعمى مع الكفرة العميان، والمراد عى البصيرة عن رؤية الحق الرباني الذي هو مطلوب الدين من العالمين^(١). فعلينا أن نتعظ حتى يتحقق لنا الإيمان قال تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. فتواب الخائف من الله تعالى، -جنة عرضها السموات والأرض-، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]. وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦]. وهكذا؛ فقد استعرضنا في هذا الفصل المباحث التي تتعلق بأهم ما جاء في مسألة الخوف. من بيان أهميته، والترغيب فيه، وأنواعه وأسبابه وثمراته وبعض النماذج المطلوبة فيها. وسننتقل إن شاء الله إلى الباب الثاني؛ لنحدث عن الرجاء وما يتعلق به.

(١) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص: ٢٤٣-٢٤٤.

الباب الثاني: الرجاء: وفيه فصلان:

تمهيد:

الفصل الأول: مفهوم الرجاء: وفيه:

المبحث الأول: تعريف الرجاء وما يتصل به.

المبحث الثاني: أسباب الرجاء.

الفصل الثاني: فضيلة الرجاء وثمراته، وكيف أكون راجياً: وفيه:

المبحث الأول: فضيلة الرجاء والترغيب فيه.

المبحث الثاني: ثمرات الرجاء.

المبحث الثالث: كيف أكون راجياً؟

المبحث الرابع: نماذج بعض من الراجين في الله تعالى.

الباب الثاني

في الرجاء

تمهيد:

إن الرجاء في الله سبحانه وتعالى من أهم مطالب هذا الدين الحنيف فهو يتعلّق برحمته؛ ورحمته تبارك وتعالى واسعة، فكلما كان الإيمان بسعة هذه الرحمة قوياً يكون الرجاء أكثر. ولقد جاء فيه من الآيات أربع وثلاثون آية، ومن الأحاديث ثمانية وأربعون حديثاً ومن آثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم نحو ثمانية آثار^(١). وإذا كان الرجاء حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليهم الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلاً، فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد، وهو غفور رحيم، لطيف بعباده متعطف عليهم. فهذا الشأن إذا تأملناه حق التأمل قوي به أسباب الرجاء لدينا. ومن الاعتبار أيضاً: النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا، ووجه الرحمة للعباد بها، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في سورة البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقليل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: "الدنيا كلها قليل، ورزق الإنسان منها قليل، والدّين قليل من رزقه، فانظر كيف أنزل الله

(١) موسوعة نضرة النعيم: ١٨٦٦/٥، ٢٠٢٢.

تعالى فيه أطول آية؛ ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دِينِهِ
فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه!"^(١).

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: ٤/٢٧١٠.

الفصل الأول

مفهوم الرجاء

المبحث الأول: تعريف الرجاء وما يتصل به:

- **الرجاء في اللغة:** هو الأمل، وهو نقيض اليأس^(١). ولا يطلق الرِّجاء إلَّا مع الشَّكِّ، وَمَنْ تيقَّن النَّفْعَ لم يكن راجيًا له^(٢). وهو عند محمد أبي بكر الرازي -اللغوي-: من الأمل الممدود^(٣).

- **أما الرجاء في الاصطلاح الشرعي:** فهو الظَّنُّ بوقوع الخير، أو توقُّع حصول الخير، أو هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب^(٤). وقيل: هو عبارة عن إسكان القلب بحُسن الوعد. وهو قوت الخائفين وفاكهة المحرومين^(٥).

وقال ابن القيم رحمه الله: "الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى"^(٦). ولعلَّه التعريف الجامع المانع والله أعلم.

وقال الراغب: الرجاء ظَنٌّ يقتضي حصوله مافيه مسرة^(٧).

(١) ينظر: لسان العرب: ٣٠٩/١٤، والتعريفات: ١٠٩/١.

(٢) الفروق اللغوية: ٢٤٠/١.

(٣) مختار الصحاح، ص: ١٥٦.

(٤) إحياء علوم الدين: ٢٧٠/٢.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي: ص: ٨٤٣.

(٦) موسوعة نضرة النعيم، ص: ٢٠٢٢.

(٧) مفردات الراغب، ص: ٣٤٦.

وعرفه المحاسبي، بقوله: "أن ترجو قبول الأعمال. وجزيل الثواب عليها وتخاف مع ذلك أن يرد عليك عملك، أو يكون قد دخلته آفة أفسدته عليك" (١).

فكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال، وبالرجاء يكون عيش القلوب واستقلالها (٢). وكذلك فالرجاء هو اسم لقوة الطمع في الشيء، بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشيء، ولذلك أقام تعالى -[الطمع]- مقام الرجاء في التسمية وأقام الحذر مقام الخوف، فقال ﷺ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. وقال ﷺ: عن المسلم القانت: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩] (٣).

- معاني كلمة الرجاء في القرآن الكريم:

جاء الرجاء في القرآن الكريم على عدة أوجه، منها:

أولها: بمعنى الخوف، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي: ما لكم لا تخافون.

الثاني: بمعنى الطمع، قال جل ذكره: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وقال سبحانه: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]

(١) آداب النفوس، ص: ٥١.

(٢) الرسالة القشيرية، ص: ١٣٢.

(٣) الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص: ١٤٤.

الثالث: بمعنى توقع الثواب، قال تبارك وتعالى: ﴿يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] (١).

- الفرق بين الرجاء والغرور والتَّمني:

سبق أن ذكرنا تعريف الرجاء؛ بأنه: توقُّع حصول الخير، أو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب، وهذا المحبوب المتوقَّع لا بدَّ أن يكون له سبب، فإن تحقَّقت أسبابه المتقدِّمة فهو الرجاء، فمن آمن بالله ﷻ واجتهد في الطَّاعات، وابتعد عن المنكرات وتاب عند الزَّلات، ورجا رحمة الله ﷻ ومغفرته ورضوانه وجنته، فهو الصَّادق في رجائه، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، كالتَّاجر يُخْطِطُ وَيُفَكِّرُ ويعمل ويبذل جهده ثم يأمل الرِّيح ويرجوه.

أمَّا توقُّع المحبوب مع عدم تحقُّق الأسباب، فهو الغرور والحمق (٢)، كمن أراد الرِّيح الوفير، والمال الكثير، من غير جهد ولا عمل، كذلك من أراد الآخرة ولم يعمل عملها، بأن انغمس في المعاصي، وابتعد عن الطَّاعات، فهو كاذب في دعواه، قال ﷺ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٥٠/٣.

(٢) إحياء علوم الدين: ٢٧٠ ٢/٤ بتصرف.

مَشْكُورًا ﴿[الإسراء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴿١٣٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿[النساء: ١٢٣ - ١٢٤].

قال ابن القيم رحمه الله: "والفرق بين الرجاء وبين التمني: أنَّ التَّمَنِّي
يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء
يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، فالأول كحال مَنْ يتمنى أن
تكون له أرض يبذر بها ويأخذ زرعها، والثاني كحال مَنْ يشقُّ أرضه
ويفلحها ويبذر بها، ويرجو طلوع الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أنَّ
الرجاء لا يصحُّ إلا مع العمل" ^(١).

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: "الرجاء حالة أثمرها العلم بجريان أكثر
الأسباب، وهذه الحالة تُثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على
حسب الإمكان.... فقد علم أرباب القلوب، أن الدنيا مزرعة الآخرة
والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى
تقليب الأرض وتطهيرها، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها
كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر، ويوم القيامة يوم الحصاد
ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما
ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو بذر في أرض
سبخة؛ فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة من الله برجاء صاحب

(١) مدارج السالكين: ٣٧/٢.

الزراع، فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مُسَوّس، ثم أمدّه بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نَقَّى الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده، ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دَفَعَ الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يُتمّ الزرع غايته، فهذا يُسمَّى انتظاره رجاء وإن بَثَّ البذر في أرض صلبة سَخِيخة مرتفعة لا ينصبُّ إليها الماء، ولم يشتغل بتعهّد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه، سُمِّي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء، وإن بَثَّ البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً سُمِّي انتظاره تمنياً لا رجاء. فالعبد إذا بَثَّ بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على المواظبة، والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات، أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا، ثم انتظر المغفرة، فانتظاره حمق وغرور. قال سبحانه وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخْذُوا أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وقال ﷺ: (وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ) ^(١).

أما العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي، فحقيق أن ينتظر من فضل الله تمام النعمة، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة، والعاصي إذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]. ومن ينهمك فيما يكرهه الله تعالى، ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع؛ فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بثّ البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية".

وقال أيضاً: "والرجاء محمود؛ لأنه باعث ومحرك، واليأس مذموم، وهو ضده؛ لأنه صارف عن العمل. والخوف من الله ﷻ ليس بضدٍ للرجاء، بل هو رفيق له، وهو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة" ^(٢).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "الرجاء مع العصيان حماقة" ^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق، رقم: (٢٤٥٩)، عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه، وقال: حديث حسن.

(٢) إحياء علوم الدين: ٢/٤-٢٧٠-٢٧٠٥، موعظة المؤمنين، محمد جمال الدين القاسمي، ص: ٤٢٥-٤٢٦، المستخلص في تركية الأنفس، ص: ٢٨٧-٢٨٩.

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاري: ٤٦٦/١.

وقال الحسن البصري رحمه الله: "إن قوماً ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا، ولا حسنة لهم، يقول أحدهم: أحسن الظن بربي! وكذب؛ لو أحسن الظن لأحسن العمل له. وتلا قوله ﷺ: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]" (١).

وقال سنان الدين الأماصي رحمه الله: "والرجاء فرض للعبد؛ إذا لم يكن له سبيل إلى الامتناع عن اليأس إلا به، وإلا فهو نفل، وإنما يسمى رجاء إذا وجدت أسبابه، وإلا فاسم الغرور والحمق أصدق عليه، وعلى مجهول الأسباب اسم التَّمَنِّي أصدق" (٢).

ولقد قيل: "الرجاء الصادق: هو أن تسبح بشدة ذراعيك نحو اليابسة، وأما الأمانى والرجاء الكاذب، فهو أن تنتظر حتى تسبح اليابسة نحوك" (٣).

وقال أبو العتاهية (٤):

ما بال دينك ترضى أن تُدنَّسه الـ دُنْيَا وَتُؤْبِكُ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

ومما ينبغي أن يُعلم أن من رجا شيئاً تطلَّب ثلاثة أمور:

أحدها: محبة ما يرجو.

الثاني: خوفه من فواته.

(١) ينظر: قد أفلح من زكاها، ص: ٣٣٤.

(٢) تبين المحارم: ٢٥٥/٥.

(٣) ينظر: كتاب "بأي قلب نلقاه"، ص: ١٩٣.

(٤) ديوان أبي العتاهية، ص: ٢٣٠.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأمانى، فكل راجٍ خائف، والسرائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة^(١)). وهو سبحانه وتعالى كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة فعلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل. قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١]^(٢).

هذا؛ وإن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال. ومن آثاره؛ التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى، والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فإن هذه الأحوال لا بد أن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك، أو شخصاً من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله ملك الملوك

(١) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٤٥٠)، واختاره الإمام النووي، في "رياض الصالحين":

(١٤٥/٤١٥).

(٢) الداء والدواء، ص: ٦٠-٥٩.

سبحانه، فإن كان لا يظهر، فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء، والنزول في حضيض الغرور والتمني. فهذا هو البيان لحال الرجاء، ولما أثمره من العلم، ولما استثمر منه من العمل^(١).

- أبلغ آيات الرجاء في القرآن الكريم:

اختلف العلماء في أي آية، هي أرجى في كتاب الله وذكروا ثلاثة عشر قولاً عرضها الإمام يوسف القرضاوي رحمه الله، ونقل ترجيح بعضها؛ وهي كما يأتي:

- قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. والمراد بالإسراف: الإفراط في المعاصي والاستكثار منها ومعنى لا تقنطوا: لا تيأسوا من رحمة الله، من مغفرته. ثم لما نهاهم عن القنوط، أخبرهم بما يدفع ذلك، ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

قال الشوكاني رحمه الله: واعلم أن هذه الآية، أرجى آية في كتاب الله سبحانه؛ لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولاً: أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب، ثم عقب على ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن

(١) إحياء علوم الدين: ٢٧٠/٥، موعظة المؤمنين، ص: ٤٢٧.

القنوط للمذنبين غير المسرفين من بابٍ أولى، بفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شكّ، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظنّ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾، فالألف، واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفرادهِ، فهو في قوّة، أن الله يغفر كلّ ذنب كائناً ما كان، إلا ما أخرجه النصّ القرآني، وهو الشرك، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب، بل أكّد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم برهم الصادقين في رجائه، الخالعين لثياب القنوط، الرافضين لسوء الظنّ بمن لا يتعاضمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده، المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم، وما أحسن ما علّل سبحانه به هذا الكلام؛ قائلاً: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: كثير المغفرة والرحمة، عظيمهما بليغهما واسعهما، فمن أبى هذا التفضل العظيم، والعطاء الجسيم، وظنّ أن تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير، وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه

رسوله ﷺ، كما صح عنه من قوله: (يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا) (١).

وقال الشوكاني أيضاً: إذا تقرر لك هذا، فاعلم أن الجمع بين هذه الآية وبين قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهو أن كل ذنب كائناً ما كان، ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله أن يغفر له، على أنه يمكن أن يقال إن إخباره لنا بأنه يغفر الذنوب جميعاً يدلّ على أنه يشاء غفرانها جميعاً وذلك يستلزم أنه يشاء المغفرة لكل المذنبين من المسلمين؛ فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية (٢).

- وذهب الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى القول بأن أرجى آية قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْكَانَ يُوَسَّسًا ۖ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٣ - ٨٤]. أي: كلُّ أحد يعمل على شاكلته، ثم قال: لا يشاكل بالعبد إلا العصيان، ولا يشاكل بالرب إلا الغفران.

- وقال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن أرجى آية قوله جل ذكره: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]. ولقد ذكر القرطبي والسيوطي في تفسيريهما وغيرهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، افتقد رجلاً من أهل الشام فقيل

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٦٩)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٦٠٢/٤ - ٦٠٣.

له: تتابع في الشراب. فقال عمر لكاتبه: اكتب. من عمر إلى فلان سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، ﴿حَمَّ﴾ تَزِيلُ أَلِكْتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ [غافر: ١ - ٣]. وختم الكتاب. وقال عمر لحامل الكتاب: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً، ثم أمر عمر من عنده بالدعاء لذلك الرجل بالتوبة. فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول: قد وعدني ربي، قد وعدني الله أن يغفر لي وحدّثني عقابه، فلم يبرح يردها حتى بكى، ثم نزع عن الشرب وحسنت توبته^(١).

- ولقد ذهب الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلى القول بأن أرجى آية، قوله عز وجل: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].
- وقال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن أرجى آية قوله ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].

- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمَنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَظْمِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ

(١) رواه أبو نعيم في الحلية: (٩٧/٤)، والقرطبي في تفسيره: (٢٥٥/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور: (٢٧٠/٧-٢٧١).

سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦٠﴾. وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه، في رواية أنها أرجى آية.

- فيما ذهب عبد الله بن المبارك رحمته الله، إلى القول بأن أرجى آية قوله تعالى: ﴿أَلَا نُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] ^(١).

- وقال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]. وهو ما ذهب إليه أبو عثمان النهدي رحمته الله. كما نقله الحافظ بن أبي الدنيا رحمته الله، في كتاب التوبة ^(٢).

- وقال جل ذكره: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٨]. قال الكرمانى: "العذاب في الآية مقصور على الكافرين المكذبين" ^(٣).

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. فالكافر إذا أتى بالتوحيد والشهادة يُغْفَر له، فكيف بالموحد؟ قال الشلبي: لما أذن للكافرين بدخول الباب، إذا أتوا بالتوحيد والشهادة، أترأه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها ^(٤).

(١) ينظر: الخوف والرجاء، د. يوسف القرضاوي، ص: ٢٧٩-٢٨٤ بتصرف.

(٢) التوبة، لابن أبي الدنيا، ص: ٤٥.

(٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود الكرمانى: ٧١٨/٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٤٤٦/١-٤٤٧.

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أن أرجى آية في القرآن، قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]^(١). أي: لا يزال خيره إليهم، وإحسانه، وبره، وعفوه نازلاً إلى العباد، وهم لا يزالون شركهم وعصيانهم إليه صاعداً. يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون فلا يحرمهم خيره وإحسانه، فإن تابوا فهو حبيهم؛ لأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين^(٢).

- وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فمهما اتسعت رقعة الذنب؛ فميدان المغفرة أوسع.

- علامات الرجاء:

إن من علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطناً في رجائه؛ لأنه لما تحقق برقاء شيء خاف فوته؛ لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به، فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف فوت الرجاء، والرجاء هو ترويح الخائفين، ولذلك سمى العرب الرجاء خوفاً؛ لأنهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر. ومن مذهبهم: أن الشيء إذا كان لازماً لشيء، أو وصفاً له أو سبباً له أن يعبروا عنه به، فقالوا: ما لك لا ترجو كذا. وهم يريدون: ما لك لا تخاف. وعلى هذه اللغة جاء قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. أجمعوا على تفسيره: ما لكم لا تخافون لله عظمة. وهو أيضاً أحد

(١) الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: ١٥٠/٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٣١٠.

وجهي تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. أي: يخاف لقاءه^(١).

وقال شاه الكرمانى رحمه الله: "علامة صحة الرجاء حسن الطاعة"^(٢).

وسئل أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله: "ما علامة الرجاء في العبد؟ قال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر، راجياً تمام النعمة من الله تعالى عليه في الدنيا، وتمام عفوه في الآخرة"^(٣).

وكان التابعي عمر بن ذر رحمه الله، إذا تلا قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]. قال: ونحن نُقسم بالله جهد أيماننا لنبعث الله من يموت. أترك تجمع بين القسمين في دار واحدة^{(٤)؟}!

- حُسْنُ التقرب، ودوام المعاملة، وكثرة التقرب بالنوافل، لحسن ظنه بربه، وجميل أمله منه، وأنه يَتَقَبَّلُ صالح ما أمر به تفضلاً منه من حيث كرمه، لا من حيث الواجب عليه، وأنه أيضاً يَكْفِرُ سيء ما عمله، إحساناً منه ورحمة من حيث لطفه بنا وكرمه وفضله.

(١) ينظر: الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص: ١٤٥-١٤٦.

(٢) حسن الظن بالله، ص: ١٠٦.

(٣) الرسالة القشيرية، ص: ١٣٢.

(٤) حسن الظن بالله، ص: ٢٧، وصلاح الأمة في علو الهمة: (٤/٢٣٦).

وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول: "من سأل الله تبارك وتعالى شيئاً فنظر إلى نفسه وأعماله، لا يرى الإجابة حتى يكون ناظراً إلى الله تبارك وتعالى وحده، وإلى لطفه وكرمه، ويكون موقناً بالإجابة ولعمري إنَّ من سأل الله تعالى ورغب إليه في شيء ورجاه ناظراً إلى نفسه وعمله، فإنه غير مخلص في الرجاء له تعالى؛ لشركه في النظر إليه، وإذا لم يكن مخلصاً لم يكن موقناً. ولا يقبل الله تعالى عملاً ولا دعاء إلا من موقن بالإجابة، مخلص، فإذا شهد التوحيد ونظر إلى الوجدانية فقد أخلص وأيقن^(١).

- انشراح الصدر بأعمال البرّ، وسرعة السبق، والمبادرة بها خوف فوتها، ورجاء قبولها. ثم مهاجرة السوء، ومجاهدة النفس، رجاء انتجاز الموعد وتقرباً إلى الرحيم الودود، ومنه قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَؤُلِّيكَ يُرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وفسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم، المهاجرة والمجاهدة فقال: "المهاجر: من هَجَرَ السُّوء والمجاهد: من جاهد نفسه في الله تعالى"^(٢). وأقام الصلاة التي هي خدمة المعبود، وبذل المال سرّاً وعلانية وقليلاً وكثيراً، وأن لا ينهمك عن ذلك بتجارة الدنيا، كما وصف الله تعالى المحققين من الراجين

(١) الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص: ١٤٦.

(٢) قال الحافظ العراقي في "تخريج الإحياء" (٧٠/٤): "أخرجه ابن ماجه، (٣٩٣٤) بالشرط الأول، والنسائي في "الكبرى" بالشرط الثاني، كلاهما من حديث فضالة بن عبيد بإسنادين جيدين".

إذ يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] (١).

- سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى؛ لوجود حلاوة الأعمال
والمسارعة إليها والحث لأهلها عليها، والحزن على فوتها والفرح
بدرورها، جاء في الحديث الشريف: (مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ
فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ) (٢).

- شدة الشوق إلى ما شَوَّقَ إليه الكريم جلّ وعلا، وسرعة التنافس
في كل ما ندب إليه الرحمن الرحيم.

- تحسين الأخلاق مع الخلق، وجميل الصبر عليهم، وحسن
الصفح، ولطيف المداراة لهم؛ تَقَرُّباً إلى الله عز وجل بذلك، وتخلُّقاً
بأخلاقه رجاء ثوابه، وطمعاً في تنجيز وعده، واتباعاً لسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم.

- فعل الطاعات، وحسن الموافقات، ينوي بها ويسأل مولاه الكريم
عظيم الرغائب، وجميل المواهب؛ لما وهب له من حُسن الظن به (٣)
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ:

(١) الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص: ١٤٧.

(٢) أخرجه أحمد (١٨/١)، وابن حبان (٧٢٥٤)، والحاكم (١١٣/١)، والبيهقي في
"السنن" (٩١/٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصححه الحاكم
ووافقه الذهبي.

(٣) الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص: ١٤٩.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّ شَيْئًا لَمْ يَنْعَظْهُ شَيْءٌ أُعْطَاهُ^(١).
لَا يَنْعَظُ شَيْءٌ أُعْطَاهُ^(١).

- مقام الرجاء:

الرجاء مقام جليل، وحال شريف نبيل، لا يصلح إلا للكرماء من أهل العلم والحياء، وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف يُرَوِّحُونَ به من الكرب، ويستريحون إليه من مقارفة الذنب. ولكن من لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء، ومن لم يقم في مقام الخوف لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء^(٢).

- أنواع الرجاء:

وهو أنواع ثلاثة: نوعان محمودان ونوع مذموم.
الأول: رجاء من عمل بطاعة الله تعالى فهو يرجو ثوابه.
الثاني: رجاء رجل أذنب ثم تاب واستغفر فهو راج مغفرة الله وعفوه.
والثالث: رجل مُتَمَادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا أكذب الرجاء وهو رجاء أهل الإساءة والعصيان^(٣).
وقد أوضح الحارث المحاسبي رحمه الله الإجمال الماضي بقوله:
"الراجون ثلاثة:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٦٧٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص: ١٤٥.

(٣) ينظر: كتاب "بأي قلب نلقاه"، ص: ١٩٣.

- رجل عمل حسنةً وهو صادق في عملها، مخلص فيها، يريد الله بها ويطلب ثوابه، فهو يرجو قبولها وثوابها، ومعه الإشفاق فيها.
- ورجل عمل سيئة ثم تاب منها إلى الله، فهو يرجو قبول توبته وثوابها، ويرجو العفو عنها والمغفرة لها، ومعه الإشفاق ألا يعاقبه عليها.

- ورجل يتمادى في الذنوب، وفيما لا يحبّه لنفسه، ولا يحب أن يلقي الله بها، ويرجو المغفرة من غير توبة، وهو مع ذلك غير تائب منها، ولا مُقلع عنها، وهو مع ذلك يرجو. فهذا يقال له: مُفْتَرٍ متعلّق بالرجاء الكاذب، والأُماني الكاذبة، والطمع الكاذب.
وأما أمثالنا من النَّاسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ عِنْدَهُمْ أَكْثَرَ مِنَ الرَّجَاءِ لِأَنَّ الرَّجَاءَ الصَّادِقَ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْعَمَلِ بِالطَّاعَاتِ^(١).

- والرجاء على وجوه:

- الأول: رجاء الظفر بالمطلوب والوصول إلى المحبوب.
- الثاني: رجاء استمراره بعد الحصول عليه.
- الثالث: رجاء دفع المكروه، وصرفه كي لا يقع.
- الرابع: رجاء الدفع والإمالة لما قد وقع^(٢).

(١) آداب النفوس، للحارث المحاسبي، ص: ٦٨.

(٢) فقه القلوب، ص: ١٦٥.

- من محاذير الرجاء:

- الاغترار بالسلامة وطول الأمل: أعجبُ الأشياء اغترارُ الإنسان بالسلامة، وتأميله الإصلاح فيما بعد، وليس لهذا الأمل منتهى، ولا للاغترار، فكلما أصبح وأمسى معافى؛ زاد الاغترار، وطال الأمل. وأيُّ موعظةٍ أبلغُ من أن ترى ديار الأقران، وأحوال الإخوان، وقبور المحبوبين، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغيرُ بك، هذا والله شأن الحمقى، وحاشا من له عقل أن يسلك هذا المسلك.

بل -والله- إن العاقل ليبادر السلامة، فيدّخر من زمنها للزمن! ويتزود عند القدرة على الزاد لوقت العُسرة؛ خصوصاً لمن قد علم أن مراتب الآخرة إنما تعلو بمقدار علوِّ العمل لها، وإنَّ التدأركَ بعد الفوت لا يمكن.

ومن رأى أن ذنباً قد مضت لَدَّتُهُ، وبقيت آفاته دائمة؛ كفاه ذلك زاجراً عن مثله، خصوصاً الذنوب التي تتصل آثارها، مثل أن يزني بذات زوج فتحمل منه، فتلحق بالزوج، فيمنع الميراث أهله، ويأخذه من ليس من أهله، وتتغير الأنساب والفرش، ويتصل ذلك أبداً وكله شؤم لحظة. فندسأل الله عز وجل توفيقاً يلهم الرشاد، ويمنع الفساد، إنه قريب مجيب^(١).

- الحذر من الفتور: ولعل من حكمة وقوع الفتور لك أن تعلم قدر النعمة التي سُلِبَت منك، فإذا ما رجعت يوماً إليك احتضنتها بقوة

(١) صيد الخاطر، ص: ٣٥٦.

عالمًا قدرها غير مفرط فيها أو مضيق^(١). قال ابن عطاء السكندري رحمه الله: "رُبَّمَا وَرَدَتِ الظُّلُمُ عَلَيْكَ، لِيُعْرِفَكَ قَدْرَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكَ"^(٢). وقال ابن القيم رحمه الله: "تَخْلُلُ الفترات للسالكين أمر لازم لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تُخرجه من فرض، ولم تُدخله في محرّم رُجي له أن يعود خيراً مما كان"^(٣).

- الاتكال فقط على عفو الله تعالى دون عمل وتوبة بنية خالصة صادقة فيها: إن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولا بد، ولكن تُغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة، وبالتسويق تارة، وبالاستغفار باللسان تارة وبفعل المندوبات تارة. وكثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل ثم قال: أستغفر الله، زال أثر الذنب، وراح هذا بهذا. ومثل هؤلاء من تعلّق بنصوص الرجاء، وأتكل عليها وتمسك بها بكِلتا يديه، وإذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها سرّد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله تعالى ومغفرته ونصوص الرجاء^(٤). ومثل ذلك اتكال بعضهم على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وهذا من أقبح الجهل: فإنّ الشرك داخل في هذه الآية؛ فإنه رأس الذنوب وأساسها، ولا خلاف أن هذه الآية في

(١) ينظر: جرعات دواء، د. خالد أبو شادي، ص: ٤٧.

(٢) الحكم العطائية، ص: ٧٠.

(٣) مدارج السالكين: (١٢٦/٣).

(٤) الداء والدواء، ص: ٣٢-٣٣.

حق التائبين، فإنه يغفر ذنب كل تائب من أي ذنب كان، ولو كانت الآية في حق غير التائبين لَبَطَلَتْ نصوص الوعيد كلها، وأحاديث إخراج قوم من الموحدين من النار بالشفاعة^(١). قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

- الاتكال على أمانى العفو الإلهي: إن المؤمن يعمل الصالحات ويقول أخشى ألا تقبل مني! أما المنافق فيقترب السيئات، ويقول أطمع أن تغفر لي.

صحيح أن رحمة الله وسعت كل شيء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. ولكنه جل وعلا عقَّب على ذلك فقال عن هذه الرحمة: ﴿فَسَأْكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ

(١) الداء والدواء، ص: ٣٥

مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]. فالرجاء في رحمة الله يتطلَّب عملاً يقرب المرء من هذه الرحمة!

ولقد حكى لنا المولى جلّ وعلا هذا اللون من الأمانى عن اليهود والنصارى الذين تمنّوا الجنة بلا عمل، فأخبر ﷺ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٤]. وقال ﷺ: ﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].^(١)

- استحكام الذنوب واليأس من المغفرة: إن من موانع التوبة لدى بعض الناس: أن يعيش بعيداً عن الله، وأن يغوص في أحوال الذنوب، فيرى نفسه هالكاً لا محالة، فلا أمل في عودته، ولا رجاء في قبوله، ولا طمع في العفو عنه!

هكذا يفكر بعض العصاة، فيستعظمون ذنوبهم، ويقنطون من غفرانها؛ ناسين أن مغفرة الله أوسع من ذنوبهم وإن كثرت، وأن رحمته لا تضيق يوماً بخطاياهم وإن تفاقمت^(٢)، فقد قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) قد أفلح من زكاها، ص: ٢١٨.

(٢) المرجع السابق، ص: ٢١٩.

وفي الحديث القدسي: (يا ابن آدم إِنَّكَ ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لَكَ
على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ
ثمَّ استغفرتني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إِنَّكَ لو أتيتني بقرابِ
الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتكَ بقرابِها مغفرةً) ^(١).

(١) أخرجه الترمذي، رقم: (٣٥٤٠)، وصححه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

المبحث الثاني: أسباب الرجاء: وهي كثيرة، منها:

١- الإيمان والعمل الصالح: وذلك بمعرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، علماً والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً والانقياد له محبةً وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان^(١).

فالرجاء بحاجة إلى مهرٍ، ومهره غالٍ وثمين، ليس عندك فقط إنما عند الله تعالى، مهره العمل الصالح الذي توافق به شرع الله سبحانه وتعالى وتريد به وجهه عز وجل وحده لا شريك له. فحياتي كلها لله، كلمتي وحركتي وفعلي وحتى سكوني وخطراتي لله وحده. قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]. وقال جل وعلا: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ^ط أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]^(٢).

وقد نوّه الله ﷻ بأهل الرجاء، وبين أن الرجاء من أخلاق المؤمنين التي يستوجبون بها رحمة الله وغفرانه؛ فقرنه بالإيمان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨]. فقد قارن الله ﷻ بين أهل الإيمان وأعدائهم

(١) ينظر: الفوائد، ص: ١٥٦.

(٢) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، ص: ٥٧.

مَمَّنْ هُمْ حَرْبٌ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ^ط إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ^ط وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^ق وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، أي: قد اشتركتم معهم في الألم، وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزلفى من الله تعالى^(١).

فقد قرن الله ﷻ العمل الصالح بالإيمان، كما قرن الزكاة بالصلاة والصوم، وقد ورد اقتران هذا الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم في نحو ستين موضعاً^(٢). ولذا فإن: العمل الصالح يعتبر سبباً قوياً من أسباب حصول الرجاء عند المؤمن. قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]. أي: من آمن بالله، وعمل صالحاً، فإن الله وعده أن يُدخله الجنة في جملة عباد الله الصالحين من النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، كل على حسب درجته، ومرتبته. فالإيمان الصحيح والعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه، وأنه من أهل الرحمن، ومن الصالحين من عباد الله^(٣).

ولقد بشر الله ﷻ المؤمنين الملتزمين بالطاعات بالحياة الطيبة في الدنيا، فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

(١) ينظر: الخوف والرجاء، ص: ٢٧٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم: ٦٨٩/٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٤٨٣.

فَلَنَحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[النحل: ٩٧]، وقال جل ذكره: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿[النور: ٥٥].

كما وعدهم بجنّات منه ورضوان في الآخرة. قال ﷺ: ﴿قُلْ أُو۟نِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿[آل عمران: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿[النساء: ١٢٢].

وجاءت أحاديث كثيرة تحثّ المسلم على الأعمال الصالحة، والتي ينال بها المغفرة من الله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٣٥).

فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ "أُحْدٍ"، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ^(١).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَرْضَى صِيَامَ رَمَضَانَ، وَسَنَنْتُ قِيَامَهُ فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنَ الذُّنُوبِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)^(٢).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ)^(٣).

وعن أم حبيبة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَصِلِي اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكَعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ)^(٤).

وعن جابر رضي الله عنه، قال: (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ)^(٥).

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٤٧).

(٢) أخرجه الإمام النسائي في سننه، كتاب الصيام، رقم: (٢١٨٠)، والإمام أحمد في مسنده، رقم: (١٥٧٢).

(٣) ينظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، رواه البخاري، رقم: (١٥١/٣٠٩).

(٤) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٧٢٨).

(٥) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٩٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ حسنٍ، وإنَّ الله تعالى لِيُبْغِضَ الفاحشَ البَذِيءَ) ^(١).

ومن الأعمال الصالحة؛ الأمر بالمعروف وعمله والإحسان إلى الوالدين واليتامى، قال جل وعلا: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال جل ذكره: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]. وجاء في الحديث الشريف (إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم) ^(٢).

قال سعدي الشيرازي ^(٣):

ظلاً على اليتيم كن وأوه وامسح غبار ذله وداوه
أأنت تدري لم شَقُّه السهر بغير جذر كيف يورق الشجر
فإن بدا ذبوله وقصده فلا تُقبِلْ إذ تراه ولدك

(١) أخرجه الترمذي: (٢٠٠٢)، واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم: (٨٥٤)، (١٤١٠)، وإسناده حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، لكن ضعفه شعيب الأرنؤوط في تخريجه للمسند لأن فيه أبا عمران الجوني. مسند أحمد: (٢٢/١٣)، رقم: (٧٥٧٧).

(٣) ترجمة گلستان إلى العربية، "روضة الورد".

وقال الحُطَيْبَةُ^(١):

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

ومما ينبغي للمسلم الالتزام به: حُسن الخلق في التعامل مع الناس. قال سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم،.... ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر المسلم على الصغير لصِغَرِهِ، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال، وتنشرح له صدورهم. ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه، وعدم مقابلة جهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن ظلمك، فاعدل فيه^(٢). ورُوي أنّ الإمام أحمد بن حنبل سأل حاتم الأصم رحمته الله، فقال: "أخبرني يا حاتم فيم التخلّص من الناس، قال: يا أحمد، في ثلاث خصال، قال: وما هي؟ قال: أن تعطيمَ مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً، وقال: وتقضي حقوقهم ولا تستقضي أحداً منهم حقاً لك، قال: وتحتمل مكروههم ولا تُكره أحداً على شيء. قال: فأطرق أحمد ينكت بإصبعه على

(١) ينظر: الأمثال، لأبي عبيد، ص: ١٦٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٢٢٨.

الأرض، ثم رفع رأسه ثم قال: يا حاتم، إنها لشديدة، فقال له: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم" (١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال. من قال حسناً، وعمل غير صالح ردّه الله على قوله. ومن قال حسناً، وعمل صالحاً رفعه العمل وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]" (٢).

وقال بعضهم: "إن معرفة ثواب الأعمال يُرِيّ القلب لاستقبالها باطمئنان وحبّ وشوق" (٣). فعن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: (يُقَالُ لصاحبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ) (٤).

قال إبراهيم بن العباس الصولي (٥):

اعمل لِدَارٍ هو الرضوان خازنها والجار أحمد والرحمن بانها
أرض لها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها

(١) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: ١٥٠/٩.

(٢) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، ص: ٤٣.

(٣) جرعات دواء، ص: ٦٤.

(٤) ذكره الألباني في صحيح ابن ماجه، رقم: (٣٠٦٢)، وذكره شعيب الأرنؤوط في تخريج

مسند أحمد، (٤٥٥/١٧)، رقم: (١١٣٦١)، وقال: صحيح لغيره.

(٥) موسوعة نضرة النعيم: ٣٠٥١/٧.

أما الذين يطمعون في الجنة بغير إيمان صحيح ولا عمل صالح، -
 [كاليهود والنصارى]- فقد ردّ الله ﷻ عليهم، فقال: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ
 الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ
 عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٢].
 فإسلام الوجه لله وإحسان العمل، هو الذي يستحقّ العبد به
 الجنة أما من يدّعي أنه على دين، ولم يؤمن بالإيمان الصحيح ولم
 يعمل العمل الخالص، فهذه لعلّها أمان.

وقد ذكر المفسّرون أن جماعة من المسلمين، وأهل الكتاب
 التقوا فادّعى كلّ منهم أنه أولى بالله، وأحقّ بالجنة من غيره، فأنزل
 الله قرآنًا يتلى ليكون قولاً فصلاً، وحكماً عدلاً، قال ﷺ: ﴿لَيْسَ
 بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا
 يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
 الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
 الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿٢٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤].^(١)

وأقول: "قد حدث للأستاذ "محمد عبده" أن ناظره فريق من
 اليهود ومن النصارى، قالوا: أنتم المسلمون لا تدخلون الجنة، فقال
 لهم: بل أنتم لا تدخلون الجنة أبداً. قالوا: ولم، قال: لأننا نحن

(١) ينظر: الخوف والرجاء، ص: ٢٥٩.

المسلمين نؤمن بنبي الله موسى ونبي الله عيسى ﷺ، أما أنتم فحتى هذه الساعة لم تؤمنوا بسيدنا محمد ﷺ، فكيف تدخلون الجنة فسكتوا!" وهذا الخبر عرفناه من الثقات.

٢- التَّوْبَةُ النَّصُوح: قال الجرجاني: "هي توثيق العزم على ألا يعود بمثله. وقيل: هي ألا يُبقي [التائب] على عمله أثراً من المعصية سرّاً وجهرّاً، وهذه التوبة هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلاً وآجلاً"^(١).

قال عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب ﷺ: "التوبة النصوح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه، كما لا يعود اللبن إلى الضرع". وقال الحسن البصري ﷺ: "هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مُجمعاً على أن لا يعود فيه"^(٢).

وحقيقة التوبة؛ أنها مزيج مركّب من عدّة عناصر: أولها: النية الصادقة، والعزم المصمّم على إصلاح الأمر، وتدارك ما فات.

وثانيها: الندم على معصية الله. بأن يغمر القلب شعور بالأسى والحسرة على ما فرّط في جنب الله. وثالثها: أن يعمل صالحاً مكان السيئات؛ يبدّلها حسنات، فيُغيّر ما كان عليه^(٣).

(١) ينظر: التعريفات، ص: ٧٤.

(٢) مدارج السالكين: ٢٥٣/١ - ٢٥٤.

(٣) في رحاب السنة، للشيخ يوسف القرضاوي، ص: ١٢١-١٢٢.

فلقد وعد الله ﷻ، التائبين الصادقين بقبول توبتهم وغفران زلاتهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨]. وقال جل ذكره: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧]. وقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] وقال ﷺ: ﴿وَلِيَ لِعَفَّارٍ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. وقال جل ذكره: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

وجاء في الحديث، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَاِدْيَانٍ مِّن مَّالٍ لَا بُتَغَىٰ وَاِدْيَا نَّالِيًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن تَابَ) ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لِلجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ سَبْعَةٌ مَّغْلَقَةٌ، وَبَابٌ مَّفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) ^(٢). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لِللَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ -[الأرض

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (١٠٤٨).

(٢) الترغيب والترهيب: (٨٩/٤)، وقال: رواه أبو يعلى والطبراني بإسناد جيد.

القفر والفلاة الخالية]- مُهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيَّهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ -[أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ]- قَالَ اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)^(٢).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الْفَيْنَةُ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ، لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَابًا نِسَاءً إِذَا ذُكِرَ ذَنْبُهُ)^(٣). قَالَ نَجْمُ الدِّينِ الْغَزِي: "وَهِيَ ذُنُوبُ الْخَطَا وَالزَّلَاتِ لَا ذُنُوبُ الْقَصْدِ وَالْمُخَالَفَاتِ"^(٤).

(١) أخرجه البخاري، الفتح: (٦٣٠٨/١١)، ومسلم، رقم: (٢٧٤٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (١١٤٥).

(٣) أخرجه الطبراني: (٣٠٤/١١)، (١١٨١٠)، والقضاعي في مسند الشهاب: (٨٠٩)،

والبيهقي في شعب الإيمان: (٧١٢٤). وقد فصل في سنده بعض العلماء.

(٤) ينظر: حسن التنبيه لما ورد في التشبه، (٣٨/١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (والله إنني لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعينَ مرَّةً)^(١). فإذا كان رسول الله ﷺ يبادر ويُسرِع في الاستغفار والتوبة، فنحن أولى بذلك. فحريٌّ بالمؤمن ترك التسويف، الذي هو طول الأمل واعتقاد الإنسان أنه لا يزال في العمر مُتَّسع، وفي الحياة مدى بعيد. فمن الذي يدري إذا خرج من بيته أيعود إليه حيًّا أم يعود إليه ميتاً؟ أيعود إليه حاملاً أم يعود محمولاً^(٢)؟ قال الشاعر:

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من سليمٍ مات من غير علّة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتي يُمسي ويُصبح آمناً وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري

فحبّذا أن لا نكون من جماعة [سوف!] فيأتي الشيطان ويسوّف لنا التوبة، ويؤخّرنا عن السعي إلى الله، ففي الصلاة مثلاً: يقول: لا يزال أمامك الوقت الطويل، حتى يخرج وقت الصلاة. وفي مسألة الحجاب مثلاً: يقول للفتاة: إن العمر طويل فتمتعي بجمالك في فترة شبابك هذه، وتبرّجي في الطرقات؛ ليرى جمالك الشباب، فيتقدّموا لخطبتك وبعد الزواج تحجبي والتزّمي.

يقول ابن الجوزي رحمته الله: وكم من عازم على الجِدِّ سوّفه، -[أي: سوّفه الشيطان وجعله يقول سوف]- وكم من ساعٍ إلى فضيلة ثبّطه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٦٣٠٧).

(٢) في رحاب السنة، ص: ١٢١-١٢٣ بتصرف.

فلربّما عزم الفقيه على إعادة درسه، فقال: استرح ساعة، ومازال الشيطان يُحبب الكسل ويسوّف العمل، ولربّما دخل الشيطان على العابد في الليل يصلي فيقول له: ما زال وقت الليل طويلاً، حتى يأتي الصباح وهو ما صلى^(١)!!

واعلم أن الرجاء يلزمك استشعاره لأمرين:

أحدهما: للبعث على الطاعات؛ وذلك أن الخير ثقیل والشيطان عنه زاجر، والهوى إلى ضده داع وحال أهل الغفلة من عامة الخلق في النفس منطبع مشاهد، والثواب الذي يطلب به عن العين غائب وأمد الوصول إليه فيما يحسبه بعيد، وإذا كان الحال على هذه الحالة، فلا تنبعث النفس للخير، ولا ترغب فيه ولا تهتّز له إلا بالأمر الذي يقابل كل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها، وذلك الأمر هو الرجاء القوي في رحمة الله والترغيب البالغ في حُسن ثوابه وكريم أجره. ولقد قال بعضهم: الحزن يمنع عن الطعام والخوف يمنع من الذنوب، والرجاء يقوي على الطاعات، وذكر الموت يزهد في الفضول.

الثاني: ليهوّن عليك احتمال الشدائد والمشقات. واعلم: أنه من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن طاب له شيء ورغب فيه حق رغبته احتمل شدّته ولم يبال بما يلقي من مؤونته، ومن أحبّ أحداً حق محبته أحبّ أيضاً احتمال محنته، حتى إنه ليجد بتلك المحنة ضروباً من اللذة، ألا ترى مُشتارَّ العسل -[من يجني العسل]- لا

(١) قلوب أسيرة الشيطان، د. عبد الحميد هندراوي، ص: ٣١، بتصريف.

يفكر بلسع النحل؛ لما يتذكر من حلاوة العسل؟ وأن الفلاح لا يفكر بمقاساة الحر والبرد ومباشرة الشقاء والكدّ طوال السنة؛ لما يتذكر من البَيْدَرِ أَوَانَ الغَلَّةِ^(١)؟ فالعُنْمُ بالغُرْمِ.

وقال بعضهم: "فكن لما لا ترجو أكثر رجاء منك لما ترجو، فإن كلِّم الله موسى عليه السلام ذهب ليقبس ناراً فعاد بالرسالة".

(١) منهاج العابدين، للإمام أبي حامد الغزالي، ص: ١٥٢-١٥٣.

الفصل الثاني

فضيلة الرجاء وثمراته، وكيف أكون راجياً؟

المبحث الأول: فضيلة الرجاء والترغيب فيه:

كيف يقطع المؤمن رجاءه بالله تعالى، وقد سمع قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وكيف لا يرجوه، وقد علم أنه جل ذكره قد أمر الملائكة الكرام أن يستغفروا لعباده المؤمنين. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وكيف لا يعظم رجاؤه، بعد أن يقرأ قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١١٨ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨ - ١١٩].

ولقد أخبرنا ﷺ أَنَّ النَّارَ أَعَدَّهَا لِأَعْدَائِهِ؛ يَخَوِّفُهُمْ بِهَا، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ ﷺ: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ﴾ [الزمر: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وَقَالَ ﷺ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٤ - ١٨].

بينما جاءت أحاديث كثيرة تحتُ المسلم على فتح باب الأمل والرجاء، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ)^(١).

قال الإمام النووي رحمته الله: "قال العلماء: هذا تحذيرٌ من القنوط وحثٌ على الرجاء عند الخاتمة"^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي احْتِضَارِ الْمَوْتِ فَقَالَ: (كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَارَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن

الظن بالله تعالى عند الموت، رقم: (٢٨٧٧).

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي: (٢٥٦/٩).

أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمُوْطَنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: (يقول الله تعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معه، إذا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي، أَتَيْتُهُ هَرُولَةً)^(٢).

جاء في لطائف التفسير: "اذكروني في الصِّغَرِ أذكركم في الكِبَرِ. اذكروني على ظهر الأرض أذكركم في باطنها. اذكروني في الأرض أذكركم في السماء. اذكروني بالدُّعاء أذكركم بالعطاء. اذكروني بالطاعات أذكركم بالكرامات. اذكروني بالتذلل أذكركم بالتفضُّل. اذكروني في السر أذكركم بنشر عبيركم وطيب ذكركم في العلن"^(٣).

قال ابن حجر رحمه الله^(٤): "قال القرطبي في 'المفهم' لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم": قيل: معنى ظَنِّ عَبْدِي بِي: ظَنِّ الإجابة عند

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم: (٩٨٣)، وابن ماجه في سننه، رقم: (٤٢٦١)، وإسناده جيد كما في المغني عن حمل الأسفار: (١/١٤٩١).

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٧٤٠٥).

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي: ٢/٢٠، ينابيع الرجاء، د. خالد أبو شادي: ١٢٧/٢-١٢٨.

(٤) فتح الباري: ٣٨٦/١٣.

الدُّعاء، وظنَّ القبول عند التَّوبة، وظنَّ المغفرة عند الاستغفار وظنَّ المجازاة عند فعل العباداة بشروطها؛ تمسُّكًا بصادق وعده. قال: ويؤيِّده قوله ﷺ في الحديث الآخر: (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ)^(١). قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه مُوقِنًا بأنَّ الله تعالى يقبله ويغفر له؛ لأنَّه وعد بذلك، وهو لا يخلف الميعاد.

قال الشاعر^(٢):

واني وإن أوعدته أو وعدته لمُخلف إيعادي ومُنجز موعدي
فإن اعتقد أو ظنَّ أنَّ الله ﷻ لا يقبلها، وأنَّها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمة الله ﷻ، وهو كفر عند فقهاء الحنفية ودليلهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. قالوا: هذا كفر صريح لا يحتاج إلى تأويل. وقال الآخرون من الفقهاء: هو كبيرة من الكبائر. ومَن مات على ذلك وُكِّلَ إلى ما ظنَّ، كما في بعض طرق الحديث المذكور: (فليُظنَّ بي عبدي ما شاء)^(٣). فحُسن الظن بالله ﷻ من

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، رقم: (٣٤٧٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حديث غريب.

(٢) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لنور الدين الأشموني، ص: ٢٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: (٣٩٨/٢٥)، عن واثلة بن الأسقع، والحديث صحيح، ينظر مجمع الزوائد: (٣١٨/٢). وفتح الباري: (٣٨٦/١٣).

صميم التوحيد وواجباته. وهو من العبادات القلبية التي غفل عنها كثير من المسلمين. فلقد مدح الله ﷻ الذين أحسنوا الظن به وأثابهم، قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ لَمْ يَأْخُذْهُمْ لَوْمَاتُهُمْ سُوًّا ۚ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

وروي: لما حضرت سليمان التيمي رحمه الله الوفاة قال لابنه: "يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء؛ حتى ألقى الله على حسن الظن به". وقال أحمد بن حنبل رحمه الله لابنه عند الموت: "اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن". والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه^(١).

وعند بعضهم: "يرى أن العبادة على الرجاء أفضل؛ لأنَّ المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف، فكم من فرقٍ في الملوك بين من يُخدم اتقاءً لعقابه وبين من يُخدم ارتجاءً لإنعامه وإكرامه. ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن^(٢)، قال ﷻ: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلِيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أُعْطَاهُ)^(٣).

(١) ينظر: المستخلص في تزكية الأنفس، ص: ٢٩٣.

(٢) إحياء علوم الدين: ٢٧٢٢/٤.

(٣) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٦٧٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وذمّ الذين أساءوا الظن به، وتوعدهم بسوء العذاب. فقال جل ذكره: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم رحمته الله: "توعد الله سبحانه وتعالى الظانين به ظنّ السوء بما لم يتوعد به غيرهم" ^(١).

هذا؛ ومن أوجه حسن الظن بالله ﷻ، وأنت تطلب الرزق أن تحسن الظنّ به سبحانه وتعالى، بأنّه سيرزقك، ويسوق رزقك إليك وأنه سبحانه لن يضيّعك؛ فإنّ الله لا يضيّع من يتوكّل عليه. قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٧].

فحسّن الظنّ بالله تعالى هو حُسن العمل نفسه؛ والعبد إنّما يحمله حسن العمل ظنّه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها ويتقبّلها منه، فكلّما حسّن ظنّه بربه حسّن عمله ^(٢). فحسن الظنّ إن حمل على العمل، وحث عليه وساعده وساق إليه فهو صحيح وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور. قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) الداء والدواء، ص: ١٣٨

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٥.

أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨]. تأمل كيف جعل رجاءهم بإتيانهم بهذه الطاعات ^(١).

قال ابن زريق البغدادي ^(٢):

قد وزّع الله بين الخلق رزقهم لم يخلق الله من خلقٍ يُضَيِّعُهُ

وكان الصالحون ينشدون ما قاله الشاعر ^(٣):

يا صاحبَ الهمِّ إن الهمَّ منفرجٌ أبشـر بخير فإنَّ الفارجَ اللهُ
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تيأسنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
اللهُ يُحدِثُ بعد العُسر ميسرةً لا تجزعنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ
إذا بُليتْ فثِقَ بالله وارضَ به إنَّ الذي يكشف البلوى هو اللهُ
والله مالِكٌ غيرُ الله من أحدٍ فحسبكَ اللهُ في كلِّ لك اللهُ

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره، ما أُعطي عبد مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله جل جلاله، الظن إلا أعطاه الله ظنّه ذلك إنَّ الخير بيده سبحانه" ^(٤).

(١) الداء والدواء، ص: ٥٨-٥٩.

(٢) ينظر: لاتعدلية، لابن زريق البغدادي، علي عبد الرحيم الابراهيم، ص: ٢.

(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة:

٤٨٨/٨.

(٤) حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا، ص: ٩٦.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١):

إلهي لا تُعَذِّبني فَإِنِّي مَقْرٌّ بِالذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
فَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي بِعَفْوِكَ إِنَّ عَفْوَتَ وَحْسَنِ ظَنِّي
وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمته الله: "إِنَّ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ فَلْيَحْسِنْ
ظَنَّهُ بِاللَّهِ، وَيَرْجُو أَنْ يَمْحُو ذَنْبَهُ. وَكَذَا مَنْ وَقَعَ مِنْهُ طَاعَةٌ يَرْجُو
قَبُولَهَا، وَأَمَّا مَنْ ائْتَمَّ عَلَى الْمَعْصِيَةِ رَاجِيًا عَدَمَ الْمَوَازَاةِ بِغَيْرِ نَدَمٍ
وَلَا إِقْلَاعٍ فَهَذَا غُرُورٌ" ^(٢).

وَرَوَى عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعَاذٍ رحمته الله أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "أَوْثَقُ الرَّجَاءِ رَجَاءُ
الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَأَصْدَقُ الظَّنِّ حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ" ^(٣).
وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٤):

كُفَايَاتُ الْكَفَاحِ بِحُسْنِ ظَنِّي كُنْجُ الْعَنْكَبُوتِ بِيَابِ غَارِ
وَحُسْنُ الظَّنِّ جَاوَزَ كُلَّ حَجَبٍ وَحُسْنُ الظَّنِّ جَاوَزَ نُورَ نَارِ
وَقِيلَ: "حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَعْنَاهُ: ظَنُّ الْإِجَابَةِ عِنْدَ الدَّعَاءِ، وَظَنُّ
الْقَبُولِ عِنْدَ التَّوْبَةِ، وَظَنُّ الْمَغْفِرَةِ عِنْدَ الِاسْتِغْفَارِ، وَظَنُّ مَجَازَاةِ
اللَّهِ ﷻ لِعَبْدِهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ عِنْدَ أَدَاءِ الطَّاعَةِ بِشُرُوطِهَا". وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي

(١) مِنَ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، ص: ١١٧، وَقِيلَ هُوَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ.

(٢) فَتْحُ الْبَارِي: ٣٠١/١١.

(٣) الْحَلِيَّةُ: (٥٨/١٠).

(٤) يَنْظُرُ: تَفْسِيرُ التَّسْتَرِي، مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِي، ص: ٣٨.

للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله ﷻ سيقبله ويغفر له؛ لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف المعياذ (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال لبلالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: (يَا بَلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ -[خَشْفَةِ] - نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَيُّ لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ) (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أيضاً، أن رسول الله ﷺ قال: (كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ) (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه كذلك، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ

(١) ينابيع الرجاء: ٥٢/١.

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (١١٤٩).

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٣٤٨٠)، ومسلم في صحيحه واللفظ له، رقم:

(١٥٦٢).

الدَّٰنِبُ وَيَأْخُذُ بِالدَّنْبِ، اَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ^(١). فالتوبة الصحيحة -[النصح]- تكفر الذنوب^(٢).

وقوله: «اعمل ما شئت» معناه كما قال الطَّيِّبِي: ما دمت تذنّب ثم تتوب فقد غفرت لك^(٣). يتوب صادقاً من ذنبه الذي اقترفه لضعفه أو لأسباب أخرى. ولا يكون كالذين يقيمون على الذنب وهم يستغفرون الله فهذه توبة الكذابين. قال العلماء: "توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم"^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى أَنَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ: أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟. قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ)^(٥).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٧٥٠٧)، ومسلم في صحيحه، رقم: (٢٧٥٨).

(٢) رياض الصالحين، حاشية، ص: ١٤٩.

(٣) شرح المشكاة: ١٨٤٣/٦.

(٤) الرسالة القشيرية، ص: ١٣٢.

(٥) أخرجه الترمذي، في سننه، رقم: (٢٢٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا، قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ^(١).

قال ابن حجر رحمته الله: "وحاصل ما أشار إليه أن الحديث محمول على من وحّد ربه ومات على ذلك تائباً من الذنوب التي أشير إليها في الحديث، فإنه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداءً، وهذا في حقوق الله تعالى باتفاق أهل السنة، وأما حقوق العباد فيشترط ردها عند الأكثر، وقيل: بل هو كالأول ويثبت الله صاحب الحق بما شاء، وأما من تَلَبَّسَ بالذنوب المذكورة، ومات من غير توبة فظاهر الحديث أنه أيضاً داخل في ذلك. ولكن مذهب أهل السنة أنه في مشيئة الله تعالى، ويدل على ذلك حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، (قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسٍ: تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِيَهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَقَارَةٍ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ)^(٢). وهذا المُفسَّر مُقدم على المُتهم، وكل منهما يَرُدُّ على المبتدعة من الخوراج والمعتزلة، الذين يدّعون وجوب

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٥٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٧٢١٣).

خلود من مات من مُرتكبي الكبائر من غير توبة في النار، أعاذنا الله من ذلك بَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ" (١).

نقول: ومع كل ذلك فليس في حديث أبي ذر رضي الله عنه تشجيع على الزنى والسرقة؛ وإنما بيان لضعف الإنسان وقبوله عند الله إذا تاب توبة نصوحاً. فإنَّ الله غفور رحيم، ولكنَّه سريع العقاب لمن عصاه واستخف بأعراض الناس وأموالهم، فليتأمل. ويدل لذلك حديث أبي الدراء الذي بيَّن فيه نبينا ﷺ أنه لا بد من أخذ الحيطة ووقت المراحل، بالنصح والتذكير والتخويف، لمن يقترب من اقتراف الزنى أو السرقة أو الكبائر. فقد روى أبو الدراء رضي الله عنه: (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وهو يَقْصُصُ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] فقلتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، فقلتُ في الثانية: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فقلتُ في الثالثة: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: نعمُ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرَدَاءِ (٢).

ويؤخذ بعين الاعتبار كلام ابن حجر السابق. ويدكرنا في هذا الموضع أن نشير إلى أن رسول الله ﷺ نبَّه على أنَّ الذي يقترف جريمة الزنى

(١) ينظر: فتح الباري: ٢٥٣/١٣.

(٢) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)): (١١٥٦٠)، وأحمد: (٨٦٨٣) واللفظ له، ذكره

شعيب الأرنؤوط، تخريج المسند، رقم: (٨٦٨٣).

أو السرقة، يسلب الله ﷻ عنه الإيمان حال ارتكابه هذه المعاصي، فإذا تاب توبة نصوحاً صقل قلبه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن) ^(١).

والزنى والسرقة لهما حد؛ لأنهما جريمتان في الإسلام ولو لم يعلم الله أن الزنى يقع والسرقة تقع لما وضع حداً لهما. بيد أن الكذب ليس له حد مع أنه أشد خطراً من الزنى والسرقة. فلقد جاء في الحديث عن عبد الله بن جرادة رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: (يا رسول الله هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك، قلت: يابني الله، هل يكذب المؤمن؟ قال: لا، ثم أتبعها بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] ^(٢).

فعلى المسلم الحذر أشد الحذر من الإقامة في المعاصي والانهماك في الخطايا مُصِراً، وهو يرجو المغفرة وينتظر الكرامة! فليس هذا برجاء معتبر عند العلماء؛ لأن الرجاء مقام اليقين وليس هذا وصف الموقنين، بل هذا اغترار وعُجب بالله تعالى، وغفلة عنه وجهل بأحكامه، وقد تهدد الله سبحانه قوماً ظنوا مثل هذا وأصبروا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٢٤٧٥)، ومسلم في صحيحه، رقم: (٥٧).

(٢) تخريج الإحياء للعراقي، رقم: (١٦٧/٣).

على حب الدنيا والرضا بها، وتمنّوا المغفرة على ذلك، فسَمَّاهم خُلَفَاءَ، والخَلَفُ: الرديء من الناس، وتوعدهم بشديد البأس في قوله عز وجل: ﴿وَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] ^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "وبالجملة، فالرَّجَاءُ ضروري للمريد السالك والعارف، لو فارقه لحظة لتلف أو كاد، فإنَّه دائر بين ذنب يرجو غفرانه وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ﷻ ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها، ولا ينفكُّ أحد من السالكون عن هذه الأمور أو بعضها".

وقال أيضاً: "الرَّجَاءُ هو عبوديَّة وتعلُّق بالله ﷻ من حيث اسمه: البرَّ المحسن؛ فذلك التَّعلُّق والتَّعبُّد بهذا الاسم، والمعرفة بالله ﷻ: هو الذي أوجب للعبد الرَّجَاءَ من حيث يدري ومن حيث لا يدري ^(٢). فقوة الرَّجَاءِ على حسب قوَّة المعرفة بالله ﷻ، وأسمائه وصفاته وقد غلبت رحمته غضبه. ولولا روح الرَّجَاءِ لعطلت عبوديَّة القلب والجوارح، وهَدَّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله ﷻ كثيراً. بل لولا روح الرَّجَاءِ، لما تحرَّكت الجوارح بالطَّاعة. ولولا ريحه الطَّيِّبة، لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات" ^(٣).

(١) ينظر: الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص: ١٤٩.

(٢) مدارج السالكين: ٤٣/٢.

(٣) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز: (٤٧/٣).

وقال الشاعر:

لولا التعلّق بالرجاء تقطّعت نفس المحبّ تحسّرا وتمزّقا
لولا الرّجا يحدو المطيّ لما سرت بحمولها لديارهم ترجو اللّقا^(١)

فتأمّل هذا الموضع حقّ التأمّل، يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبوديّة والمحبة، فكلّ محبة مصحوبة بالخوف والرجاء. وعلى قدر تمكّنها من قلب المحبّ يشتدّ خوفه ورجاؤه، ولكنّ خوف المحبّ لا يصحبه وحشة. بخلاف خوف المسيء. ورجاء المحبّ لا يصحبه علّة، بخلاف رجاء الأجير، وأين رجاء المحبّ من رجاء الأجير وبينهما كما بين حالهما^(٢)؟

والرجاء مفتاح عظيم للتجارة والرحمة، تجارة الإيمان والطاعة والغفران، وهي تجارة رابحة؛ لأنّها مع المولى جل وعلا، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] ^(٣).

وقال الشاعر، الدكتور عبد الحكيم الأنيس^(٤):

ألقيتُ حاجاتي ببابك راجيا فاختر إلهي لي طريقا هاديا

(١) مدارج السالكين: ٤٣/٢.

(٢) بصائر ذوي التميز: ٤٣/٢.

(٣) الطريق إلى الجنة، محمد بلال الحلموشي، ص: ٦٩.

(٤) ينظر: قصيدة، أنت الرجاء، موقع شبكة الألوكة، تاريخ النشر: ٢٠١٦/٣/٨،

بتصرف.

مالي أحاولُ مِنْ فقيرٍ ممسِكٍ أملاً وأنسى نبع فيضٍ صافيا!
 ضلَّ امرؤُ أغراهُ وهمُّ خادعُ فغدا إلى عبدٍ ضعيفٍ ساعيا
 ياربِّ يا ملكَ المشارِقِ والمغْنا ربِّ يا إلهي أنتَ تعلمُ ما بيا
 أدعوك مِنْ قلبٍ جريحٍ حائرٍ مازالَ مِنْ أمدٍ بعيدٍ داميا
 أعودُ مِنْ بابِ الكريمِ مُخَيَّباً ويعودُ قلبي مِنْ عطائك خاليا؟
 مَنْ يُنْقِذُ المحزونَ مِنْ أحزانهِ مَنْ ذا يكونُ له أنيساً حانيا؟
 قد خيَّبَ الناسُ الظنونَ بقسوةٍ ونظرتُ، لم أرَ غيرَ لطفِكَ باقيا
 والرجاءُ حادٍ يحدو القلوبَ إلى بلادِ المحبوب، وهو الله والدار
 الآخرة. ويطيَّبُ لها السير. وهو على درجات، وعالي الهمة من تطلَّع إلى
 درجاته العُلا واشربَّت نفسه إلى القُمة.

قال شيخ الإسلام الهروي رحمته الله: الرجاء على ثلاث درجات:
 الأولى: رجاء يبعث العامل على الاجتهاد، ويولِّد التلذُّذ بالخدمة
 ويوقظ الطَّبَّاع للسماحة بترك المناهي. قال ابن القيم رحمته الله: "أي:
 ينشطه لبذل جهده لما يرجوه من ثواب ربه".

الثانية: رجاء أرباب الرياضات الإيمانية التَّربوية: أن يبلغوا موقفاً
 تصفو فيه هممهم، برفض الملهوِّات ولزوم شرط العلم واستقصاء
 حدود الحميَّة. قال ابن القيم رحمه الله: "أرباب الرياضات: هم
 المجاهدون لأنفسهم بترك مآلوفاتها، والاستبدال بها مآلوفات هي
 خير منها وأكمل، فرجاؤهم أن يبلغوا مقصودهم بصفاء الوقت
 والهمة من تعلقها بالملهوِّات، وتجريد الهمَّ عن الالتفات إليها وذلك

بلزوم شروط العلم، وهو الوقوف عند حدود الأحكام الدينيّة، فإنّ رجاءهم متعلّق بحصول ذلك لهم. واستقصاء حدود الحميّة بأمرين: بذل الجهد في معرفتها علماً، وأخذ النفس بالوقوف عندها طلباً وقصداً^(١).

الثالثة: رجاء أرباب القلوب: وهو رجاء لقاء الخالق الباعث على الاشتياق، المُبغض المنغص للعيش المزهد في الخلق. قال ابن القيم رحمه الله: "هذا الرجاء أفضل أنواع الرجاء وأعلاها، قال رحمه الله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]. وهذا الرجاء هو محض الإيمان، وزبدة الدّرجات وإليه شخصت أبصار المشتاقين"^(٢).

قال الشاعر أبو الفضل ابن النحوي التوزري^(٣):

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا	وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا سيّدي يا منتهى أمني	يا من عليه بكشف الضرّ أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها	مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالضرّ مشتكياً	إليك يا خير من مُدّت إليه يد
فلا تردّها يارب خائبة	فبحر جودك يروي كلّ من يرد

(١) مدارج السالكين: ٥٣/٢.

(٢) المصدر السابق: ٥٣/٢، وصلاح الأمة في علوّ الهمة: ٢٣٠/٤-٢٣٢.

(٣) هو يوسف بن محمد التوزري، راجع: موقع رابطة العلماء السوريين، كتبه. زهير سالم، تاريخ النشر: ٢٠١٨/٧/٣، وموقع قصة الإسلام، كتبه: أ.د. راغب السرجاني، تاريخ النشر: ٢٠١٧/٦/١٨.

فالرجاء الصحيح المستنير يفتح باب الأمل برحمة الله تعالى ويشرح الصدر لحسن الثقة بجلاله، ويلوي النفس إلى ساحة الإقبال عليه جل شأنه، ويطرد شبح اليأس والقنوط من ميادين الشعور ومدارك النفس.

ولكن يا أخي الكريم: ما حاجة الله تعالى إلينا، وما منفعته من طاعتنا وتوبتنا؟! إنه، -[جل وعلا]- لا حاجة به لأحد، ولا منفعة له من شيء، وإنه غنيّ عنا، ونحن بأشدّ الحاجة إليه. قال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ^ط وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥-١٧]. فمع هذا الغنى المطلق لربنا عزّ وجلّ، وفقرنا المتناهي إليه، فهو سبحانه وتعالى يُطمعنا بوسع رحمته، وجزيل إحسانه، ويفتح أمامنا كلّ أبواب الرجاء بجوده وعفوه، وما هذا إلا منتهى الرحمة التي هي من صفاته سبحانه. قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] ^(١).

(١) البرهان في شعب الإيمان، ص: ١٠٨.

المبحث الثاني: ثمرات الرجاء:

للرجاء فوائد كثيرة، منها:

١ - إظهار العبودية والفاقة، والحاجة إلى ما يرجوه من ربه ﷻ

ويستشرفه من إحسانه. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (يخرج من النار أربعة) -قاله أبو عمران، وقال ثابت: رجلاً- فيعرضون على ربهم، فيؤمر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم، فيقول: يارب! وقد كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها. فينجيهم الله تعالى منها^(١).

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمته الله: "لقد رجوت ممن ألبسني بين الأحياء ثوب عافيته، أن لا يعذبني بعد الممات، وقد عرفت جود رأفته"^(٢).

فينبغي الالتجاء إلى الله في جميع مراحل الحياة شدة ورخاء. والإطراح على عتبة عبوديته إطراح الفقير الكسير، والارتقاء في أحضان رحمته ارتقاء الطفل الصغير في أحضان أمه، والإيمان القوي بأنه ﷻ هو النافع والمعطي، والمانع والناصر. ينصر الضعيف على القوي، والقليل على الكثير، والضعيف مع نصره قوي، والقليل مع رحمته كثير^(٣).

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (١٩٢).

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة: ٢٣٤/٤.

(٣) ينظر: "أريد أن أتحدث إلى الأخوة"، لأبي الحسن الندوي، ص: ٦٧.

هذا الإيمان يوحى بالابتهال في الدعاء، وإطالة الوقوف ببابه، وشدة الالتزام بأعبائه، والإلحاح في المسألة ويلهم المعاني العجيبة والتعبيرات الرقيقة.

ولنا في النبي ﷺ أسوة حسنة، إذ نتذكر دعاءه في الطائف: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلْنِي إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي يَلْقَانِي بِالْغِلْظَةِ وَالْوَجْهِ الْكَرِيهِ، أَمْ إِلَى صَدِيقٍ قَرِيبٍ مَلَكَتَهُ أُمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلِّحْ عَلَيْهِ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَجِلَّ بِي سَخَطُكَ، وَلَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ) (١).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله (٢):

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا
مَنْ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَنْلُهُ أَذَى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا

(١) ذكره شعيب الأرنؤوط، تخريج زاد المعاد: (٩٦/١)، عن عبد الله بن جعفر رحمه الله، وهو مشهور لكن ضعفه الألباني. لأن في إسناده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن.

(٢) شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه، جمعه وشرحه: محمود بيجو، ص: ٧٢.

٢- يُحِبُّ رَبُّ الْعِزَّةِ ﷻ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُؤْمِلُوهُ وَيَرْجُوهُ وَيَسْأَلُوهُ
من فضله: لَأَنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْجَوَادُ، أَجُودُ مِنْ سَائِلٍ، وَأَوْسَعُ مِنْ
أَعْطَى وَأَحَبُّ مِنْ يُرْجَى وَيُؤْمَلُ وَيُسْأَلُ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا)^(١).

وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أَنَّ عُمَرَ قَالَ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ" ^(٢).
قال أبو شيبَةَ الزبَيْدِي رضي الله عنه: "خَفْتُ نَفْسِي وَرَجَوْتُ رَبِّي، فَأَنَا أَحَبُّ
أَنْ أَفَارِقَ مَنْ أَخَافُ إِلَى مَنْ أَرْجُوهُ" ^(٣).

٣- الرَّجَاءُ يَحْتَزُّ عَلَى الْعَمَلِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ
كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ
تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٦٤٦٣).

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (١٨٩٠).

(٣) صلاح الأمة في علو الهمة: ٢٤٢/٤.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

إذا أردت أن تتعرف على ربك، وترى صوراً من رحمته وجلاله وفضله وإحسانه؛ فعليك أن تقرأ هذا المعنى الذي يُبين به رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام فضل الله تعالى وكرمه وإحسانه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ، قال: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً^(١)). وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بَقْرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً. وَفِي

(١) ينظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسينة لم تكتب، رواه البخاري، رقم: (٤٦/٨١).

رواية: فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، أَوْ أَزِيدُ^(١). تخيل كيف يُعاملك ربُّك! مجرد همِّك بحسنة ولم تتحرَّك قيد شبر لعملها تُكتب حسنة، وأبعد من ذلك؛ تهَمَّ بسيئة وتتركها تُكتب حسنة، ثم تعمل حسنة فتتضاعف إلى حسنات كثيرة جداً، وهي في أصلها حسنة واحدة، وتعمل سيئة ثم لا تكون إلا هي فحسب، ولا يُزاد لك فيها شيء. وإنما ذلك من رحمة الله تعالى وهي أكبر من ذلك بكثير^(٢).

وقال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: "الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أُمْنِيَّةٌ"^(٣).

٤- يريد الله ﷻ تكميل مراتب العبودية للعبد، من الذلِّ والانكسار والتوكل والاستعانة، والخوف والرجاء، والصبر والشكر والرضا والإنابة والخشية. فبه -[أي: الرجاء]- تبرد حرارة الخوف التي قد تصل بصاحبها إلى اليأس^(٤).

٥- إنَّ في الرجاء من الانتظار والترقُّب، والتوقع لفضل الله ﷻ ما يُوجب تعلُّق القلب بذكره تعالى، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته، فيرجو الرحمة من "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، والمغفرة من "الغفور" والرِّزْق من "الرَّزَّاق"، والعطاء من "المُعْطِي"، والفرج من رافع الشدَّة والكرب؛ إذ بابه ﷻ مفتوح على الدوام.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٦٨٧).

(٢) سيكون يوماً رائعاً، د: مشعل عبد العزيز الفلاح، ص: ٧٤.

(٣) شرح حكم ابن عطاء، الحكمة رقم: ٧٨، ص: ١٣٣.

(٤) موسوعة فقه القلوب، ص: ١٩٩٣.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيً، فَإِذَا امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبُ تُدِيمًا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأُلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَلَّا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لِلَّهِ أَرْحَمُ بَعْبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا^(١)).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، قَالَ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ: إِذَا يَتَكَلَّمُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتُمَا^(٢)). وقوله: "تَأْتُمَا"، أي: خوفاً من الإثم في كتم العلم^(٣). وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه، -وهو ممن شهد بدرًا- قال: (...قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ^(٤)). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٥٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (١٢٨).

(٣) رياض الصالحين، ص: ١٤٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (١١٨٦).

عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوْحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ. [وفي روايةٍ زائدة]: مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، أَيَّهَا شَاءَ^(١). فحين يوقن قلبك، وينطق لسانك وتستسلم جوارحك لله تعالى؛ فأنت من أهل الجنان. فمن أجرى هذه الشهادة على هذا المعنى؛ فأقام لله تعالى حقه، ولم يشرك بالله شيئاً، إلا فاز بمغفرة من الله جل وعلا^(٢).

قال الإمام الشافعي رحمه الله^(٣):

لَوْ شَاءَ أَنْ تَصِلَى جَهَنَّمَ خَالِداً مَا كَانَ أَلْهَمَ قَلْبِكَ التَّوْحِيدَ

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَسَاحِخِرِكُمْ عَنْ ذَلِكَ، مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءٍ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءٍ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ)^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٣٤٣٥)، ومسلم في صحيحه، رقم: (٢٨)،

باختلاف يسير.

(٢) سيكون يوماً رائعاً، ص: ٣٦.

(٣) شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه، ص: ٨٧.

(٤) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٢١)، واللفظ له، والبخاري، رقم: (٦٥٢٨).

بل ورد عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم) (١).

ولك أن تتصور حجم وجودك كفرد في هذه الأمة، فأنت وأمتك ثلثا أهل الجنة يوم القيامة، ثمانون صفاً من مئة وعشرين، الكثرة الكبيرة من تلك الأمة التي أنت فرد منها، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو رسولها وإمامها في الدارين. وقد أخبرنا المولى جل وعلا عن موقع هذه الأمة، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] (٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن هذه الأمة أمةٌ مرحومة...) (٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كلُّ سجلٍ مثلُ مدِّ البصر، ثم يقول: أتُنكرُ من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا ياربّ

(١) ذكره الألباني في صحيح الترمذي، رقم: (٢٥٤٦)، وقال: حديث صحيح، وورد في مسند أحمد، بتخريج الشيخ شعيب الأرنؤوط، بإسناد صحيح كذلك، رقم: (٢٢٩٤٠).

(٢) سيكون يوماً رائعاً: ص: ١٢٢-١٢٣.

(٣) مسند أحمد: (٤٠٨/٤)، ومسند أبي يعلى: (٦٢٠٤)، إسناداه صحيح مليح، رجاله كلهم ثقات.

فيقول: أفلك عُذْر؟ فيقول: لا يا ربّ، فيقول: بلى، إنّ لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلمَ عليك اليومَ، فتخرجُ بطاقةً فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضِرْ وزنك. فيقول: يا ربّ! ما هذه البطاقةُ مع هذه السّجّلاتِ؟ فيقال: فإنك لا تُظلمُ، فتوضّعُ السّجّلاتُ في كِفّةٍ، والبطاقةُ في كِفّةٍ فطاشتِ السّجّلاتُ، وثقلتِ البطاقةُ، ولا يثقلُ مع اسمِ الله تعالى شيءٌ^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُوءًا، أَوْ حَبُوءًا فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا -أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا- فَيَقُولُ: تَسَحَّرْتُ مِنِّي -أَوْ: تَضَحَكْتُ مِنِّي- وَأَنْتَ الْمَلِكُ! فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً^(٢). وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ

(١) أخرجه الترمذي، في صحيحه، رقم: (٢٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٦٥٧١)، ومسلم في صحيحه، رقم: (١٨٦).

النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ
مِثْلُ مُلْكٍ مُلْكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ
ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ
فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ
عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنَزَلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ
الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ
تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ...^(١). هل تخيلت آخر
الواصلين للجنان وتخيلت في المقابل ما الذي أخره حتى كان آخر
الواصلين؟ لقد وصل إلى الجنة بعد أن انتهى كلُّ شيء، وصل وحين
أشرف على أبوابها ورأى تلك الجموع فيها، أدرك يقيناً أنه لا مكان
يسعه، ولا فراغ يستوعبه فيُخيل إليه أنها ملاءى، فلا حظاً له في
نعيم الجنان. ويقول له المولى تعالى: ادخل ويذهب ثم يعود ويقول: يا
رَبِّ، وجدتها ملاءى! ليس هناك مكانٌ يمكن أن أجلس فيه، لا سبيل
لدخولها البتة! ويعود الله تعالى يقول له: ادخل الجنة، فيذهب ثم
يعود ويقول: يا رَبِّ، وجدتها ملاءى! فتأتي الأحلام في ثوب لا سبيل إلى
تصوّره وتخيلته: (اذهَبْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ
أَمْثَالِهَا). وهذا آخر رجل يدخلها وملكه ونعيمه عشرة أضعاف
الدنيا، وأن هذا الملك هو أدنى نعيم يلقاه أصحاب الجنان! فكيف

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (١٨٩).

بالذين أَحَبُّوا الله تعالى، وعبدوه وبذلوا في سبيله، ودفَعوا كلَّ ممكن، ولازالوا على الطريق حتَّى لقوه^(١)!

ومما قاله الإمام الشافعي رحمه الله^(٢):

إليك إله الخلق أرفع رغبتني	وإن كُنْتُ يا ذا المن والجود مجرماً
ولمَّا قسا قلبي وضافت مذاهبي	جعلت الرِّجاء مني لعفوك سَلماً
تعاضمني ذنبي فلَمَّا قَرَنْتُهُ	بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل	تجود وتعفو مِنِّي وتكرماً
فإن تعف عني تعف عن مُتمرِّد	ظلموم غشوم لا يزال مأثماً
وإنني لآتي الذنب أعرف قـدره	وأعلم أن الله يعفو ترخُّماً

٦- علاج كبرياء مصائب الدنيا بكبرياء الآخرة: إن من عرف الدنيا

وسبر أغوارها، وآمن بالآخرة وخلودها، هان عليه كل خطب، وصغر لديه كل رُزء، وكثيراً ما تكون الآمناء في فلسفة القدر لوناً من صقل النفس وتهذيب الخلق وتربية الضمير ويقظة العقل وإحكام أساليب التربية الصحيحة في سلوك المؤمن. والمؤمن الحق من إذا ساورته كبرياء الدنيا أذلها بكبرياء الآخرة؛ لأن للإيمان دوره القوي في حياة المؤمن إزاء نكبات الدنيا فهو الذي يلقي النور على ظلمات النفس في أحلك ساعاتها كرباً وجراحاً نفسية، وهو الذي يبعث الأمل حياً في رجاء الله سبحانه بعد مواته، وهو الذي يؤمل النصر

(١) سيكون يوماً رائعاً، ص: ٢١٤-٢١٥، ورد في صحيح البخاري، رقم: (٦٢٠٢)، عن ابن

مسعود عنه صلى الله عليه وسلم.

(٢) شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه، ص: ١٥٤-١٥٧، بتصرف.

بعد الهزيمة والعافية بعد المرض، واليسار بعد الإعسار، والنجاح بعد الخيبة، فمثلاً: من أسلحة الإيمان القوية للمؤمن في معركته الضروس مع الدنيا وهمومها والنفوس وأوصابها الضوء؛ ففيه مسحة إلهية وسر خفي في غسل هموم النفس وذوبان أدرانها والإحساس القوي ببرد الإيمان والطمأنينة، وكلاهما يمسح عن القلب ما علق به من ظلمات وما انتابه من خَوَر.

وهكذا نرى كيف أن -محمد صادق الرافعي- يرسم الصورة المثلى للإيمان الحق ودوره في خطوب دنيانا وتهوين شأنها وتصغير خطرها إزاء الآخرة وما بها من نعيم مقيم أو عذاب أليم. كما أنه قد أتى بكل ما ورد من نصوص شرعية في هذه الجريمة الكبرى "الانتحار" عارضاً إزاءها كل الدوافع وألوانها التي تخول لهذا الجبان الخَوَر المهزم أمام مكابدة الحياة أن يتردى في حفرتها.. يقول الرافعي: "قال المسيب بن رافع عليه السلام: وقام الشعبي إلى الرجل فاعتنقه فرحاً بما آل إليه أمره، بعد أن رأى النور يجري على لونه، ويترقق في ديباجته كأنما وقع الصلح بين وجهه وبين الحياة.. قم قال له: نعم أخو الإسلام أنت.. فاستعد بالله من خذلانه... فإنه ما خذلك إلا ليضع نفسك في إزاء الله، تعارضه أو تجاريه في قدرته، فيكلك إلى نفسك فتنتهي بك إلى العجز وينتهي العجز بك إلى السخط وإلى اليأس والانزعاج والكآبة وأمثالها من هذه المهلكات تقدح في قلبك الشك في الله، وتثبت في روعك شر الحياة، وتهدى إلى خاطرك حماقات العقل، وتقرر عندك عجز الإرادة.. فتنتهي من كل ذلك ميتاً قد

أزهقتك نفسك قبل أن تزهقها. ولو كنت بدل إيمانك بنفسك قد
آمنت بالله حق الإيمان لسلطك الله على نفسك ولم يسلطها عليك
فإذا رمتك المطامع بالحاجة التي لا تقدر عليها رميتها من نفسك
بالاستغناء الذي تقدر عليه، وإذا جاءتك الشهوات من ناحية
الرغبة المقبلة، جئتها من ناحية الزهد المنصرف، وإذا ساورتك
كبرياء الدنيا أذللتها بكبرياء الآخرة"^(١).

(١) ينظر: الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإسلامي مصطفى صادق الرافعي، لعبد
الستار علي السطوحى، ص: ١٤٦-١٤٧.

المبحث الثالث: كيف أكون راجياً؟

ينبغي للمسلم أن يتساءل في نفسه، ما الطريقة التي أرجو بها الله سبحانه وتعالى؟

١- التذكر دوماً بأن الله ﷻ واسع المغفرة؛ إن لله تعالى الأسماء الحسنى التي فيها أسماء حسنى كذلك، وقد أمرنا الله تعالى أن ندعوه بها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وذلك لتكميل تحقق عبوديتنا له، فنستمد منها كل ما يقرّبنا بصدق وإخلاص إليه، كما في الجدول الآتي:

أسماء حسنى من الأسماء الحسنى	الأسماء الحسنى			
الراضي	النور	الوكيل	العدل	الله
الشافى	الهادى	الولى	اللطيف	الرحمن
المنان	البديع	الحميد	الحليم	الرحيم
القريب	الرشيد	الصمد	الغفور - الشكور	السلام
المبين	الصبور	التواب	الحفيظ	الغفار
المنعم		العفو - الرؤوف	الودود	الوهاب
المولى		المقسط	الكريم	الرزاق
المؤتى		الغنى - المغنى	المحيى	الفتاح
ذو الفضل		النافع	الواسع	الباسط

فرحمته سبقت غضبه. قال ﷺ: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]. وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]. أي: يفعلون ما أمرهم الله به، من الواجبات التي يكون تركها من كبائر الذنوب ويتركون المحرمات الكبار، من الزنا وشرب الخمر، وأكل الربا والقتل ونحو ذلك من الذنوب العظيمة. ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وهي الذنوب الصَّغار التي لا يَصِرُ صاحبها عليها، أو التي يلم العبد بها، المرّة بعد المرة على وجه الندرة والقلّة فهذه، ليس مجرد الإقدام عليها مخرجاً للعبد من أن يكون من المحسنين، فإنّ هذه، مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، تدخل تحت مغفرة الله، التي وسعت كل شيء ولهذا قال ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ فلولا مغفرته لهلكت البلاد والعباد ولولا عفوه وحلمه، لسقطت السماء على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة. ولهذا قال النبي ﷺ: (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)^(١). وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي: هو تعالى أعلم بأحوالكم كلها، وما جبلكم عليه، من الضعف والخور، عن كثير

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٣٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مما أمركم الله به ومن كثرة الدواعي إلى فعل المحرمات وكثرة الجواذب إليها، وعدم الموانع القويّة. والضعف موجود مشاهد منكم، حين أخرجكم الله من الأرض وإذ كنتم في بطون أمهاتكم ولم يزل موجوداً فيكم. وإن كان تعالى قد أوجد فيكم قوة على ما أمركم به، ولكن الضعف لم يزل. فلعلّ الله تعالى بأحوالكم هذه ناسبت الحكمة الإلهية والجود الرباني أن يتغمدكم برحمته ومغفرته وعفوه، ويغمركم بإحسانه، ويزيل عنكم الجرائم والمآثم. خصوصاً إذا كان العبد مقصوده مرضاة ربه في جميع الأوقات وسعيه فيما يقرأ إليه في أكثر الآتات، وفراره من الذنوب التي يمقت بها عند مولاه، ثم تقع منه الفلّة بعد الفلّة فإنّ الله تعالى أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، أرحم بعباده من الوالدة بولدها. ومثل هذا حريّ أن يكون من مغفرة ربه قريباً، إن شاء الله. وأن يكون الله له في جميع أحواله مجيباً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح عندهم. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ فإنّ التقوى، محلها القلب والله هو المطلّع عليه، المجازي على ما فيه من برّ وتقوى وأمّا الناس فلا يغنون عنكم من الله شيئاً^(١).

ولقد أرشدنا النبي ﷺ بالتوسل إلى الله تعالى بسعة مغفرته. فعن جابر رضي الله عنه، قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: واذنوباه واذنوباه فقال: هذا القول مرتين أو ثلاثاً، فقال له رسول الله ﷺ قل: اللهم

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٦٤٠.

مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي فقالها، ثم قال: عدّ فعاد، ثم قال: عدّ فعاد، ثم قال: قم فقد غفر الله لك^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي)^(٢).

وليتذكر العبد رحمة الله التي وصفها الله تعالى بأنها وسعت كل شيء. قال جل ذكره: ﴿قَالَ عِدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ

كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فالعذاب خاص والرحمة عامة. ورحمة الله

كعلم الله، كما وسع علمه كل شيء وسعت رحمته كل شيء، فلا

يغيب عن علمه، في الأرض ولا في السماء، ولا يغيب شيء عن

رحمته، في الأرض ولا في السماء، رحمة الله وسعت كل شيء، حتى

وسعت الكفار، ووسعت الفجار، ووسعت المشركين، ووسعت

الملحدين، فإنهم يعيشون في ظلّ رحمة الله إهمالاً لهم! فهو الذي

يرزقهم وهو الذي يُسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً

منه، لم يحجب رزقه عن كافر ولا فاجر طرفة عين، وشمسه تطلع

على الجميع وخيراته تنزل على الجميع^(٣).

(١) رواه المنذري، في "الترغيب والترهيب": ٣٨٦/٢، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب

والترهيب، رقم: (١٠٠٧)، وكان البيهقي في الشعب قد ذكر أن رواته مدنيون ما فهم

أحد مجروحاً، (١٣١/٩)، رقم: (٦٧٢٤)، والحديث صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله ﷻ: ولقد سبقت كلمتنا

لعبادنا المرسلين، رقم: (٧٤٥٣).

(٣) ينظر: الخوف والرجاء، ص: ٢٦٤-٢٦٥.

أما ترى في أمر سحرة فرعون الذين جاؤوا لحربه، -[ضد موسى عليه السلام]- وحلفوا بعزة فرعون عدوه فما كان إلا أن رأوا آية موسى فعرفوا الحق فقالوا: ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١] عن صدق القلوب، ولم يذكر أنهم زادوا عليها عملاً، فكم من كبائر وصغائر غفرها لهم بإيمان ساعة بل لحظة!

وهم: لم يتدرّجوا في مدارج الإيمان درجة درجة ولكن المذهل أن إيمانهم قفز في يوم واحد من نقطة الابتداء إلى قمة الارتقاء، مما جعلهم يبيعون الدنيا بكل إغراءاتها ونعيمها رخيصة في سبيل دينهم الذي اعتنقوه منذ لحظات!

وفي ذلك إشارة: إن قدر الله وتوفيقه وفضله يتجاوز كل العوائق والأعراف البشرية، فدعوكم من حسابات الدنيا وتعلقوا بالسماء^(١)!!

وأصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكفر طوال أعمارهم، قاموا وقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ [الكهف: ١٤] والتجؤوا إليه وكيف قبلهم، ثم أعزهم وأكرمهم. فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]، وكيف أعظم لهم الحرمة، وألبسهم المهابة

(١) ينابيع الرجاء: ٥٣/٢.

والخشية، حتى يقول لأكرم الخلق محمد ﷺ: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ
لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ [الكهف: ١٨] ^(١).

لقد كفر وأشرك به أهل الكتاب الذين زعموا، بأن الله ثالث
ثلاثة، ومع ذلك فتح لهم باب التوبة ودعاهم إليها. قال سبحانه
وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا
إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
[المائدة: ٧٣ - ٧٤].

إن الذين قتلوا أصحاب الأخدود، وهم أولياء الله المؤمنون، ومع
ذلك فتح الله لهم باب التوبة. فقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البقرة: ١٠].
أي: حرقوا -[بالنار]-. قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة
والضحَّاك رضي الله عنهم. ولم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا. ﴿فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل.
قال الحسن البصري رضي الله عنه: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا
أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ^(٢).

دعني أنقلك إلى صورة من صور جلال ربك، وعظيم سلطانه
وكمال رحمته ورأفته بك، سأنقل لك دعوة الله تعالى للكافرين

(١) منهاج العابدين، ص: ١٦١-١٦٢، بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٣٧١/٨.

الملحدين، المعرضين، الذين لم يعترفوا به رباً فضلاً عن أن يعبدوه ويُخطئوا الطريق.. إنها صور يخبرك الله تعالى فيها أنه أرحم وأجلُّ يقول: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. فبمجرد عودتكم سينتهي كل ما سلف، ويصبح لا قيمة له ... وترجعون مواليد جُدد في ساحات الإيمان ومساحات الحياة.

وكما حدث مع أخينا الداعي الدكتور خالد حسن هنداي في "السويد"، حيث أسلم معه نائب رئيس شركة "فولفو" للسيارات وأشهر إسلامه وسأله الحاضرون كم عمركم؟ فقال: أنتم ماذا تتصّورون يكون عمري؟ فبعضهم قال أربعون، وآخرون قالوا: خمسة وأربعون، وآخرون قالوا: ثمانية وأربعون. فأجابهم: إن عمري الحقيقي من حيث ولدت، هو ثلاثة أيام فقط. أي من تاريخ دخولي في الإسلام فقط. فرفعت امرأة يدها وهي وكيلة مدرسة وقالت: أنا أُسلم بإسلامه أمام الناس وتكون ولادتي من اليوم. وبكى الدكتور خالد قليلاً فتعجبوا منه. فأجابهم بعض العرب المسلمين، إنه بكاء الفرح بالإسلام وليس بكاء الحزن ففرح الجميع. فهؤلاء -يمحوا الله عنهم سيئاتهم التي اقترفوها قبل إسلامهم، ويبدلهم حسنات-.

هذا وينقلنا القرآن العظيم إلى صورة أخرى، صورة من عبث الخلق بالمنهج، وخطئهم في حق ربهم وأنفسهم والعالم من حولهم ويتعمّدون الخطأ ويسرفون فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]. اللهم إلا من يشرك به قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. فالشرك مستثنى. والحقيقة الأولى التي يجب ألا تغيب عنك: هي هذه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ والحقيقة الثانية: هي: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

وهكذا؛ لا ييأس من رحمته ومن عفوه إلا الضالّون. قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. فمَنْ أحسن الظنّ به ﷺ ورجا ما عنده، لم يخب ظنّه، قال رسول الله ﷺ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي) (٢).

وجاء في الحديث الشريف أنّ الله غفر للمرأة البغيّ من بني إسرائيل عندما سقت كلباً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (قال رسول الله ﷺ: بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بَرَكِيَّةَ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا -[أي: الخف]- فَسَقَتْهُ فَعُفِرَ لَهَا بِهِ) (٣). هل تخيلت لطف الله تعالى، وعظيم رحمته وإحسانه للعالمين.

(١) سيكون يوماً رائعاً، ص: ١١-١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه، رقم: (٢٦٧٥)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٣٤٦٧).

قال الشيخ محمد الغزالي: "لئن كانت الرحمة بالحيوانات تغفر ذنوب البغايا، فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب". وإذا كان موقف إحسان وشفقة ورحمة من بَغِيٍّ على مدار عمرها من الضلال ألقى بها للحياة، فما ظنك بعملك الصالح -خالصاً لوجه الله تعالى]- على مدى عمرك الطويل^(١)؟!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ لِلَّهِ مِثْلَ رَحْمَةِ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْهَيَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَرَهُ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه، أنه عرض له رجل، فقال له: (كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ)^(٣). تخيل بعمق تلك النجوى والمسارّة بينك وبين ربك وتخيل في المقابل تلك الذنوب والأخطاء والمعاصي التي عرضت عليك بأيامها ولحظاتها وأحداثها وكأنك تراها رأي عين، وتخيل

(١) سيكون يوماً رائعاً، ص: ٤٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (٢٧٥٢).

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٢٤٤١)، ومسلم في صحيحه، رقم: (٢٧٦٨).

كذلك النتائج التي تنتظرها بعد أن اعترفت بها مجتمعة، وأقررت بكل ما عُرض عليك منها. ماذا تنتظر بعد ذلك؟! فيقول لك المولى جل وعلا في أعظم المواقف وأجلّها وأكبرها على الإطلاق: (سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ). فهل أيقنت أنك تتعامل مع رب رحيم^(١)؟!

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مَنْ أَمَّتِي أَرْبَعَ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَهَكَذَا وَجَمَعَ كَفَّهُ، قَالَ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَهَكَذَا فَقَالَ عُمَرُ: حَسْبُكَ يَا أبا بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: دَعْنِي يَا عُمَرُ وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا اللَّهُ الْجَنَّةَ كُلَّنَا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللَّهَ إِنْ شَاءَ أَدْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ عُمَرُ^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)^(٣). وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (...وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)^(٤).

(١) سيكون يوماً رائعاً، ص: ١١٩.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٦٥/٣، فتح الباري: ٦٢٩/١٤.

(٣) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٧٥٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم: (٢٧٥٥).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حدث، (أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى، قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحببت عمك) ^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) ^(٢). وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه، فيما يرويه رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ أنه قال: (...يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم...) ^(٣). أيًا كانت أخطاؤك! ومهما كانت معاصيك، فإنه بمجرد دعائك لربك ورجائك فيه وإقبالك عليه، وحسن ظنك به، ورغبتك الجادة في ستر ماضيك، وحرصك على تصحيح مسارك بالتوبة؛ يغسل كل ذنوبك ويطهرك من جميع أوزارك، وتنتهي تلك الفصول المظلمة وتُقفَل تلك المساحات ومشاهدُ الظلام في حياتك، ويُقبل بك على الحياة من

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٦٢١).

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه، رقم: (٣٥٤٠)، وقال: حديث صحيح.

(٣) قطعة من حديث، أخرجه مسلم، في صحيحه، رقم: (٢٥٧٧).

جديد. وتعود صالحاً، مُجاب الدعوة عند رب العالمين^(١). بمشيئته وإذنه.

وقال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: "لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله ﷻ، فإن من عرف ربه استصغرفي جنب كرمه ذنبه"^(٢). ولكن عليه أن يتوب توبةً نصوحاً. وقال الإمام البخاري رحمه الله: "سمعت بعض أصحابنا يقول: عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري، فقال سفيان: يا أبا سلمة! أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خُيرت بين محاسبة الله إياي، وبين محاسبة أبويّ لاخترت محاسبة الله؛ وذلك لأن الله أرحمُ بي من أبويّ"^(٣).

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: "يارب اعصمني حتى لا أعصيك أبداً فهتف بي هاتف من البيت: يا إبراهيم تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون منّي ذلك، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل؟ ولمن أغفر؟" وكان الحسن رحمه الله يقول: "لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السماوات، ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب"^(٤).

كيف لا وهو الرحمن الرحيم، فلقد ورد اسم "الرحمن" في القرآن الكريم مائة وثمانين عشرة مرة ونحن كل يوم نصلي، ونقرأ الفاتحة

(١) ينظر: سيكون يوماً رائعاً، ص: ٧٥.

(٢) شرح حكم ابن عطاء، الحكمة رقم: ٤٩، ص: ١١٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤٤٩/٧.

(٤) إحياء علوم الدين: ٢٧٢٠/٤.

ما لا يقل عن سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة، ونقرأ في كل ركعة "الرحمن الرحيم".

ومما يُنسب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١):

ذنوبِي إن فَكَّرْتُ فيها كثيرة ورحمة ربي من ذنوبِي أوسع
فما طمعي في صالح قد عملته ولكنني في رحمة الله أطمع

وقال أبو عمران السلمي منشداً ^(٢):

لئن عَظَّمَ الناس الذنوب فإنها وإن عظمت في رحمة الله تصغر

وقال بعضهم: "هب أن أسبابك انقطعت، ولم يبق لديك منها شيء وبذلت قصارى جهدك في تحصيل مطلوبك، ثم لم تبلغ مرادك.. فهل تعلم أن لك ربا قديراً يخرق الأسباب، ويجبر كسر المؤمنين، ويسد خلل المتوكلين، فكيف يتسرّب بعدها اليأس إلى قلبك؟! وكيف تذهب نفسك على جهدك حشرات ^(٣)!؟

أخي المؤمن، اعلم: أنه إذا كان الرجاء بالله تعالى من الإيمان وكان حسنُ الظن بالله عز وجل فرضاً، والقنوط من رحمته، واليأس من عفوهِ حراماً، فليس معنى هذا أن يظلَّ الإنسان مُصِرّاً على المعاصي، مقيماً على المخالفات، متحالفاً مع شياطين الأنس والجن، ثم يطمع في الوقت نفسه أن يعفيه الله تعالى من مَغْبة

(١) ينظر: ديوان علي بن أبي طالب عليه السلام، ص: ١٠٣-١٠٤.

(٢) حسن الظن بالله، ص: ١٠٦.

(٣) ينابيع الرجاء: ١/١٧٧.

أعماله، وعواقب تصرفاته، ويترك مؤاخذته بسيئاته، ويجعله في عداد من أطاعه، ودأب على مرضاته، وفطم نفسه عن معاصيه ومخالفاته، فهذا من الخطأ البين، والجهل الفاضح، نعم إن الله جل وعلا يعفو ويصفح، ولكن عمّن تاب وأناب، وبدّل سيئاته حسنات، أمّا من بقي مشمرّاً عن ساعد الجدّ في المعاصي، فهو عُرضةً للمؤاخذه، وأهلٌ للعذاب^(١).

٢- الاقتداء بالرسول ﷺ: وهو من أعظم الوسائل التي يجني المسلم بها ما يرجوه في الآخرة، وإلا فأنّى له تحقيق ما يرجو من الفوز والنجاة والمسافة بينه وبين سنة رسول الله ﷺ وهديه بعيدة. قال ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [المتحنة: ٦].

فمن كان يرجو لقاء الله والدار الآخرة، فليقتد بالأنبياء عليهم السلام والسلف الصالحين ﷺ، في أفعالهم وأقوالهم؛ فهذا هو الطريق الصحيح الموصل إلى ما يرجوه المسلم.

(١) ينظر: البرهان في شعب الإيمان، ص: ١٠٩.

هذا؛ ومن قبل سيدنا محمد ﷺ فقد حضَّنا القرآن الكريم على الاقتداء بالانبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فِهُدًى لَهُمْ أَفْوَدهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٣- العمل الصالح: وهو من أسباب الرجاء أيضاً^(١). وهو ما كان موافقاً لشرع الله من واجب ومستحب، لا أي عمل. قال جلّ ذكره: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. أي: أن يكون أخلص الأعمال وأصوبها؛ لأنّ العمل إذا كان خالصاً غير صواب لم يُقبل، وكذلك إذا كان صواباً غير خالص، فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة^(٢). وهكذا يُطلب فيه الإخلاص والاختصاص. فالعمل الصالح المقبول الظاهر والباطن معاً: لا بدّ أن تتحقق فيه النية الحسنة والصورة المشروعة -[ويكون العمل بهذه المثابة قدوة من القدوات]-. فإذا توافر حُسن النية، وكانت صورة العمل غير مشروعة فإنّ الله يرفض هذه النية، ولا يقبلها، ولا تشفع أبداً لصاحبها. فمن أكل الرِّبَا ثم بنى من هذا الرِّبَا مسجداً ليُصلي فيه الناس، ويقيموا شعائر الله، فهل تنفعه هذه النية؟ كلا! إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً^(٣).

(١) راجع: الإيمان والعمل الصالح، في كتابنا هذا، ص: ٢٦٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرزاي: ٥٠/٣٠.

(٣) ينظر: في رحاب السنة، ص: ٩٠-٩١.

وقال بعضهم: "قد قنعت بفصاحة اللسان مع عُجْمَةِ الجَنَانِ.
فالفصاحة للقلب لا للسان". وقال الجُنَيْدُ البَغْدَادِيُّ رحمته الله: "يخلص
إلى القلوب من برّه: على حسب ما خلصت القلوبُ به إليه من ذكره.
فانظر ماذا خالط قلبك" ^(١).

فالعَمَلُ الصَّالِحُ: برٌّ، وإنّما يأذن به الإخلاص، فإن لم يوفق
القلبُ إلى مزيدِ برٍّ: فالواجب أن تفحص كفحص الأطباء عن أخلاط
ومكدرات وشوائب تعيق ^(٢).

وجاء في الحديث النبوي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله
عليه وسلم، قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِيَنَّ جَارَهُ
مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ. وَقَالَ يَحْيَى مَرَّةً: أَوْ لِيَصْمُتْ) ^(٣).
فمن أصلح سريرته: فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه
فالله الله في السرائر، فإنّه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر ^(٤).

وقال بعضهم: "العَمَلُ الصَّالِحُ خَيْرٌ من عدمه والدين: اعتقاد
بالجَنَانِ وإقرار باللسان، وعمل بالأركان" ^(٥).

(١) ينظر: طبقات الشافعية، تاج الدين السبكي: (٢٦٧/٢)

(٢) بقايا شمعة، د. فهد النفيسي، ص: ٩٢-٩٣.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٦٠١٨).

(٤) صيد الخاطر، ص: ٦٨.

(٥) ردود على أباطيل ورسائل الشيخ محمد الحامد، ص: ٧٥.

٤- هجر المناهي والمحرمات: إنّ ما يرجوه المؤمن هو دخول الجنة

ومعلوم أنّها محرّمة على أهل الشرك، لهذا كان ترك الشرك من أعظم وسائل تحقيق المرجو الأخروي، وهو رضوان الله ودخول جنته^(١). والشرك يشتمل على الشرك الأكبر والشرك الأصغر، قال ﷺ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي: ترك الرياء، فلا يراني بعمله بل يعمل خالصاً لوجه الله ﷻ، فهذا المسلم هو الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأمّا ما عدا ذلك فإنّه خاسر في دنياه وآخرته، وقد فاتته القرب من مولاه، ونيل رضاه^(٢). فجاء رجاؤه صفرًا، فكيف ينجو من العقاب وقد فعل كل الأعمال التي يستحقّ بها العبد عقاب الله وعذابه. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

٥- الدعاء: وهو من أعظم الأسباب في حصول ما يرجوه الإنسان ويتمناه من الفوز في الدنيا والآخرة. وقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة في فضل الدعاء وترغيب المسلم في تحصيله، فكانت الآيات مئة وثلاث عشرة آية، والأحاديث نحو تسعة وتسعون حديثاً^(٣). قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

(١) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ٣٣/١٦. إشراف وتحرير مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٣٦٩.

(٣) موسوعة نضرة النعيم: ١٩٠١/٥.

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿البقرة: ١٨٦﴾.

فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام لما كان قلبه معلقاً بابنه يوسف عليه السلام وكان يرجو عودته إليه مرة أخرى، لم يفقد الأمل في ذلك بل كان راجياً من الله جل جلاله عودة ابنه إليه، فاستعان على ذلك بالدعاء ^(١). قال عليه السلام: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]. وقال عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]. فحقق الله جل جلاله ما رجاه من عودة ابنه إليه بعد طول السنين والأعوام، قال السعدي في قوله: عليه السلام ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ فالرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإيأس: يوجب له التثاقل والتباطؤ وأولى ما رجا العباد فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه. قال جل ذكره: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته ورحمته بعيدة منهم فلا تتشبهوا بالكافرين. ودلّ هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه برحمة الله وروحه ^(٢).

(١) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ٣٤/١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٤٠٤.

ولننظر إلى ابتهاج نبي الله يوسف ﷺ، وما كان يرجوه من ربه. قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. نعمتك يا ربي أذكرها وأعددها... ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بكلمتك خلقتها وبيدك أمرها، ولك القدرة عليها وعلى أهلها... ﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فأنت الناصر والمعين.. رب تلك نعمتك. وهذه قدرتك. ربّ إني لا أسألك سلطاناً ولا صحةً ولا مالاً. ربّ إني أسألك ما هو أبقي وأغنى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ وهكذا يتوارى الجاه والسلطان وتتوارى فرحة اللقاء واجتماع الأهل ولفة الإخوان. ويبدو المشهد الأخير مشهد عبد فرد يبتهل إلى ربه: أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه إليه. وأن يلحقه بالصالحين بين يديه... إنه النجاح المطلق في الامتحان الأخير^(١). وكذلك؛ غيره من الأنبياء الذين دعوا الله فاستجاب لهم سبحانه وتعالى. فدعا سيدنا سليمان ﷺ ربه، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

(١) في ظلال القرآن، ص: ٢٠٣٠.

وكذلك دعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، قال جل وعلا:
﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ
لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠ - ٤١].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ادعوا الله وأنتم
موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل
لاد^(١)).

وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه: "لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم في
نفسه -[يعني من التقصير]- فإن الله تعالى قد أجاب دعاء شر خلقه
وهو إبليس، ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾
[الأعراف: ١٤ - ١٥]"^(٢).

وقال ابن بطال رضي الله عنه: "ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون
على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة؛ فإنه يدعو كريماً"^(٣).

وقال ابن عطاء الله السكندري رحمته الله: "متى أطلق لسانك بالطلب
فاعلم أنه يريد أن يعطيك". وذلك إذا دعوته بلسان الاضطرار
لصدق الوعد بإجابة دعاء المضطر، لا سيما في الأسحار^(٤).

وقال البيهقي في "الشُّعَب": "قال بعض الحكماء في مناجاته: إلهي
لو أتاني الخبر أنك غير قابل دعائي، ولا سامع شكواي، ما تركت

(١) أخرجه الترمذي، في صحيحه، رقم: (٣٤٧٩).

(٢) فتح الباري: ١١/١٤٤ - ١٤٥.

(٣) المرجع السابق: ١١/١٤٥.

(٤) شرح حكم ابن عطاء، الحكمة رقم: ١٠٢، ص: ١٤٥.

دعاءك ما بلّ ريقى لسانى، أين يذهب الفقيرُ إلا إلى الغنيّ، وأين يذهب الذليل إلا إلى العزيز، وأنت أغنى الأغنياء، وأعزُّ الأعزّاء يا رب^(١)؟! "

ولقد علّمنا رب العزة ﷻ أن نتوجه إليه دائماً بسؤال المغفرة والرحمة؛ لنبقى على طريق الفلاح، فلا غنى لنا عن مغفرته ورحمته. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]^(٢). وكان النبي ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ فيقول: (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)^(٣). وقال الإمام الشافعي رحمه الله^(٤):

أَتَهَيَّأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزِدِّيهِ وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَاْمُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ

فلا بدّ للمسلم أن يلجج بالدعاء ليل نهار؛ لأنّ صاحب الدعاء حاضر سبحانه وتعالى ووعد بأن يستجيب، ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وأن يتيقّن ولا يتعجل الإجابة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا

(١) شعب الايمان، (٣٤٨/٢) (١٠٣٩)، صلاح الأمة في علو الهمة: (٢٣٥/٤).

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم: ٥٦٨/٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٦٣٤٥)، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٤) شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه، ص: ٥٣.

ألهمت الدعاء علمت أن الإجابة معه"^(١). فينبغي له أن يأخذ بشروط الدعاء وأن يعمل بكل الموانع التي وردت في عدم استجابته كأكل الحرام والتعاطي به والإصرار على الذنب. وما أشبه ذلك. فإذا فعل ما أمره الله تعالى ورسوله ﷺ، فإنما أن يستجيب له الله ﷻ، أو يؤخر الاستجابة في الدنيا أو حتى إلى يوم القيامة. حيث هو يوم العدل والقصاص المادي والمعنوي. فلقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثله). قالوا: إذا نكث. قال: الله أكثر^(٢).

وقال بعضهم: "حلاوة الدعاء من الثمرة المعجلة للعبد في الدنيا ومن علامات وإرهاصات القبول في الآخرة، بل وفي الدنيا قبل الآخرة"^(٣).

وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه، أنه لما سُئل: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟! فقال: "لأنكم تدعون من لا تعرفونه"^(٤). ومعرفته تكون بالأعمال والأحوال لا بالأقوال والأشكال! ومن كان كذلك فهو

(١) ينظر: مدارج السالكين: ١٠٣/٣.

(٢) أخرجه أحمد، رقم: (١١١٣٣)، وذكره الألباني في صحيح الترغيب، رقم: (١٦٣٣).

(٣) جرعات دواء، ص: ٢٢٣.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٠/٢.

واثق في إجابة دعائه دنيا وأخرى. وكل من عرف ربه رجاه، وكل من رجاه أنعم عليه بفضلله وأدناه، وقد عرفه حق المعرفة^(١).

٦- قيام الليل: إن لصلاة الليل شأنًا عظيمًا عند الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا

الْمُرْمِلُ ۝ قُرْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نَضْفَهُ ۚ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْآنَ ان تَرْتِيلًا ۝﴾ [المزمل: ١ - ٤] وقال جل ذكره: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال تبارك وتعالى في وصف مكانة أهل الإيمان الذين يقومون بالليل وميزهم عن غيرهم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِاتِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝﴾ [الزمر: ٩].

وجاء في فضلها أحاديث كثيرة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله كان لا يدعه، وكان إذا مرض، أو كسل صلى قاعدًا)^(٢).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد)^(٣).

(١) ينابيع الرجاء: ١/١٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود، رقم: (١٣٠٧)، ونقله الألباني، في صحيح الترغيب: (٦٣٢).

(٣) أخرجه الترمذي بعد حديث، رقم: (٣٥٤٩)، ونقله الألباني، في صحيح الترغيب:

(٦٢٤)، وذكره الألباني في صحيح الجامع: (٤٠٧٩).

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، (يا أيها الناس! أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نياماً تدخلوا الجنة بسلام) ^(١).

وقيل: إن في إفشاء السلام تُزرع المحبة بين الناس، وينزع مافي صدورهم من غلّ وحقد، وينقلبون إخواناً. وبإطعام الطعام ينزع الحسد والغلّ. وبالصلاة بالليل والناس نيام يزداد العبد خوفاً من خالقه، ورحمةً بعباده المؤمنين، ومن هنا يستوجب فاعل هذه الخصال الجنة؛ لقربه من الله عز وجل وفعله للخيرات، والله أعلم ^(٢).

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: (كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بَوْضُوءِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: سَلْ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) ^(٣). أي: كن عوناً في إصلاح نفسك وجعلها طاهرةً مستحقةً لما تطلب، فإني أطلب إصلاح نفسك من الله تعالى وأطلب منك أيضاً إصلاحها بكثرة السجود لله؛ فإنَّ السجود كاسرٌ للنفس ومُذلٌّ لها وأي نفس انكسرت وذلت استحققت الرحمة، والله تعالى أعلم ^(٤).

(١) أخرجه الترمذي: (٢٦٥٣)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه: (١٣٣٤): صحيح.

(٢) التهجد وقيام الليل، لأبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا، ص: ٣٢.

(٣) ينظر: صحيح مسلم، رقم: (٤٨٩).

(٤) بقايا شمعة، ص: ١٢١.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إِنَّ اللَّهَ لَيَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ رَجُلٌ قَامَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ فِرَاشِهِ وَلِحَافِهِ وَدَثَارِهِ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ مَا حَمَلَ عَبْدِي هَذَا عَلَى مَا صَنَعَ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رَجَاءٌ مَا عِنْدَكَ، وَشَفَقَةٌ مِمَّا عِنْدَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا رَجَا وَأَمْنْتُهُ مِمَّا يَخَافُ) ^(١).

وقال رجل للحسن رضي الله عنه: يا أبا سعيد ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله من الأعمال؟ قال: "ما أعلم شيئاً يتقرب به المتقربون إلى الله أفضل من قيام العبد في جوف الليل إلا الصلاة. أي: المفروضة" ^(٢).
وكان يزيد الرقاشي رضي الله عنه يقول: "بطول التهجد تقرّ عيون العابدين وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله عزوجل" ^(٣).

وقال بعضهم: "لقد صحبنا أقواماً يبيتون لربهم في سواد هذا الليل سُجّداً وقياماً، يقومون هذا الليل على أطرافهم فتسيل دموعهم على خدودهم، فمرة رُكَّعاً ومرة سُجّداً، يناجون ربهم، لم يَمَلُّوا كلال السَّهر، لِمَا خالط قلوبهم من حسن الرّجاء في يوم المرجع، فأصبح القوم بما أصابوا من النّصبِ لله عزوجل في أبدانهم فرحين، وبما يأملون من حُسن ثوابه مستبشرين" ^(٤).

(١) ينظر: مجمع الزوائد: (٢/٢٥٨)، إسناده حسن.

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا: (١/٢٤٨).

(٣) المرجع السابق: (١/٢٥٠)، إسناده حسن.

(٤) التهجد وقيام الليل، ص: ٧٩.

٧- تذكر ثواب الله في جنته: وما أعد الله سبحانه للمؤمنين من الثواب الجزيل، والجود والعطاء الوفير ففي جنة الخلد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. إنها جنة عرضها كعرض السماء والأرض، أُعِدَّتْ للذين آمنوا بالله ورسله^(١). قال جل ذكره: ﴿فَلَا تَعْمُرْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وتأمل حال هذا الأعرابي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ -وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ-: (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرْ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاوُهُ وَاسْتَحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ؛ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ). فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا قُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا؛ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

يحكي هذا الحديث حال أعرابي دخل الجنة، ووجد فيها كل شيء وذاق نعيمًا لم يمر به قطّ، وجرت الحياة في قلبه ومشاعره إلى أقصى ما يكون، ولكنه تذكر أيام الدنيا وهو مولع بالزّرع، وشغوف بالبذر، وقد اقتطع عمره كله فيه، فإذا به يأتي إلى ربه تبارك وتعالى ويعرض عليه سؤاله وحاجته، ويخبره أنّه يريد أن يزرع، فيقول الله

(١) الخوف والرجاء، ص: ٣٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٢٣٤٨).

تعالى: (أَلَسْتُ فِيمَا شِئْتُ) ألم تجد رغباتك وشهواتك وأمانيك في الجنان؟ أما ملأت عينيك هذه المباهج التي لا عهد لك بها، ولم تمرّ في خاطرك يوماً من أيام الدهر؟ قال: (بلى! ولكن أحبّ أن أزرع).. والله سبحانه يأذن له، ويمنحه تلك الأمانى، ويبعته إلى ما يريد. وبمجرّد ما زرع هاج مرة واحدة، فإذا به في تمامه وكماله واستوائه فكان أمثال الجبال، وامتلأت عينه في لحظة واحدة ألف مرّة. فالأمانى في الجنان لا حدود لها، وما يجري في قلبك ومشاعرك ستجده صوراً لا سبيل لك إلى عدّها وحصرها. وما ذلك على الله بعزيز^(١).

٨- تذكر نعم الله سبحانه، والتفكير بالمنعم لا بمجرد النعمة:
فهي لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. وما أكثر النعم التي تحيط بنا ولا نذكرها، لإلفنا لها، فلا نشعر بها إلّا حين نفقدها! وما أكثر النعم التي تنزّلت علينا دون سؤال منا ولا حاجة، وتتابع علينا في نهارنا وليلنا، وفي صحتنا وعافيتنا وقيامنا وعودنا، وفي حركاتنا وسكناتنا كلها تدعونا وتحثنا على دوام الرجاء والطّمع فيما عنده سبحانه وتعالى^(٢).

(١) سيكون يوماً رائعاً، ص: ١٩٣-١٩٤.

(٢) الخوف والرجاء، ص: ٣٠٢.

٩- تذكُر قصص العصاة المجاهرين: الذين تاب الله عليهم عندما

رجوه سبحانه وتعالى. فهذا رجل من بني إسرائيل قتل مائة نفس، ثم تاب، فقبل الله ﷻ توبته^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه (أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنُوا وَأَكْثَرُوا، فَاتُّوا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً، فَتَزَلْ، قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ١٥٣]^(٢). ونزل قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴿٧٠﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

وقال بعضهم: "رُبَّ عاصي خيِّر من عابد، فمن كان معه إيمانٌ حقيقي فلا بد أن يكون معه من هذه الأعمال بقدر إيمانه، وإن كان له ذنوب. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (أنه كان على عهد رسول الله ﷺ رجلٌ يكثرُ شرِّها - [الخمِر] - يدعى عبد الله ويلقب [حماراً] كان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان كلما أتى به النبي جلده

(١) كما جاء في صحيح البخاري: (٣٤٧٠)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، رقم: (٤٨١٠).

فَأَتَى بِهِ إِلَيْهِ لِيَجْلِدَهُ فَقَالَ رَجُلٌ: لَعْنَةُ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ
النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ: لَا تَلْعَنُهُ فَإِنَّهُ يَحُبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(١).

فهذا يبين أَنَّ المذنب بالشرب وغيره قد يكون محباً لله ورسوله
وحُبَّ الله ورسوله أوثق عرى الإيمان. كما أَنَّ العابد الزاهد قد يكون
لما في قلبه من بدعة ونفاق مسخوطاً عليه عند الله ورسوله من ذلك
الوجه. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (سَيَكُونُ فِي
أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَأُونَ
الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ
مَعَ صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا
يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ
قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ
قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ. قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سِيَمَاهُمْ؟ قال:
التَّحْلِيْقُ -[أي: حلق شعر الرأس)]^(٢).

وقال أبو نواس^(٣):

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ

(١) صحيح البخاري، (٢٤٨٩/٦)، (٦٣٨٩)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: ٤٧٤/٤،

وظاهرة الغلو في التكفير، د. يوسف القرضاوي، ص: ٤٦.

(٢) أخرجه أبو داود، رقم: (٤٧٦٥)، وذكره شعيب الأرنؤوط، تخريج المسند، رقم:

(١٣٣٣٨)، وهو صحيح ورجاله ثقات بالرواية عن أنس.

(٣) العقد الفريد: (٢٠٦/٣).

أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

وقال أيضا^(١):

يَا نُوَاسِيَّ تَوَقَّـرْ وَتَعَزَّ وَتَصَبَّرْ
إِنْ يَكُنْ سَاءَكَ دَهْرٌ فَلَقَدْ سَرَّكَ أَكْثَرُ
يَا كَثِيرَ الذَّنْبِ عَفْوِ اللَّهِ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ

وقال عبيد بن الأبرص^(٢):

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ

وإنَّ شعار الرَّاجِينَ، قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢]. وكذلك قوله جل ذكره: ﴿وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨]. لذا لا ينبغي أن يكون الرجاء إلا من الله عز وجل؛ لأنَّه لا يملك أحد من دونه ضرراً ولا نفعاً، فمن رجا ممن لا يملك ما لا يملك، فهو من الجاهلين^(٣). وروي عن يحيى بن معاذ، أنه قال: "علم القوم في أربعة أشياء: يرون كل شيء من الله، ثم يرجعون كل شيء إلى الله فيطلبون كل شيء من الله، ويردّون كل شيء إلى الله"^(٤).

(١) ينظر: تهذيب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج النهرواني، ص: ٣٩.

(٢) شرح المعلقات التسع، لأبي عمرو الشيباني، ص: ١٠٤.

(٣) شعب الإيمان: ٢٧/٢.

(٤) فقه القلوب، ص: ١٦٧.

المبحث الرابع: نماذج بعض من الراجين في الله تعالى:

وقد كان -الرجاء- سمة بارزة في حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين، الذين كانوا أشد الناس إيماناً ورجاءً برهم.

١- نماذج من الأنبياء عليهم السلام:

- محمد رسول الله ﷺ:

مع أنّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو زعيم الراجين بلا ريب، وقد ذكر الله تعالى في القرآن آيات عديدة تدلّ لذلك وذكر في السنة أحاديث وفيرة تشير إلى هذا الأمر لفظاً ومعنى إلا أننا نعرض في هذا المقام مثلاً واحداً. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: (ما من الأنبياء من نبيٍّ، إلا وقد أُعطِيَ من الآيات ما مثله آمن عليه البشرُ وإنما كان الذي أُوتِيَتْهُ وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يومَ القيامة) ^(١). فلقد كان رجاءه أن تكون أمته يوم القيامة أعظم الأمم وأكثرها أتباعاً لنبيٍّ. وقد صحّ من الأحاديث ما يدل على أن العالم كلّهُ سيدخل الإسلام في أواخر الزمان عند نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وحكمه بالإسلام ^(٢). كما جاء في الحديث، عن تميم الداري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدبرٍ -[الطين الصلب]-

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٧٢٧٤).

(٢) الخوف والرجاء، ص: ٢٨٦-٢٨٨، بتصرف.

وَلَا وَبَرٍ-[الصوف أو الشعر]- إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ
بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ^(١).

- نبي الله نوح ﷺ:

دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، مع العلم أن الكثير منهم
لم يؤمنوا به، لكنّه استمر في الدعاء والرجاء في رحمة الله.

- نبي الله إبراهيم عليه السلام:

كان أباً للأنبياء، وقد تميز بإيمانه الراسخ ورجائه القوي في الله
حتى عندما أمره الله بذبح ابنه إسماعيل، لم يتردد لحظة، بل
استسلم لأمر الله ووثق في حكمة الله.

- نبي الله يعقوب عليه السلام:

تأملوا معي رجاء يعقوب في يوسف - عليهما السلام - وقد فقدَه
صبيّاً يَغْلِبُ عليه الهلاك، ثم كُفَّ بصره من البكاء حزناً عليه، وما
انفكَّ لحظةً عن الرجاء بالله في لقيائه حتى عاتبَه بنوه، قال جل
ذكره: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ
مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥]، فكان جوابه جوابَ الراجي في الله - تعالى
- ما لا يرجوه من الخلق؛ قال سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي
وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]. فلولا

(١) رواه أحمد: (١٠٣/٤) (١٦٩٩٨)، والطبراني: (٥٨/٢) (١٢٨٠)، والحاكم: (٤٧٧/٤)،

والبيهقي: (١٨١/٩) (١٩٠٨٩). وهو صحيح على شرط مسلم.

الرجاء ما صبر على فقدته سنين ولم ييأس من روح الله وكان يكره اليأس.

إنَّه يعلم من لُطْفِ الله -تعالى- ورأفته ورحمته بعباده ما أوجبَ حسنَ ظنِّه به، وقوَّة رجائه فيه، ثم تأمَّلوا دعوته لبنيه أن ينبذوا اليأس، ويملؤوا قلوبهم بالرجاء وحسن الظن بالله - تعالى؛ ﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ﴾ [يوسف: ٨٧]، فلَمَّا بَشَّرَ به، قال تعالى: ﴿قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ اِنِّيْ اَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ [يوسف: ٩٦]، إنَّه لرجاءٌ عظيم بالله -تعالى- كُوفي عليه يعقوب في الدنيا بلُقيًا ولده، وعودة بصره، واجتماع شمله بأحبَّته، وإزالة ما في قلوب بعضهم على بعضٍ، مع ما نالوا من عزِّ الدنيا ورفعها برفعة يوسف عليه السلام- وأجر الآخرة أكبر وأبقى.

- نبي الله يونس عليه السلام:

عندما ابتلعه الحوت، لم ييأس ولم يفقد الأمل، بل استغفر ربه وتوجه إليه بالدعاء، فاستجاب الله له وأخرجه من بطن الحوت.

- نبي الله موسى عليه السلام:

كان رجلاً من الصابرين، وقد لقي الكثير من المشاق والتحديات في طريقه، ولكنَّه ظلَّ متمسِّكاً برَبِّه راجياً فرجه ونصرتَه. كان دائم الرجاء في رحمة الله، حتى في أصعب الأوقات. مثل شقِّ البحر.

٢- نماذج من الصحابة رضي الله عنهم:

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

كان أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان سنده وعونه في الدعوة إلى الإسلام، وقد تميّز بإيمانه الراسخ ورجائه القوي في الله، حتى عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، كان أبو بكر معه يساعد ويدعمه.

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان شديد العناد قبل إسلامه ولكن بعد أن أسلم، أصبح من أشدّ الناس إيماناً ورجاءً، وقد قام بأعمال عظيمة في سبيل الإسلام وكان يثق تمام الثقة في الله ورسوله.

- عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كان من أثرياء قريش، وقد آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم وجاهد في سبيل الله، وكان كريماً سخياً، وكان يرجو الأجر والثواب من الله.

- عمرو بن العاص رضي الله عنه:

لما حضرته الوفاة قال: "اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هجيراً حتى مات" (١).

(١) أخرجه أحمد، رقم: (١٧٧٨١)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط

مسلم.

- بلال الحبشي رضي الله عنه:

كانت زوجته تقول: واخزناه وهو يقول: واظربناه، غدا ألقى الأحبة محمداً وحزبه، واهّا لبلاّل عليم أنّ الإمام لا ينسى المؤذن^(١)!.

- عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه:

انظر كيف قاتل في غزوة بدر؟ وما كان رجاءه؟ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: (...قال: عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْنٌ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ^(٢).

- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

روي أنه: "لما احتضر، قيل له: ألا توصي؟ فقال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك"^(٣).

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم: (١١٨٧/٣)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (١٩٠١).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٦٠/٣).

٣- نماذج من العلماء والصالحين رحمهم الله:

- التابعي الربيع بن خثيم رضي الله عنه:

كان من أتقى الناس وأخشاهم لله وكان يكثر من الاستغفار والدعاء. راجياً من الله تعالى.

- الحسن البصري رضي الله عنه:

كان يدعو الناس دائماً إلى الرجاء في رحمة الله، وكان يذكرهم بأن الله واسع المغفرة. وأن الرجاء يكون مع العمل.

- سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج رضي الله عنه:

لما حضره الموت قال: "أجدني بخير، أجدني راجياً لله عز وجل حَسَنَ الظَّنِّ به، إنَّه والله لا يستوي من غدا وراح يعمرُ عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموتُ حتى يَقْدَمَ عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عُقْدِ الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة، لا حظَّ له فيها ولا نصيب" ^(١).

- مالك بن أنس رضي الله عنه:

عن بكر بن سليمان الصَّوَّاف رحمهم الله، قال: "دخلنا على - مالك- في العشيَّة التي قبض فيها، فقلنا: يا أبا عبد الله كيف تجدك؟ قال: ما أدري ما أقول لكم، إلا أنكم ستُعَايِنُون غداً من

(١) صلاح الأمة في علو الهمة: (٢٤٣/٤).

عفو الله ما لم يكن لكم في حساب. قال: ثم ما برحنا حتى أغمضناه" (١).

- الفضيل بن عياض رحمته الله:

نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة، فقال: رأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقاً - [وهو سُدسُ الدرهم] - ، أكان يردهم؟ قالوا: لا. قال: والله، للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق" (٢).

- الإمام الشافعي رحمته الله:

كان عالماً جليلاً، وقد عانى الكثير من المشاق في حياته، ولكنه ظلّ صابراً محتسباً، راجياً الله في كل حال.

- ذوالنون المصري:

عن محمد بن عبد الملك بن هاشم، قال: سمعت ذا النون المصري رحمه الله يقول في دعائه: "اللهم إليك تقصد رغبتى وإياك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح طلبتي، وبيدك مفاتيح مسألتي، لا أسأل الخير إلا منك، ولا أرجوه من غيرك، ولا أياأس من روحك بعد معرفتي بفضلك" (٣).

(١) موطأ الأمام مالك، تحقيق: محمد مصطفى الاعظمي: (١٣٣/١). حسن الظن بالله،

ص: ٩٦، صلاح الأمة في علو الهمة: (٢٣٩/٤).

(٢) حسن الظن بالله، ص: ٩٥، صلاح الأمة في علو الهمة: (٢٤١/٤).

(٣) الحلية: (٣٣٣/٩).

- الجنيد البغدادي رحمه الله:

كان معروفاً بتواضعه وعبادته، وكان يرجو رحمة الله في كل أفعاله.

- الإمام الغزالي رحمه الله:

كان فيلسوفاً وعالمًا كبيراً، وقد ألف العديد من الكتب في العقيدة والفقه، وكان يشدد على أهمية الرجاء في الله والتعلق به.

- مما قاله بعض الشعراء في الرجاء:

- قال العتابي ^(١):

وجعلت عتبك عتب موعظةٍ ورجاء عفوك منتهى عذري

- وقال أعرابي ^(٢):

وإني لأرجو الله حتى كأنما أرى بجميل الظنِّ ما الله صانعُ

- وأنشد عبد الله بن محمد بن يوسف رحمه الله ^(٣):

أسير الخطايا عند بابك واقف على وجلٍ ممّا به أنت عارف
يخاف ذنباً لم يغب عنك غيها ويرجوك فيها فهو راجٍ وخائف

- وقال أبو العتاهية ^(٤):

إذا ما اتقى الله امرؤً لأن جانبه وقارب بالإحسان من لا يقاربه

(١) بهجة المجالس، لابن عبد البر القرطبي: (٣٧٩/١).

(٢) العقد الفريد: (١٢٩/٣).

(٣) بهجة المجالس: (٣٨٠/١).

(٤) المرجع السابق: (٣٨١/١).

يقول الفتى أرجو وأرجو وما له
 ألا ليس يرجو الله من لا يخافه
 من النَّاس من يبصرُ الدهرُ جهله
 كفى بصروف الدهر علماً وحكمةً
 ومن لم يثق بالله لم يَصِفْ عيشه
 نزوعٌ عن الذَّنْب الذي هو راكمه
 وليس يخاف الله من لا يراقبه
 ويزداد فيه الضعف حتّى يعاتبه
 لمن لم يخنه علمه وتجاربه
 ومن ضاق عنه الحقّ ضاقت مذاهبه

- وقال الشاعر^(١):

بالله أَبْلُغُ ما أَسْعَى وأُذِرْكُهُ
 إِذَا أَيْسْتُ وكادَ اليأسُ يَقْطَعُنِي
 لا بي ولا بشفيعٍ لي من النَّاسِ
 جاءَ الرَّجاءُ مُسْرِعاً من جانبِ الياسِ

- وقال الشاعر:

إلهي يا إله الكون إنّي
 لَجأت إليك يا ربي لأنّي
 أتيّتك راجياً فاقبل دعائي
 وجدتكَ خير سَماعٍ دعائي

- وفي ختام حديثنا عن الرجاء، تأمل أخي المسلم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ

يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]. إن النجاة والسعادة لا يتحققان إلا برضى الله عزّ وجلّ، ورضى الله إنّما يكون بالإيمان بأنّه لا إله إلاّ هو وبالإيمان بما أمر بالإيمان به، وبالكفر وبالطاغوت. وبالإسلام لله تعالى.

(١) فوائد الفوائد، لابن القيم، ص: ٤٦٠.

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]. أي إن هذه الآيات القرآنية، إنما هي بصائر من الله سبحانه، فمن أبصرها بتفكر وأدرك دلالاتها، وفهم معانيها، وعمل بما جاء فيها، واعتبر بعبرها فلنفسه كسب خيراً وسعادة عاجلة في الدنيا، وأجله إلى يوم الدين وهي يومئذ تكون سعادة خالدة.

ومن تولّى عنها، فلم يستقبلها، ولم يتفكر فيها، ولم يتفهم دلالاتها ولم يعمل بما تضمنته من هداية، وكان بالنسبة إليها أعمى، فعلى نفسه جنى شراً وإثماً عظيماً، وعذاباً أليماً^(١).

(١) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص: ٢٥٣.

فصل في التوازن بين الخوف والرجاء: وفيه ثلاثة مباحث:

تمهيد:

المبحث الأول: التوازن بين الخوف والرجاء.

المبحث الثاني: حالات ترجح الرجاء.

المبحث الثالث: حالات ترجح الخوف.

فصل في التوازن بين الخوف والرجاء

بعد أن انتهينا من بحث الخوف والرجاء لابد لنا أن نتيين التوازن بينهما. فالقرآن الكريم يرشدنا دائماً إلى الحد الوسط بين الخوف والرجاء، وهو يجمع بين الترغيب والترهيب، والنفس المؤمنة به تضطرب وتخاف مما فيه من الوعيد، ثم تطمئن وتسكن عند سماع آيات الرحمة. فالرجاء للمحسنين والخوف على المسئيين كما في العقيدة الطحاوية.

المبحث الأول: التوازن بين الخوف والرجاء:

إن الرِّجاء محمودٌ في موضعه، كما أنَّ الخوف محمود في موضعه أيضاً.

فكل ما ورد في فضل الرجاء، هو دليل على فضل الخوف؛ لأنهما متلازمان، فإن كل من رجا محبوباً فلا بد وأن يخاف فوته، فإن كان لا يخاف فوته فهو إذاً لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجياً، فالخوف والرجاء يسيران معاً ويستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر، نعم يجوز أن يغلب أحدهما الآخر وهما مجتمعان، ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه، وعلى كل حال فهما -[كما قلنا]- متلازمان، ولذلك قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عز وجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. ومن هنا جاء القرآن بلسان العرب فعبر عن الخوف بالرجاء -[كما ذكرنا سابقاً]- فقال جل ذكره: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ

وَقَارًا ﴿[نوح: ١٣]. أي: لا تخافون، وكثيراً ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما، إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بلازمه^(١). فَمَنْ اقْتَرَفَ الذُّنُوبَ وَالزَّلَّاتِ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، فَلَا يَصْلَحُ لَهُ إِلَّا جَانِبُ الرَّجَاءِ، وَلَوْ فَتِحَ لَهُ بَابُ الْخَوْفِ لَيُسَّ وَرَبَّمَا زَادَ فِي الْإِجْرَامِ، كَمَا جَرَى مَعَ قَاتِلِ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ نَفْسًا حِينَمَا أَرَادَ أَنْ يَتُوبَ.

أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَمَا فِي الْمَعَاصِي، بَعِيدًا عَنْ بَابِ مَوْلَاهُ، يَعَاجِلُ نَفْسَهُ بِالْتَّمَنِّيِّ وَالتَّسْوِيفِ؛ فَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ إِلَّا جِرْعَاتُ دَوَاءِ التَّخْوِيفِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿[الزمر: ١٤ - ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿[الإسراء: ٥٩].

(١) ينظر: المستخلص في تزكية الأنفس، ص: ٢٩٠.

والاعتماد على الخوف وحده قنوط من رحمة الله، قال ﷺ: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

والاعتماد على الرجاء فقط أمن من مكره تعالى: ﴿فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فالله ﷻ أمرنا بالجمع بين الخوف والرجاء، وهذه طريقة الأنبياء ﷺ. والرجاء من الله سبحانه مع الخوف منه مستحب في حال صحة الإنسان، وهذا متفق عليه^(١). فهو سبحانه وتعالى رحيم بالعباد، وهو شديد العقاب كذلك، والقرآن يؤكد هذه القضية ويكررها ليكون المؤمن دائماً بين بين الخوف والرجاء، ولا تُطمعه الرحمة في المعصية، ولا يؤنسه أليم العقاب من التوبة والمغفرة. قال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

ومع أن رحمة الله تعالى واسعة، وسعت كل شيء، إلا أنه قضى بها لمن يستحقها، ممن آمن به واتبع رسوله ﷺ، قال ﷺ: ﴿وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَىكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ

(١) ينظر: فتح الباري: (٢٥٢/١١).

يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الْطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

فاعلم أن الأمن من مكر الله، واليأس من رحمته كفر، فمن لم
يكن له خوف من الله سبحانه وتعالى، وقع في الأمن من مكر الله كما
يظن، ومن لم يكن له رجاء وقع في اليأس، وكذلك فالمبالغة في
الخوف أو في الرجاء مذمومة؛ لأن ذلك يخرج إلى القنوط وإلى المرض
والموت في إفراط الخوف، وإلى الأمن والاسترسال في الشهوات
والاغترار في إفراط الرجاء، والأصلح أن يعتدل رجاء المسلم وخوفه
ولذلك قيل: "لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا". وقيل: "أكثر
الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء؛ وذلك لأجل غلبة المعاصي وأما
للمتقي، فالأفضل أن يعتدل" (٢).

قال الله ﷻ: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ
حَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

(١) ينظر: زاد الدعاة: (١/١٥٢).

(٢) تبیین المحارم: ٢٥٣/٥ - ٢٥٤.

فالأخبار في حقيقة الرجاء تزيد المغترين اغترارًا وتزيد المستدرجين بالسَّتر والنَّعيم خسارةً، وهي مزيد للتَّوابين الصَّادقين، وقرة عين المحبِّين المخلصين وسرور لأهل الكرم والحياء، ينتفعون بها، ويشتدُّ عندها حياؤهم، وتروح بها كروبهم، وترتاح إليهما عقولهم^(١).

وهكذا؛ فإن حال المؤمن ينبغي أن تكون بين الخوف والرجاء وحقيقة هذا الخوف، إنما هو خوف من قاضي عادل أن ينزل به العقوبة على جرمه، لا خوفًا من مَلِك غشوم يأخذ البريء بذنب المسيء. إنه أشبه بخوف الابن من غضبة أبيه عليه -[ولله المثل الأعلى]- إذا انحرف عن سواء الطريق. وهو مع هذا خوف مشوب بالرجاء أن يسامحه أبوه إذا اعتذر له، وأظهر الندم على ما قرط شأنه شأن المؤمن الذي يخاف الله سبحانه، ثم يغلبه ما يرجوه من عفوهِ ﷻ، والأمل في سعة رحمته^(٢). ولا يمكن التَّقَرُّب إلى الله ﷻ إلَّا بهما تحقيقًا لقوله: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] وقوله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

قال ابن كثير رحمه الله عند قوله ﷻ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] أي: يغفر ما سلف من الذَّنْب، ويقبل التَّوْبَة في الحاضر والمستقبل

(١) ينظر: قوت القلوب: ٣٧٣/١.

(٢) قد أفلح من زكاها، ص: ٣٢٩.

لمن تاب إليه وخضع لديه، وقوله ﷺ: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [عافر: ٣] أي: لمن تمرّد وطغى وآثر الحياة الدُّنيا، وعتا عن أوامر الله وبغى، وقد اجتمع في هذه الآية الرّجاء والخوف، وهذه كقوله ﷺ: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]. وهكذا يُقرن الله تعالى هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعدّدة من القرآن؛ ليبقى العبد بين الرّجاء والخوف^(١).

وقال القرطبي رحمه الله: "أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقّب وتخوّف وتأميل لله ﷻ؛ حتى يكون الرّجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان"^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)^(٣). كما أشرنا سابقاً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبي ﷺ فيما يروي عن ربّه ﷻ قال: (وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ: إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٤).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ١٢٧/٧.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٢٧/٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، رقم: (٢٧٥٥).

(٤) أخرجه البزار في مسنده: (٣٤٢/١٤)، وابن حبان في صحيحه: (٤٠٦/٢)، وقال:

حديث حسن. ينظر مجمع الزوائد: (٣٠٨/١٠).

وفي خبر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من أذنب ذنباً فستره الله تعالى عليه في الدنيا، فالله تبارك وتعالى أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة، ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يُثني عقوبته على عبده في الآخرة"^(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "العلم بالله يوجب الخضوع والخوف وعدم الخوف دليل على تعطيل القلب من المعرفة، والخوف ثمرة العلم، والرجاء ثمرة اليقين، ومن طمع في الجنة اجتهد في طلبها، ومن خاف من النار اجتهد في الهرب منها"^(٢). وقال أيضاً: "لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل." وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدلهما^(٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لا تخف إلا ذنبك ولا ترج إلا ربك"^(٤).

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: "الرجاء والخوف مطيئا للمؤمن"^(٥).

(١) أخرجه أحمد (٩٩/١، ١٥٩)، والترمذي (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢٦٠٤)، والحاكم

(٢/٤٤٥، ٣٨٨/٤)، والبيهقي في "السنن"، (٣٢٨/٨)، وإسناده حسن.

(٢) الحكمة والحكماء، عبد الله علي سعيد الغامدي، ص: ٥٧.

(٣) المستخلص في تزكية الأنفس، ص: ٢٩١.

(٤) رسالة المسترشدين، ص: ٨١-٨٢.

(٥) الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، ص: ٣٤٩.

وقال ابن القيم رحمه الله: "فكلُّ راجٍ خائف، وكلُّ خائفٍ راجٍ" ^(١).

وقال ابن حجر: قال ابن بطَّال رحمه الله: "في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة، وتدبير لطيف؛ لأنَّه لو علم أنه كان ناجياً أُعْجِبَ وكسل، وإن كان هالِكًا ازداد عتوًّا، فحجب عنه ذلك؛ ليكون بين الخوف والرجاء" ^(٢).

وقال أيضاً: "اشتمل على الوعد والوعيد المقتضيين للرجاء والخوف فمن علم أنَّ من صفات الله تعالى الرَّحمة لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممَّن أراد أن ينتقم منه، لا يأمن انتقامه مَن يرجو رحمته ولا ييأس من رحمته مَن يخاف انتقامه، وذلك باعث على مجانية السيِّئة ولو كانت صغيرة، وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة" ^(٣).

فلا يرد ذكر النار إلا ويعقبها ذكر الجنة في معظم أي القرآن كربط بين الوعد والوعيد والزجر والترغيب. في صورة من التمازج والتساوق بين الخوف والرجاء، وبذا يكون المرء دائماً عند مراقبة لله عز وجل في كل خطرة وقول وعمل، ومن ثمَّ تتحقَّق له الهداية المرجوة. والاندماج قلباً وقالباً في رحاب الله، وهذا ما تسعى له آيات الكتاب الحكيم في كل صورة، في كل آية، في كل أمر، في كل نهي، في كل وعد، وفي كل وعيد.

(١) ينظر: مدارج السالكين: ٥١/٢.

(٢) فتح الباري: ٣٣٠/١١.

(٣) المرجع السابق: ٣٠٢/١١.

ولئن دلت هذه الكثرة من آيات الترغيب والترهيب في كتاب الله الحكيم على شيء فإنما تدل على أهمية هذا الأسلوب ومنزلته على طريق الهداية والتوجيه. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة. وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه الأليم في الآخرة، ولقد كان هذا هو نهج القرآن الكريم في كل من الترغيب والترهيب^(١).

وهكذا جاءت آيات الترغيب في القرآن الكريم كلها حثاً على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله.

كما جاءت آيات الترهيب في كتاب الله كفاً عن ولوج أبواب الشر والرديلة وتخويفاً مما يعقبها من آلام ومنغصات، مما يجعل النفوس حريصة على الاندفاع نحو الخير والفضيلة خوفاً من مغبة التراخي والتفريط^(٢).

وهذه صورة ترغيبية، يتجلى فيها فوز المؤمنين بما وعد الرحمن وأي وعد!! قال تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا﴾ [مريم: ٦١-٦٣]. صورة للجنة هادئة ساكنة رتيبة، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾

(١) أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، د: عمر محمد باحاذق، ص:

١٢٥-١٢٩، بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٣٨.

فلا فضول في الحديث، ولا فسوق ولا جدال، إنما هي أصوات تناسب هذا الجو الراضي الكريم، إنه صوت السلام. أما الرزق فهو مضمون مكفول لا عناء ولا مجشمة في نيله ولا كد في إحرازه.

هذا هو الفوز، وهذا الرضا هو ميراث مكفول لمن كان تقياً. إنها الدار التي أعدها الله لأبي البشر آدم عليه السلام يتوارثها أبناؤه عنه من كان منهم تقياً، قال جل ذكره: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾.

وننتقل إلى الجانب الآخر لنرى مشهداً لخزي الكافرين الذين ينكرون البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۖ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨-٧٢] (١).

وقال لقمان لابنه: "يا بُني خَفِ الله خوفاً يحول بينك وبين الرجاء وارجِه رجاء يحول بينك وبين الخوف، قال: فقال: أي أبه، إنما لي قلب واحد إذا ألزمته الخوف شغله عن الرجاء، وإذا ألزمته الرجاء

(١) أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، ص: ١٣١-١٣٢.

شغله عن الخوف، قال: أي بني إن المؤمن له قلب كقلبين، يرجو الله عز وجل بأحدهما ويخافه بالآخر" (١).

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: "مُسْتَقَى الخوف من بحر عدله ومُسْتَقَى الرجاء من بحر فضله، وقد سبق القضاء أن رحمته سبقت غضبه. وقال رحمه الله: إن كان صَغُرَ في جنب عطائك عملي، فقد كَبُرَ في حُسْنِ رجائك أَملي" (٢).

وقال أيضا: "كيف أخافك وأنت كريم، وكيف لا أرجوك وأنت عزيز؟! فأنا بين خوف يقطعني، ورجاء يوصلني، فلا رجائي يدعني أموت خوفاً، ولا خوفاً يتركني فأحيا فرحاً" (٣).

وقال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: "إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك، -أي: استحضر بقلبك ما هو واصل منه تعالى إليك من الفضل والكرم، ومزيد الاحسان الذي لا يحصىه القلم. - وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك إليه. - أي: استحضر ما هو واصل منك إليه من عظيم المخالفات وارتكاب السيئات، فإذا غلب عليك هذا الحال، اشتد بك الحزن، وبادرت بصالح الأعمال" (٤).

(١) ينظر: حسن الظن بالله، ص: ١١٥.

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة: ٢٣٤/٤.

(٣) شعب الإيمان: ٩١/٤.

(٤) شرح حكم ابن عطاء الله، الحكمة رقم: ١٤٩، ص: ١٧٤.

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "اعلم أن أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء، وإذا رأينا أرباب الدنيا قد غلبت آمالهم، وفسدت في الخير أعمالهم أمرناهم بذكر الموت والقبور والآخرة، فأما إذا كان العالم لا يغيب عن ذكره الموت وأحاديث الآخرة تقرأ عليه وتجري على لسانه، فتذكره الموت زيادة على ذلك لا يفيد إلا انقطاعه بالمرة. بل ينبغي لهذا العالم الشديد الخوف من الله تعالى، الكثير الذكر للآخرة: أن يشاغل نفسه عن ذكر الموت؛ ليمتدَّ نَفْسُ أمله قليلاً فيصنّف ويعمل أعمال خير، ويقدر على طلب ولد. وأما إذا لهج بذكر الموت كانت مفسدته عليه أكثر من مصلحته. ألم تسمع أن النبي ﷺ سابق عائشة رضي الله عنها فسبقته، وسابقها فسبقها فقال ﷺ: (هذه بتلك)^(١). وكان يمزح ويشاغل نفسه؟ فإن مطالعة الحقائق على التحقيق تفسد البدن وتزعج النفس"^(٢).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "يا بُني المصيبة ما جاءت لتهلكك، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك، فالمصيبة كير العبد - [الكير هو: التنور عند الحداد يزيل به عن الحديد ما علق به من صدأ] - فإما أن يخرج ذهباً، أو خبثاً، واعلم أنه لولا المصائب، لبطر العبد

(١) رواه أحمد: (٢٤١١٨)، وأبو داود في الجهاد: (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح:

(١٩٧٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٣١)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صيد الخاطر، ص: ١٧٢-١٧٣.

وبغى وطغى، فيحميه الله تعالى بها من ذلك ويطهره مما هو فيه
فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه"، كما قيل ^(١):

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعمة!

وقال الإمام الشافعي رحمه الله ^(٢):

أرجُ الإله وخف لكل عزيمة ولا تطع النفس اللجوج فتندما

وقال الشيخ الجيلاني رحمه الله أيضاً: "يا غلام: فقه اللسان بلا عمل
القلب لا يُخطئكِ إلى الحق خطوة، السير سير القلب، والعمل عمل
المعاني مع حفظ حدود الشرع بالجوارح والتواضع لله تعالى.

ومن جعل لنفسه وزناً فلا وزن له، من أظهر أعماله للخلق فلا
عمل له. الأعمال تكون في الخلوات، لا تظهر في الجلوات سوى
الفرائض التي لا بد من إظهارها، وإن أساس الأعمال التوحيد
والإخلاص؛ فمن لا توحيد له ولا إخلاص له لا عمل له، فأحكم
أساس عملك بالتوحيد والإخلاص، ثم ابن الأعمال بحول الله
عزوجل وقوته لا بحولك وقوتك، يد التوحيد هي البانية لا يد
الشرك والنفاق، الموحد هو الذي يرتفع قدر عمله أما المنافق فلا.

(١) حاشية رسالة المسترشدين، ص: ٨٧.

(٢) أصل البيت في ديوان الإمام الشافعي، ص: ١٥٣، (خف الله وأرجه لكل عزيمة)،
وفعل أرجه لا يستقيم نحويّاً وحاشى للشافعي أن يقع في ذلك، وبعضهم صحح
فكتب أرجه، ويبقى الوزن مكسوراً أيضاً؛ لأن هذا على البحر الطويل ولذلك عدلنا
فاقتضى التنويه.

اللهم باعد بيننا وبين النفاق في جميع أحوالنا"^(١). وقال رويم الزاهد رحمه الله: مؤكداً على أن السير سير القلب؛ فليس إلا بذل الروح وإلا فلا تشتغل برهات"^(٢).

وقال مسلم بن يسار: "ما أدري فيم خوف امرئ ورجاؤه إذا لم يمنعه من ركوب شهوة إن عرضت له، أو لم يصبراه على مصيبة إن نزلت به"^(٣).

وهذا، فإن تعلق الرجاء والخوف بغيره -تعالى- باطل، فإنه لو فرض أن ذلك سبب مستقل وحده بالتأثير لكانت سببته من غيره لا منه، فليس له من نفسه قوة يفعل بها؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فهو الذي بيده الحول كله والقوة كلها، فالحول والقوة التي يُرجى لأجلهما المخلوق ويُخاف إنما هما لله وبيده في الحقيقة، فكيف يُخاف ويُرجى ممن لا حول له ولا قوة؟! فإنه على قدر خوفك من غير الله يُسلط عليك، وعلى قدر رجائك لغيره يكون الحرمان"^(٤).

وقيل: "قد جعل الله لكل شيء قدراً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]. فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله تعالى ومجاوزة الشيء كالتقصير عنه، والمؤمن حقاً هو المعتدل بين الخوف والرجاء، فالخوف المتلّف للنفس

(١) ينظر: الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص: ٤٠.

(٢) صفة الصفوة: ٤٩٢/١.

(٣) بهجة المجالس: (٣٧٩/١).

(٤) فوائد الفوائد، لابن القيم، ص: ٩٣.

بالموت، أو المزيل للعقل بالفوت خير من القنوط؛ لأنه مزيل للعلم ومُسقط للمقام، وموقع في الكبائر" (١).

فالرجاء وحده قد يدفع إلى ترك العمل، اتكالا على عفو الله تعالى ومغفرته وسعة رحمته، مع أن المولى جل وعلا قال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقد أنكر القرآن الكريم على أهل الكتاب تعلُّقهم بالأمان في دخول الجنة بغير أسباب إليه يُنجيه عند الله تعالى، قال وعمل، وأشرك معهم المسلمين ممن حذا حذوهم ممَّن ظنَّ أن مجرد التسمي بالإسلام أو الانتساب إليه يُنجيه عند الله تعالى، قال جل ذكره: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٤] (٢).

ولهذا؛ فإن أكمل الخوف والرجاء ما تعلق بذات الحق سبحانه دون ما تعلق بال مخلوقات في الجنة والنار. فأعلى الخوف خوف البعد والسخط والحجاب عنه سبحانه. كما قدم سبحانه ذكر هذا العقاب لأعدائه على صلهم النار في قوله: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

(١) ينظر: قوت القلوب: ٩٨/٣.

(٢) قد أفلح من زكاها، ص: ٣٤٠.

لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ [المطففين: ١٥-١٦]. وقال ذو النون عليه السلام:

"خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لحي".

كما أن أعلى الرجاء ما تعلق بذاته سبحانه من رضاه ورؤيته ومشاهدته وقربه. ^(١).

قال د: مصطفى السباعي عليه السلام: "يخوفنا في عقابه فأين رحمته؟ ويرجينا برحمته فأين عذابه؟ هما أمران ثابتان: رحمته وعذابه فللمؤمن بينهما مقامان متلازمان خوفه ورجاؤه" ^(٢).

واعلم أن الخوف والرجاء قد يترجَّح أحدهما على الآخر، في حالات:

(١) التخويف من النار، لابن رجب، ص: ٤٤.

(٢) هكذا علمتني الحياة، ص: ٣٧.

المبحث الثاني: حالات ترجُّح الرِّجاء:

١- عند دنو الأجل، كما جاء في الحديث، يقول ﷺ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ)^(١).

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: "معنى حسن الظن بالله تعالى: أن يظنَّ أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصِّحَّة يكون خائفًا راجيًا ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرِّجاء أو محضه؛ لأنَّ مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطَّاعات والأعمال. وقد تعدَّر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستُجِبَّ إحسانُ الظنِّ المتضمِّن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له"^(٢).

وقال في "عون المعبود": لا يموت أحدكم في حالٍ من الأحوال إلَّا في هذه الحالة، وفي حسن الظنِّ بالله بأن يغفر له، فالنَّهي وإن كان في الظاهر عن الموت وليس إليه ذلك حتى ينتهي، لكنَّه في الحقيقة عن حالة ينقطع عندها الرجاء لسوء العمل؛ كيلا يصادفه الموت عليها، قاله "علي القاري"، وقال في "مرقاة الصعود": زاد ابن أبي الدنيا في "حسن الظنِّ": فإنَّ قومًا قد أُرْدَاهم سوء ظنهم بالله فقال الله ﷻ في حقهم: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]، قال الرافعي في "تاريخ قزوين": يجوز أن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن

الظن بالله تعالى عند الموت، رقم: (٢٨٧٧).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم: ٢٠٩/١٧.

يريد به الترغيب في التَّوْبَةِ والخروج من المظالم، فإنه إذا فعل ذلك حسن ظنُّه ورجا الرحمة^(١).

٢- عند التَّوْبَةِ والتَّوْبَةِ، فَرُبُّ الْعِزَّةِ فَتَحَ بَابَ الْأَمَلِ لِلتَّائِبِينَ ووعدهم بقبول توبتهم مهما بلغت ذنوبهم ما لم يشركوا به سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ- [أي: تردد الروح في الحلق عند الموت]-) (٢).

٣- عند أداء الطَّاعَاتِ والابتعاد عن المحرِّمَاتِ؛ فالتقرب إلى الله تعالى بتغليب جانب الرِّجَاءِ أقوى وأدوم. قال الله ﷻ: ﴿فَاسْتَقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨]. ولقد جاء في قوله ﷻ لنبيه محذِّراً الناس من الشر ومرغباً في الخير: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ الْآلِبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]. قال السَّعْدِيُّ رحمه الله: "فلا يستوي الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، ولا أهل الجنة وأهل النار، ولا الأعمال الخبيثة والأعمال الطيبة، ولا يستوي المال الحرام بالمال

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير الصديقي العظيم آبادي: ٢٦٥/٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب في فضل التَّوْبَةِ والاستغفار، رقم: (٣٥٣٧)، وأحمد في مسنده: (٣٠٠/١٠)، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

الحلال. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ﴾ فإنه لا ينفع صاحبه شيئاً بل يضره في دينه ودنياه. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فأمر أولي الألباب، أي: أهل العقول الوافية، والآراء الكاملة فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب. وهم الذين يؤبه لهم ويرجى أن يكون فيهم خير. ثم أخبر أن الفلاح، متوقف على التقوى التي هي موافقة لله، في أمره ونهيه. فمن اتقاه، أفلح كل الفلاح. ومن ترك تقواه، حصل له الخسران وفاتته الأرباح^(١).

وقال صاحب الظلال^(٢): "لا يستوي الخبيث والطيب ولو كانت كثرة الخبيث تغرّ وتعجب. ففي الطيب متاع بلا معقبات من ندم أو تلف، وبلا عقابيل من ألم أو مرض، وما في الخبيث من لذة إلا وفي الطيب مثلها على اعتدال وأمن من العاقبة في الدنيا والآخرة. والعقل حين يتخلص من الهوى بمخالطة التقوى له ورقابة القلب له، يختار الطيب على الخبيث فينتهي الأمر إلى الفلاح في الدنيا والآخرة"^(٣).

وجاء في الحديث الشريف، عن أبي الدرداء^(٤)، عن النبي^(ﷺ) قال: (...يا أيها الناس، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ؛ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى...)^(٥).

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: ١٧١.

(٢) في ظلال القرآن: ٩٨٣/٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٢١٧٢١)، وقال: حديث حسن.

المبحث الثالث: حالات ترجُّح الخوف:

١- **عند الانغماس في المعاصي والمنكرات**، ولا يكون ذلك إلا عند ضعف الإيمان والمراقبة لله ﷻ، لذلك فهو محتاج لجرعة من دواء الخوف ليعود إلى رشده.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ: "على قدر قوة إيمانك تزيل المنكرات، وعلى قدر ضعفه تقعد في بيتك وتتخارس عن إزالتها. أقدام الإيمان هي التي تثبت عند لقاء شياطين الإنس والجن" (١).

٢- **عند الاعتداء على حقوق الآخرين وظلمهم**، فلا شكَّ أنَّه بحاجة للتذكير بعقوبة الله وشدة عذابه وأنه ﷻ يملئ للظالم من غير غفلة ولا عجز عن نصر المظلوم، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٢) ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئَدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣] وقال ﷻ: (إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]) (٣).

٣- **عند الغرور برحمة الله وعفوه من غير تحصيل للأسباب** فمن ترك العمل الصالح وأسباب النجاة مغترًا بعفو الله ورحمته

(١) الفتح الرباني والفيض الرحمانى، ص: ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: وكذلك أخذ ربك إذا

أخذ القرى وهي ظالمة، رقم: (٤٦٨٦)، عن أبي موسى ﷺ.

فلن ينفع معه إلا دواء التخويف: قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ
 اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاتَّقُوا﴾ [الزمر: ١٦]. وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [١١] إِنَّ
 بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١١ - ١٢]. يخبر تعالى عن عبادته المؤمنين أن
 ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من
 الحريق والجحيم؛ ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ
 رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله
 وخالفوا أمره، لشديد عظيم قوي^(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا
 أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ۝ نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارة: ٨ - ١١].
 وقال جل ذكره: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ
 أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

قال صاحب الظلال^(٢): "الذي ينسى الله، يهيم في هذه الحياة
 بلا رابطة تشدّه إلى أفق أعلى، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن
 السائمة التي ترعى. وفي هذا نسيان لإنسانيته. وهذه الحقيقة
 تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أخرى، وهي نسيان هذا المخلوق
 لنفسه، فلا يدّخر له زادًا للحياة الطويلة الباقية، ولا ينظر فيما
 قدّم لها في الغداة من رصيد"^(٢).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٧٢/٨.

(٢) في ظلال القرآن: ٣٥٣١/٦.

ولقد قيل: "يجب أن تخاف من الله خوف من عرف سطوته وشدة
 نقمته، وأليم عذابه. وارجع رجاء من صدق وعده وعين ثوابه" (١).
 وقال ابن القيم رحمه الله: "من أعرض عن الله بالكلية أعرض الله عنه
 بالكلية، ومن أعرض الله عنه لزمه الشقاء والبؤس والبخس في
 أحواله وأعماله، وقارنه سوء الحال وفساده في دينه ومآله" (٢).
 وقال سفيان الثوري رحمه الله: "عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء
 وعليك بالحدز ممن يملك العقوبة" (٣).
 لذا ينبغي للعبد أن ينظر تارة إلى سعة رحمة الله تعالى، وكثرة
 فضله وغاية جوده، وتارة إلى عظيم سياسته، وكثرة هيبتة، ودقة
 أمره، وغاية مناقشته فيأخذ من هذا بعضاً، ومن هذا بعضاً فيركب
 بينهما طريقاً وسطاً؛ ليسلم من اليأس والأمن والخوف" (٤).
 كما ينبغي للمسلم مرافقة الأموات الذين هم في العالم أحياء
 فإنه يبلغ بمرافقتهم إلى مقصده، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين
 هم في الناس أموات؛ فإنهم يقطعون عليه طريقه، فقد قال بعض
 السلف: "شتان بين أقوام موتى تحيا القلوب بذكرهم، وبين أقوام
 أحياء تموت القلوب بمخالطتهم".

(١) ينظر: قد أفلح من زكاها، ص: ١٢.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص: ١٨١.

(٣) بغية الطالبين من إحياء علوم الدين، ص: ٤٠٣.

(٤) تبين المحارم: ٢٥٦/٥.

فما على العبد أضّر من عشائره وأبناء جنسه، فنظره قاصرٌ وهمته واقفة عند التشبه بهم ومباهاتهم والسلوك أين سلكوا، حتى لو دخلوا جحر ضب لأحب أن يدخله معهم.

فمضى صرف همته عن صحبتهم إلى صحبة من أشباحهم مفقودة ومحاسنهم وآثارهم الجميلة في العالم موجودة، استحدث بذلك همّة أخرى وعملاً آخر، وصار بين الناس غريباً، وإن كان فيهم مشهوراً ونسيباً ولكنه غريب محبوب يرى ما الناس فيه، ولا يرون ما هو فيه، يقيم لهم المعاذير ما استطاع وينصحهم بجهد وطاقته^(١).

فعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأخيه زيد يوم أحد: "أقسمت عليك إلا لبست درعي. فلبسها ثم نزعها. فقال له عمر: ما لك؟ فقال: إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك"^(٢).

وعن الجحاف بن عبد الرحمن، عن ولد زيد بن الخطاب، عن أبيه رضي الله عنه قال: "كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، وقد انكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة عن الرجال فجعل زيد يقول أما الرجال فلا رجال، وأما الفرار فلا فرار. ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة وجعل يشتد بالراية ينفذ بها في نحر العدو

(١) الرسالة التبوكية، لابن القيم، ص: ٨٦-٨٧.

(٢) رواه ابن سعد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن، الطبقات الكبرى: (٣/٣٥١)، وصفة الصفوة: (١/١٦٨).

ثم ضارب بسيفه حتى قتل ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نؤتى من قبلك فقال: "بئس حامل القرآن أنا إن أوتيت من قبلي"^(١).

(١) صفة الصفوة: ١/١٥٥-١٥٦.

ميزان التوازن عند الرسول ﷺ

لقد أعطانا النبي ﷺ مقياساً دقيقاً للتوازن بين الخوف والرجاء فقال: (مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ) ^(١).

فالمؤمن يتصل خوفه ورجاؤه وفرحه وسروره وابتهاجه بالله وحده، فلا يخاف غيره ولا يرجوه، ولا يفرح كل الفرح ولا يُسرُّ غاية السرور، إلا بالله سبحانه وتعالى. وإن ناله بالخلق بعض الفرح والسرور، فليس الفرح التام، والسرور الكامل والابتهاج والنعيم وقرة العين وسكون القلب إلا به سبحانه، وما سواه إن أعان على هذا المطلوب فإنه يفرح ويسر بذلك، وإن حجب عنه فهو بالحزن والوحشة منه واضطراب القلب بحصوله أحق منه بأن يفرح به فلا فرحة ولا سرور إلا بما أوصل إلى الله تعالى وأعان على مرضاته ^(٢).

وعلى المسلم أن ينتبه للأمور الآتية:

١- عدم الغرور بأعماله الصالحة؛ إنّما يسأل الله تعالى دائماً

الثبات على الإيمان وحسن الخاتمة.

قال ابن رجب الحنبلي رحمته الله: "إنَّ عمل الإنسان لا يُنْجِيهِ من النار ولا يُدْخِلُهُ الجنة، وإنَّ ذلك كله إنّما يحصل بمغفرة الله ورحمته" ^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم:

(٢١٦٥)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح غريب، ينظر المغني

عن حمل الأسفار: (٩٥٢/١).

(٢) الفوائد، لابن القيم، ص: ٢٩٥.

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي: ٣٩٢/٤.

٢- الإكثار من العمل الصَّالح، مع الشعور أنَّ دخول الجنَّة بفضل الله لا بعمله، وأن الحسنات تسهم في رفع المقام في الجنة - [كما أشرنا سابقاً]- فقد قال ﷺ: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ)^(١). مع الإيقان بأن العمل الصالح هو من أسباب دخول الجنة.

٣- عدم القنوط من رحمة الله وعفوه، فلا نقنط ولا نُقْنِط أحدًا من رحمة الله؛ فهو ﷻ واسع المغفرة.

قال علي ابن أبي طالب ﷺ: "إنما العالم الذي لا يُقْنِط الناس من رحمة الله تعالى، ولا يؤمنهم من مكر الله". وقال أيضاً، لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط: "ما أصارك إلى ما أرى، فقال: ذنوبي العظيمة، فقال: ويحك إن رحمة الله تعالى أعظم من ذنوبك، فقال: إن ذنوبي أعظم من أن يكفرها شيء، فقال: إن قنوطك من رحمة الله أعظم من ذنوبك"^(٢).

وقال الشيخ د. مصطفى السباعي ﷺ: "إلهي! وعزَّتْك ما عصيناك اجترأ على مقامك، ولا استحللاً لحرامك؛ ولكن غلبتنا أنفسنا وطمعنا في واسع غفرانك، فلئن طاردنا شبح المعصية لنلوذَنَّ بعضيم جنابك، ولئن استحكمت حولنا حلقات الإثم لنفكَّتها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم:

(٦٤٦٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) قوت القلوب: ١٠٠/٣.

بصادق وعدك في كتابك، ولئن أغرى الشيطان نفوسنا باللذة حين عصيانك، فليغرين الإيمان قلوبنا بما للتائبين من فسيح جناتك ولئن انتصر الشيطان علينا لحظات، فلنستنصرن بك الدهر كله ولئن كذب الشيطان في إغوائه، ليصدقن الله في رجائه" ^(١).

وختاماً: إن المؤمن في هذه الحياة يعيش بين شعورين، شعور الخوف من الله تعالى، وشعور الرجاء في رحمته، فلا ييأس من رحمة ربه، وإن كثرت ذنوبه وتعددت معاصيه، لكن ينبغي أن يعزم عزيمة صادقة على أن يغيّر من حاله، ويبدّل من واقعه، ويعاهد ربه على أن يسير سيرة الطائعين، ويسلك سلوك المؤمنين في هذه الحياة ^(٢). ويتوب توبة صادقة نصوحاً.

فالطاعة حصن الله تعالى الأعظم فمن أطاعه انقلبت المخاوف في حقه أماناً، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف. والمعصية توحش القلب ولو كان قريباً، والطاعة توجب القرب ولو كان صاحبها بعيداً. وقيل:

إذا كنت قد أوحشتك الذنوب بُدّعها إذا شئت واستأنس ^(٣)

والله سبحانه وتعالى خالق العباد وأفعالهم الظاهرة والباطنة فهو الذي يجعل الإيمان والهدى في القلوب، ويجعل فيها التوبة والإنابة

(١) هكذا علمتني الحياة، ص: ٣٤-٣٥.

(٢) زاد الدعاة، د. عبد المهيمن طحان: (١٥١/١).

(٣) طب القلوب، لابن القيم، ص: ١٣٦-١٣٧.

وأضدادها، وكل عبد مفتقر في كل لحظة إلى هداية يجعلها الله في قلبه، وحركة يحركه بها في طاعته^(١).

فمن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلّها، واستحقاق الفضائل بأسرها؛ فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليستعمل أخلاقه وسيرته ما أمكنه، أعاننا الله على الاقتداء به، بمنّه وكرمه^(٢).

(١) موسوعة فقه القلوب، ص: ٨٩٨.

(٢) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، لابن حزم الاندلسي، ص: ٤٥-٤٦.

الخاتمة

وختاماً: فإننا نوجز الأفكار التي قرأناها وأفدنا منها في موضوع الخوف والرجاء والتوازن بينهما ببعض ما يأتي:

١- إنّ النفس دابة جَموح، وقعت في شهوات الدنيا وتحتاج إلى قائد يقودها، وإلى سائق يسوقها، فالخوف سوطها وسائقها والرجاء قائدها. وذكر العقاب والنار وتخويفها سائق، وذكر الجنة وثوابها وترجيته تعالى وترغيبه قائد، ولذلك يُطلب للعبد العبادة والتقوى وأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

٢- أن الخوف والرجاء مقامان عظيمان من مقام اليقين والمقامات الأخرى لهذا الدين العظيم. وذلك كما ثبت في القرآن المجيد وأحاديث الرسول ﷺ الصحيحة والحسنة.

٣- أن الله تعالى جعل هذين المقامين كجناحي طائر للمسلم؛ كي يحلّق في أجواء إيمان العبادة الحقيقي وليس إيمان العادات والأعراف القبيحة فهو إيمان الجواهر لا إيمان المظاهر.

٤- أن للخوف من الله تعالى فضلاً كبيراً وفوائد جمّة. مرتبطة بهذا الإيمان، قال جل ذكره: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. ويجنبها السائر إلى الله. وأولها اتباع منهج الله تعالى في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ الذي هو الأسوة الحسنة للمؤمنين، وبهذا يكون

هذا المسلم قد سلك الطريق المستقيم لنيل كرامة الاستقامة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٥- أن تعلم وتفهّم مقام الخوف والرجاء ينفع المسلم في رحلته بالفرار إلى الله تعالى، للتعليق بجنبابه سبحانه وكذلك يجعل المسلم يقظاً ومحتاطاً لعدم الوقوع في الأمن من مكر الله. قال الحسن البصري رحمته الله: "لأنّ تصحب أناساً يخوفونك بالله حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أناساً يؤمنونك حتى يدركك الخوف" ^(١). وكم تنفع هذه النصيحة في الوضع الاجتماعي والاختلاط مع الناس. كما أن الخائفين من الله تعالى آمنون يوم القيامة من الفزع الأكبر في الحساب، إذا خاف العاصون لله تعالى ورسوله ولم يتوبوا. فالخوف من الله تعالى مطلوب جزماً.

٦- أن نتحقق بالعقل عن الله تعالى وعن رسوله صلوات الله عليه أن الرجاء هو: الدخول من باب الأمل بالله بصحبة العمل الصالح، وأنه لا ينفع الرجاء من دونه.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١٥٠/٢.

٧- يحب رب العزة من عباده أن يؤمّلوه ويرجوه ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد، وقد جاء في الحديث عنه ﷺ، (مَنْ لم يسأل الله يغضب عليه)^(١). فهو الذي يرجى ويسأل.

٨- أن من أهم ثمرات الرجاء، العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه ويستشرفه من إحسانه ولذا؛ فالراجي يتخذ الله ﷻ صَمدًا وسندًا ورسول الله ﷺ، أسوة حسنة في جميع أحواله.

٩- وإن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ﷻ، ما يوجب تعلق القلب بذكره والالتفات إلى الله تعالى بملاحظة أسمائه وصفاته، فيطلب الرحمة من الرحمن الرحيم، والمغفرة من الغفور والرزق من الرزاق، والعطاء من المعطي.

تطبيق عملي لتربية النشء الجديد على الخوف والرجاء والموازنة بينهما.

١- إن المسلم إذا سكن قلبه الخوف والرجاء، فقد حاز الإخلاص والاختصاص في إيمانه ومنهجه في الحياة، وبذلك يكون قد سلك طريق النجاة الموصل إلى الجنة بإذن الله؛ لأنه عرف أن لزوم الخوف من الله والرجاء من رحمته مطلوب.

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه، رقم: (٣٣٧٣) واللفظ له، وابن ماجه: (٣٨٢٧).

وأحمد: (٩٧١٩)، عن أبي هريرة ﷺ.

٢- أن نوقن يقيناً كاملاً أن الله تعالى شديد وسريع العقاب، وأنه غفور رحيم. قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

٣- يجب أن يسير الخوف والرجاء مع بعضهما توأمين وكل منهما له وظيفته للعبد السالك، فتكون فائدته تامة. وذلك كما قال الواسطي رحمته الله: "الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب"^(١). ولذلك فإن المبالغة والإفراط في الخوف أو في الرجاء مذمومة؛ لأنه يخرج إلى القنوط. وإلى المرض والموت في إفراط الخوف وإلى الأمن من مكر الله والاسترسال في الشهوات، والاعتثار في إفراط الرجاء. والأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ولذا قيل: "لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا"^(٢). وعليه أن يجتهد في ذلك. ومن عرف قيمة ما يطلب هان عليه ما يبذل. فيتوازن بينهما.

قال ابن حجر العسقلاني رحمته الله: "لا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء؛ لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم"^(٣).

ويجب أن نعرف أن الله تعالى الذي حذر أهل الكتاب من الإفراط في الرجاء حذر المسلمين كذلك إذا حذوا حذوهم أن يعاقبهم. والعبرة فيما نزل في أهل الكتاب هي في عموم اللفظ لا في خصوص

(١) ينظر: الرسالة القشيرية، ص: ١٢٨.

(٢) تبين المحارم: ٢٥٣/٥، وينظر: الخوف والرجاء، ص: ١٨٩.

(٣) فتح الباري: ٣٠١/١١.

السبب. قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤].

بعض التوصيات:

- نقترح على الإخوة الباحثين وطلبة العلم البارزين:
- ١- الاهتمام بموضوع الرقائق بشتى فروعها. والاعتماد على الآيات الكريمة والأحاديث الصحاح والحسان والأقوال المعتمدة فيها.
 - ٢- إقامة تدريبات عملية للناشئة بل والكبار ثم النساء؛ لتنفيذ موضوع الخوف والرجاء وغيرهما في ميدان الرقائق.
 - ٣- عمل لوحات إرشادية بخطوط مميزة وتوظيف وسائل التواصل الاجتماعي وما أشبهها؛ لنشر بعض أهم مقولات الخوف والرجاء وبقية الرقائق؛ لتستقر في القلوب.
 - ٤- إقامة أنشطة للسؤال والجواب في هذه الموضوعات
 - ٥- اختصار بعض الكتب المطولة وعرضها بأسلوب شائق ومفهوم.
 - ٦- رسم وسائل توضيحية؛ لتفهم الجيل بعض أهم ما يخص الرقائق.
- هذا؛ ونرجو منه تعالى أن يوفق لما فيه الخير من العلم النافع الذي يجعل القلوب خاشعة مخبئة لرب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾	٨	١١٢
﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾	٣٢	١٠٢
﴿وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَسْكُنْ﴾	٣٥	٢٦
﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾	٣٦	٢٦
﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ﴾	٣٧	٢٧
﴿وَابْنَى فَارْهَبُونَ﴾	٤٠	٦٥
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾	٤٥	٣٤
﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾	١١١	٢٧١
﴿بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾	١١٢	٢٧١
﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ﴾	١١٤	٢٣٤
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً﴾	١٤٣	٣٠٣+٢٩٥
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ﴾	١٥٥	١٩
﴿إِنَّ الْزَيْتَ يَكْتُمُونَ﴾	١٥٩	١٠٦
﴿فَمَن خَافَ مِن مَّوْصٍ﴾	١٨٢	١٩
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾	١٨٦	٣٢٦
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا﴾	١٩٦	٦٥
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾	٢٠١	٨٣
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا﴾	٢١٤	٣٥٣

٢٦٨	٢١٥	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ^ط ﴾
٢٨٤+٢٦٤+٢٥٥+٢٤٢+٢٤١	٢١٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
١٣٧	٢٤٣	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾
٢٥١	٢٦٠	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي﴾
٢٩٩	٢٦١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾
٢٠١	٢٦٢	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾
١١٨	٢٦٤	﴿كَأَلَيْ يَنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ﴾
١٣٠	٢٦٨	﴿الشَّيْطَانِ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾
٧٥	٢٧٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٧٥	٢٧٩	﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا﴾

سورة آل عمران

١٧٧	٥	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ﴾
٥١+٢٠	٨	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾
٢٦٦	١٥	﴿قُلْ أَوْثَقْتُكُمْ بِخَيْرٍ﴾
٨	١٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ ^ط ﴾
٦٤	٢٨	﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ^ط ﴾
٧٦	٢٩	﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾
١٧٦+٧٦	٣٠	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾
٨	٨٥	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾
١٤٤	١٠٢	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا﴾
٢٦٨	١٠٤	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ﴾

٢٧٩	١٣١	﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ﴾
٢٨٢+١٢٩	١٧٣	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾
٢٨٢+١٢٩	١٧٤	﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾
٣٧٨+٢٣٦+١٣٥+١٢٩+٢٥	١٧٥	﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾
٩٨	١٨٧	﴿لِنُبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ﴾
١٩٣	١٩٠	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾
٨١	١٩١	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾
٨١	١٩٢	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾

سورة النساء

١٨١+٢٠	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾
١٩	٣	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾
٧٣	٢٧	﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ﴾
٧٣	٢٨	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ﴾
١١٠	٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ﴾
٣١٦+٢٦١+٢٤٩	٤٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾
٢٣	٧١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٦٩	٧٧	﴿قُلْ مَتَعَ الدُّنْيَا﴾
٩٥	٧٨	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾
١٩	٨٣	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾
٣٣	١٠١	﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾
٣٣	١٠٢	﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَاقْمَتِ﴾
٢٦٥	١٠٤	﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾

١٧٨	١٠٨	﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾
٢٦٦	١٢٢	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا﴾
٣٨٢+٢٦٤+٢٧١+٢٦٢+٢٤٣	١٢٣	﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾
٣٨٢+٢٦٤+٢٧١+٢٦٢+٢٤٣	١٢٤	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾
٩٩	١٢٧	﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾
١٠	١٣١	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا﴾
٩٩	١٧٦	﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ﴾

سورة المائدة

١٣٥	٣	﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
٥٨	٢٧	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ﴾
١٨٥	٢٨	﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ﴾
٢٧٣	٣٩	﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾
٢٣١	٤١	﴿يَأَيُّهَا الرُّسُولُ﴾
٣٦٧	٤٨	﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾
١٣٦	٥٤	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٣١٤	٧٣	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ﴾
٣١٤	٧٤	﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾
٦٥	٩٤	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٦٥	٩٦	﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾
٣٨١+٣٥٢	٩٨	﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ﴾
٣٦٧	١٠٠	﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾

٩٥	١٠٦	﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾
٢٧٨+١٩٣	١١٨	﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
٢٧٨	١١٩	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُكُمْ﴾

سورة الأنعام

٦٦	٣	﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾
٣١٠	١٢	﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾
٦٦	١٥	﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ﴾
٦٦	١٦	﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ﴾
٢١١	٢٧	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾
٢٥	٥١	﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾
١١١	٥٥	﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ﴾
٤٠	٦٥	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾
٢٢١	٧٤	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ﴾
٣٢٣+١٦٥	٩٠	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾
٦٦	٩١	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾
٣٤٨	١٠٤	﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾
٣٧٩	١٥٣	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾
٢٦٤+١٧٩	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾
٢٦٤+١٧٩	١٦٣	﴿لَا شَرِيكَ لَهُ ^ط وَبِذَلِكَ

سورة الأعراف

٢٧	١٣	﴿قَالَ فَأَهِطْ مِنْهَا﴾

٣٢٨	١٤	﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي ﴾
٣٢٨	١٥	﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾
٤٧	٢٣	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا ﴾
١٠١	٣٣	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي ﴾
١٣٤	٣٤	﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾
٢٢٠	٤٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾
٣٦٤+٢٦١	٥٦	﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾
٦	٥٩	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾
٣٥٢	٩٩	﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾
٣١٣	١٢١	﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٣٥٣+٣١٢+٢٦١	١٥٦	﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِءَ ﴾
٣٥٣+٢٦١	١٥٧	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ ﴾
٣٥٢	١٦٧	﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾
٢٩١+٢٤٤	١٦٩	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾
٥٢	١٧٥	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ﴾
٥٢	١٧٦	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ﴾
٣٠٩+٦٢	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾
٦٨	١٨٢	﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ ﴾
٢٦٩	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾
١٣٠	٢٠١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾

سورة الأنفال

١٦٧+١٤٠+٢٤	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ﴾

٤١+٢٦	٢٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٣١٥+٢٥٢	٣٨	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن﴾
٣٣	٤٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا﴾
٧٩	٤٨	﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾

سورة التوبة

١٣٥	١٣	﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا﴾
١١٤	٧٥	﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ ٱللَّهَ﴾
١١٤	٧٦	﴿فَلَمَّآ ءَاتٰهُمُ﴾
١١٥	٧٧	﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾
٢٥٢	١٠٢	﴿وَمَآ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾
٢٢٢+٢١٤	١١٤	﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ﴾
٤٨	١١٨	﴿وَعَلَى ٱلثَلَاثَةِ ٱلَّذِينَ﴾
٨	١٢٢	﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾

سورة يونس

٦	١١	﴿وَلَوْ يَعْجَلُ ٱللَّهُ﴾
٦	١٥	﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ﴾
١٨٩	٢٦	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۦ﴾
١٠١	٥٩	﴿قُلْ ءَٱللَّهُ أَذِنَ﴾
٢٠٢	٦١	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾
١٩١	٦٢	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾
١٣٦	١٠٧	﴿وَإِن يَمَسَّكَ ٱللَّهُ﴾

سورة هود

٧٨	٣	﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي﴾
١٣٤	٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾
٢٢١	٤٢	﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾
٢٢١	٤٣	﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ﴾
٢٨	٤٥	﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾
٢٨	٤٦	﴿قَالَ يَنْحُحْ إِنَّهُ﴾
٢٩	٤٧	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾
١٩٥	٧٥	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾
٧٨	٨٤	﴿وَإِنِّي أَخَافُ﴾
٣٦٩+١٣٩+٧٧	١٠٢	﴿وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾
٧٨+٧٧	١٠٣	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾
٧٧	١٠٤	﴿وَمَا نُخِرْهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾
١٤٩+٧٧	١٠٥	﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾
١٤٩	١٠٦	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ﴾
١٤٩	١٠٧	﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ﴾
١٥٠	١٠٨	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ﴾
١٦٤	١٢٠	﴿وَكُلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾

سورة يوسف

١٣٣	٥٣	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾
٣٢٦	٨٣	﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ﴾
٣٤٠	٨٥	﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا﴾
٣٤٠+٣٢٦	٨٦	﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا﴾

٣٥٢+٣٤١+٣٢٦+٢٨١	٨٧	﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾
٣٤١	٩٦	﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي﴾
٣٢٧	١٠١	﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ﴾
١٦٥	١١١	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾

سورة الرعد

٢٥٣	٦	﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ﴾
١٤٣	١٥	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾
٢١	٢١	﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾
١٦٧	٢٨	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾
٦٦	٣٣	﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾

سورة إبراهيم

١٨٧	١٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
١٨٧+١٨٤+٢٥+١٦	١٤	﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ﴾
١٩٣	٣٦	﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّانَ﴾
٣٢٨	٤٠	﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾
٣٢٨	٤١	﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾
٣٦٩+٢٣٤	٤٢	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا﴾
٣٦٩+٢٣٤	٤٣	﴿مُهْطِعِينَ مُقْبِعِي﴾
١٥١	٤٤	﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ﴾

سورة الحجر

٧٩	٣٦	﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾
٧٩	٣٧	﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾

٧٩	٣٨	﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾
٣٥٥+٢٦٢+٢٥١	٤٩	﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي﴾
٣٥٥+٢٦٢	٥٠	﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ﴾
٣١٦	٥٦	﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ﴾
١٧٢	٩٢	﴿فَوَرَّيَاكَ لَنَسَعَنَّهِنَّ﴾
١٧٢	٩٣	﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

سورة النحل

٣٣٥	١٨	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾
٢٥٤	٣٨	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾
١٩	٤٧	﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾
٢٦	٥٠	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾
٦٩	٩٦	﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾
٢٦٥	٩٧	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾
٢٩٠	١٠٥	﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾
١٠١	١١٦	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ﴾
١٠١	١١٧	﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ﴾

سورة الإسراء

٢٤٢	١٩	﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾
١٤٣	٤٥	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا﴾
٣٦	٥٦	﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾
٣٥٤+٢٤١+١٩٢+٧٦+٧٥+٣٦	٥٧	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾
٣٥١	٥٩	﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾

١٨٤	٦٠	﴿وَنُحِوِلُهُمْ فَمَا﴾
٣٣١	٧٩	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾
٢٥٠	٨٣	﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾
٢٥٠	٨٤	﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى﴾
٤٦	١٠٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
٤٦	١٠٨	﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ﴾
٤٦	١٠٩	﴿وَيُخْرِجُونَ لِلْذَّقَانِ﴾

سورة الكهف

٣١٣	١٤	﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾
٣١٤+٣١٣	١٨	﴿وَنُقَلِّبُهم ذَاتَ الْيَمِينِ﴾
١٥٧	٢٨	﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ﴾
١٤٨+١١٦	٤٩	﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى﴾
٢٦٤+٢٥٤+٢٤٢+٦	١١٠	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾

سورة مريم

٢٢٢	٤١	﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾
٢٢٢	٤٢	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾
٢٢٢	٤٣	﴿يَتَأَبَّأْتُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي﴾
٢٢٢	٤٤	﴿يَتَأَبَّأْتُ لَا تَعْبُدِ﴾
٢٢٢	٤٥	﴿يَتَأَبَّأْتُ إِنِّي أَخَافُ﴾
٧٣	٥٩	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾
٣٥٨	٦١	﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾
٣٥٨	٦٢	﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾

٣٥٨	٦٣	﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ ﴾
٣٥٩	٦٨	﴿ فَوَرَّيْكَ لَتَحْشُرَنَّهُمْ ﴾
٣٥٩	٦٩	﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾
٣٥٩	٧٠	﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَى ﴾
٣٥٩+٢٣٣	٧١	﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾
٣٥٩	٧٢	﴿ ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ ﴾

سورة طه

٢٥٢	٤٨	﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا ﴾
٣٦٧+٢٧٣	٨٢	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ ﴾
٢٣٥	١٢٤	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ ﴾
٧٨	١٢٧	﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ ﴾

سورة الأنبياء

٧١	٣٥	﴿ وَبَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ ﴾
١١٦	٤٧	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾
٣٥٠+١٩٢	٩٠	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ ﴾
١٥١	٩٧	﴿ يَتَوَلَّوْنَا قَدْ كُنَّا ﴾

سورة الحج

٥٧	١	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ﴾
٥٧	٢	﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ ﴾
١٥٣	١٩	﴿ هَذَا مِنْ خَصْمَانِ ﴾
١٥٣	٢٠	﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾
١٥٣	٢١	﴿ وَلَهُمْ مَقْلَعُ ﴾

١٥٣	٢٢	﴿كَلَّمَآ أَرَادُوآ أَن
١٧٨	٣٢	﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعْطَمْ
١٨٤	٣٤	﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ
١٨٤	٣٥	﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ

سورة المؤمنون

٢٤٧+٥٨	٥٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ حَشِيَّةٍ
٢٤٧+٥٨	٥٨	﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِعَآيَتٍ
٢٤٧+٥٨	٥٩	﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
٢٤٧+٥٨+٤٣	٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ
٢٤٧	٦١	﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
١٥٢+٩٤	٩٩	﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
٩٤	١٠٠	﴿لَعَلِّي أَعْمَلَ صَالِحًا فِيمَا
٨٢	١٠٤	﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ
٣٢٩	١١٨	﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ

سورة النور

٢٣١	١١	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ
٤٨	١٥	﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللّٰهِ
٢٥٢+١٩٦	٢٢	﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ
٢١٠+١٧٥	٣٠	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوْا
١٨٦	٣٧	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ
٢١٩	٣٩	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
٢١٩	٤٠	﴿أَوْ كظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّي يَغْشَاهُ

٣٦	٥٢	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
٢٦٦	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

سورة الفرقان

٨٦	٢٧	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾
٨٦	٢٨	﴿يُؤْيَلِي لَيْتَنِي﴾
٨٦	٢٩	﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ﴾
٨١	٦٣	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ﴾
٨١	٦٤	﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾
٨١	٦٥	﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾
٨١	٦٦	﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾
٣٣٦	٦٨	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾
٣٣٦	٦٩	﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾
٣٣٦+٢٧٣	٧٠	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ﴾

سورة الشعراء

١٩٥	٨٢	﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾
٧٨	١٣١	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾
٧٨	١٣٢	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾
٧٨	١٣٣	﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ﴾
٧٨	١٣٤	﴿وَجَعَلَتْ عُيُونُ﴾
٧٨	١٣٥	﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾

سورة النمل

٣٢٧	١٩	﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ﴾

سورة القصص

١٧١	٢١	﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي ﴾
٢٤	٣٣	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ ﴾
٢٧٣	٦٧	﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ ﴾
٢٢٥	٧٦	﴿ إِنَّ قُرُونَكَ كَانَتْ ﴾
٢٢٥	٧٧	﴿ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ ﴾
٢٢٥	٧٨	﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ ﴾
٢٢٦	٧٩	﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾
٢٢٦	٨٠	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾
٢٢٦	٨١	﴿ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ﴾
٢٢٦	٨٢	﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا ﴾
٢٢٦	٨٣	﴿ تِلْكَ الْأَمْثَلُ الْأَخْرَجْنَا نَجْعَلُهَا ﴾

سورة العنكبوت

٢٩٤	٥	﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ﴾
٢٦٥	٩	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ﴾
٧٦	٤٠	﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾
١٨٢	٦٩	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا ﴾

سورة لقمان

١٥٠	٣٣	﴿ يَتْلُوهَا النَّاسُ اَتَقُوا ﴾
٣٤٧	٢٢	﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾

سورة السجدة

١٤٤	١١	﴿ قُلْ يَتَوَقَّعُ مَلِكُ الْمَوْتِ ﴾

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ ١٦ ٣٥٠+٢٤١+١٩

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾ ١٧ ٣٣٤

سورة الأحزاب

﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفُ﴾ ١٩ ١٩

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ ٢١ ٣٢٢

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَتِ﴾ ٣٩ ٢٦

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي﴾ ٤٣ ٢٧٨

سورة سبأ

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ٥٤ ٩٣

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ﴾ ٢٣ ١٤٠

سورة فاطر

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ٥ ٦٩

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ﴾ ١٠ ٢٧٠+١١٨

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ ١٥ ٢٩٥

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ﴾ ١٦ ٢٩٥

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ١٧ ٢٩٥

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ ٢٨ ٣٧٨+٤٦+٣٧+٢٢

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ ٢٩ ٢٩٨+٢٩٢+٢٥٦+٢٤٥+٢٤٢

﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ٣٠ ٢٩٨

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ﴾ ٣٤ ٨٧+٨٢

سورة يس

١٤٤	٩	﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾
١٧٨	١١	﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ﴾
٤٩	١٢	﴿وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾
١٥١	٥٢	﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا﴾
١٣١	٦٠	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَيْتِي ۖ آدَمَ﴾
١٣١	٦١	﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا﴾

سورة الصافات

٢٨٣	٨٧	﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

سورة الزمر

٥٩	٢	﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا﴾
٣٥٤+٣٣١+٢٤١	٩	﴿أَمَّنْ هُوَ قَلِيتُ ۖ أَنَا ۖ أَلَيْلِ﴾
٣٥١	١٤	﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا﴾
٣٥١	١٥	﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾
٣٧٠+٣٥١+٢٧٩+٢١٨+١٧	١٦	﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلٌّ﴾
٣٥١	١٧	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾
٣٥١	١٨	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾
١٤١+٢١	٢٣	﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾
١٩٧	٤٧	﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾
٣٣٦+٣١٥+٢٦٢+٢٦٠+٢٤٨	٥٣	﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ﴾

سورة غافر

٢٥١	١	﴿حَم﴾
٢٥١	٢	﴿نَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ ٣ ٣٥٤+٢٥١+٢٥٠

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ ٧ ٢٧٨

﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ٦٠ ٣٢٩

سورة فصلت

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ ٢٣ ٣٦٦+٢٤٦

سورة الشورى

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ﴾ ٢٠ ٧٣

سورة الزخرف

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ ٣٦ ١٢٩

﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ﴾ ٣٧ ١٢٩

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا أُنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾ ٥٥ ٥٠

سورة الأحقاف

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ ٢٤ ١٩٤

﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ﴾ ٣٥ ٢٥٣

سورة محمد

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا﴾ ٩ ٥٩

سورة الفتح

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ ٦ ٢٨٣

سورة الحجرات

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ٢ ٢٠١

سورة ق

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ١٩ ٩٥

١٥٠	٢٠	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾
١٥٧	٢٤	﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾
١٥٧	٢٥	﴿مَنَاعَ لِلْخَيْرِ﴾
١٥٧	٢٦	﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ﴾
١٥٧	٢٧	﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا﴾
١٥٧	٢٨	﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾
١٥٧	٢٩	﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾
١٥٧	٣٠	﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾
٢٢	٣٣	﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾
١١	٣٧	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾
١٥٠	٤١	﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾
١٥٠	٤٢	﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾
١٥٠	٤٣	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾
١٥٠	٤٤	﴿يَوْمَ نَشَقُّ الْأَرْضَ﴾
١٤٠	٤٥	﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾

سورة الذاريات

٧٨	٣٧	﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾
١٧	٥٠	﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾

سورة الطور

٨٤	٧	﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾
٨٤	٨	﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾
٨١	٢٥	﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

٨٢+٨١+٢٥	٢٦	﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ﴾
٨١+٢٥	٢٧	﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا﴾
٢٥	٢٨	﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾

سورة النجم

٣١٠	٣٢	﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾

سورة القمر

١٥٠	٦	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ﴾
١٥٠	٧	﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ﴾
١٥٠	٨	﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾
١١٦	٥٣	﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾

سورة الرحمن

٨٥	٣١	﴿سَنَفَعُ لَكَ أَيُّهُ التَّقْلَانِ﴾
٨٥	٣٥	﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾
٨٥	٤٤	﴿يَطْوِفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾
٢٨٩+٢٣٦+١٨٨+٢٥+٢٢	٤٦	﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾

سورة الحديد

١٧٧	٤	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

سورة المجادلة

١١٦	٦	﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾

سورة الحشر

١٠٧	٩	﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾
١٠٧	١٠	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

٧٩	١٦	﴿كَمْثِلِ الشَّجْطِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ﴾
٧٩	١٧	﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾
١٧٢	١٨	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٣٧٠	١٩	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾
١٤١+٢٢	٢١	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾

سورة الممتحنة

٣٢٢	٦	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾

سورة الجمعة

٩٥	٨	﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ الَّذِي تَعْبُرُونَ﴾

سورة المنافقون

١١٢	٤	﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾
٥٥	٩	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

سورة التغابن

٥٤	١٤	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

سورة الطلاق

٣٦٣	١	﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾
٢٨٣	٣	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

سورة التحريم

٢٠	٦	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا﴾
٢٧٨+٢٧٣	٨	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا﴾
٢٢٩	١٠	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾

سورة الملك

٣٢٣	٢	﴿لَيْبُلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
١٨٩+٢٥	١٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾
سورة القلم		
٣٣٨	٣٢	﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾
سورة الحاقة		
٢١٠	١	﴿الْحَاقَّةُ﴾
٢١٠	٣٠	﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾
سورة المعارج		
٢٥	٢٧	﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ﴾
٢٥	٢٨	﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾
سورة نوح		
٣٥٠+٢٥٣+٢٤١+٢٠	١٣	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾
سورة المزمل		
٣٣١	١	﴿يَتَأْتِيهَا الْمُرْقَلُ﴾
٣٣١	٢	﴿فُرُ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
٣٣١	٣	﴿يُضْفَهُ أَوِ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾
٣٣١	٤	﴿أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَزِلَ الْفُرَّانُ﴾
سورة المدثر		
٢٥	٥٣	﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾
سورة القيامة		
١٣٣	٢	﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾
٢٢٧	٣١	﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَٰى﴾

٢٢٧	٣٢	﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾
٢٢٧	٣٣	﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾
٢٢٧	٣٤	﴿أَوَلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾
٢٢٧	٣٥	﴿ثُمَّ أَوَلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾

سورة الإنسان

٥٧	٨	﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾
٥٧	٩	﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾
٥٧	١٠	﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾
٥٧	١١	﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ﴾

سورة المرسلات

٢٠٦	٣٥	﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾
٢٠٦	٣٦	﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾
٢١٨	٤٦	﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾

سورة النازعات

٢٢٣	١٥	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾
٢٢٣	١٧	﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾
٢٢٣	١٨	﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّى﴾
٢٢٤	١٩	﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾
٢٢٤	٢٠	﴿فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَى﴾
٢٢٤	٢١	﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾
٢٢٤	٢٢	﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾
٢٢٤	٢٣	﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾

٢٢٤	٢٤	﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾
٢٢٤	٢٥	﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ ﴾
٢٢٤	٢٦	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً ﴾
٣٢٥+٢٣٦+١٨٩+١٨٢+٢٥	٤٠	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾
٣٢٥+٢٣٦+١٨٩+١٨٢+٢٥	٤١	﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾

سورة عبس

١٥١	٣٤	﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ ﴾
١٥١	٣٥	﴿ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ﴾
١٥١	٣٦	﴿ وَصَلَحَتِيهِ وَوَيْتِيهِ ﴾
١٥١	٣٧	﴿ لِكُلِّ أُمْرٍ مِّنْهُمْ ﴾

سورة المطففين

١٩٧	٦	﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ ﴾
٣٦٤	١٥	﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ ﴾
٣٦٥	١٦	﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾

سورة البروج

٣١٤	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٧٠	١١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٣٧٠+٧٦	١٢	﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

سورة الفجر

٢٢٥	٦	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾
٢٢٥	٧	﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾
٢٢٥	٨	﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا ﴾

٢٢٥	٩	﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾
٢٢٥	١٠	﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾
٢٢٥	١١	﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ﴾
٢٢٥	١٢	﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾
٢٢٥	١٣	﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ﴾
٢٢٥	١٤	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾

سورة الشمس

٨	٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾
٨	١٠	﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

سورة الليل

٢٧٩	١٤	﴿فَإَنْذَرْنَاكُمْ نَارًا تَأْطَى﴾
٢٧٩	١٥	﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾
٢٧٩	١٦	﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾
٢٧٩+١٩٥	١٧	﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى﴾
٢٧٩	١٨	﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾

سورة الضحى

٢٥١	٥	﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾

سورة الشرح

٣٣٨	٨	﴿وَلِيَ رَبِّكَ فَأَرْعَبَ﴾

سورة البينة

٥٩	٥	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾
١٨٨	٨	﴿جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

سورة الزلزلة

١١٦	٧	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
١١٦	٨	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

سورة القارعة

٣٧.	٨	﴿وَلَمَّا مَنَّ حَفَّتْ
٣٧.	٩	﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ
٣٧.	١٠	﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ
٣٧.	١١	﴿نَارُ حَامِيَةٍ

سورة التكاثر

٢٢.	١	﴿الْهَنُكُمُ التَّكَاثُرُ
٢٢.	٢	﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ
٢٢.+٨٧	٣	﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ
٢٢.+٨٧	٤	﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ
٢٢.+٨٧	٥	﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ
٢٢.+٨٧	٦	﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ
٢٢.+٨٧	٧	﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ
٢٢.+٢٠.٦+٨٧	٨	﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ

سورة الماعون

٢١٨	١	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ
٢١٨	٢	﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ
٢١٨	٣	﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِهِ
٢١٨+١١٧	٤	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ
٢١٨+١١٧	٥	﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ

٢١٨+١١٧	٦	﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾
٢١٨+١١٧	٧	﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

سورة المسد

٢٢٧	١	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾
٢٢٧	٢	﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾
٢٢٧	٣	﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾
٢٢٨	٤	﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ﴾
٢٢٨	٥	﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ﴾

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
٢٦٧.....	أتى النبي رجل فقال:
٢٨٧.....	أتيت النبي وعليه ثوب أبيض
١٠٠.....	أجرؤكم على الفتيا
١٦٠.....	أحب المساكين وجالسهم
١٩٣.....	أخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله
٣٢٨, ٢٨١.....	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة
١٦١.....	إذا خلص الله المؤمنين
٢٨٢.....	إذا دعا أحدكم فلا يقل
٩٤.....	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ
٢٨٦.....	أذنب عبد ذنباً
١١٥.....	أربع من كن فيه
١٠٠.....	أشد الناس عذاباً
٢٣٤.....	أشد الناس عذاباً للناس في الدنيا
١٤٥.....	أكثرُوا ذكر هادم اللذات
٢٨٧.....	ألا أخبركم بخيركم من شركم؟
٩.....	ألا وإن في الجسد مضغة
٧٠.....	الدنيا سجن المؤمن
٧٠.....	الدنيا ملعونة
٣١٠.....	الصلوات الخمس
٢٤٥.....	العاجز من اتبع نفسه
١٧١.....	اللهم استر عورتى
١٧١.....	اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ
٢٩٧.....	اللهم إليك أشكو ضعف قوتي

- اللهم إنا نجعلك في نحورهم ١٧١
- اللهم إني أعوذ بك من الكسل ٥١
- اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ٥١
- اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق ١٧٠
- اللهم كانت لي بنت عم ١٨٥
- أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ٣٠٢
- أما والله إني لأخشاكم لله ٤٦، ٣٧
- إن أحدكم إذا مات ١٤٥
- إن أخوف ما أخاف ١١٢
- إن أخوف ما أخاف عليكم ١١٨
- إن أردت أن يلين قلبك ٢٦٨
- إن الدنيا حلوة خضرة ٧٠
- إن العبد ليتكلم بالكلمة ١٥٤
- إن العبد ليعمل ٥٢
- إن العرق يوم القيامة ١٥٢
- إن القبر أول منازل الآخرة ١٩٩
- إن الله تعالى يبسط يده بالليل ٣١٨
- إن الله سيخلص رجلا من أمتي ٣٠٣
- إن الله فرض صيام رمضان ٢٦٧
- إن الله كتب الحسنات والسيئات ٢٩٩
- إن الله لا يقبض العلم ١٠٠
- إن الله ليضحك إلى رجلين ٣٣٣
- إن الله ليملي للظالم ٣٦٩
- إن الله وعدني أن يدخل الجنة ٣١٨
- إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ ٣١٧

٩٦.....	إن الله يقبل التوبة من العبد
٣٦٧.....	إن الله يقبل توبة العبد
١٤٦.....	إن الميت يصير إلى القبر
١٩٣.....	أن النبي تلا قول الله عز وجل
٢٧٩.....	أن النبي دخل على شاب وهو في الموت
٢٣٠.....	أن النبي ركب على حمار
٣٠١.....	أن النبي ومعاذ رديفه
١٥٤.....	إن أهون أهل النار عذابا
٢٣٢.....	إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه
١٧٨.....	أن تعبد الله كأنك تراه
٣١٩.....	أن رجلا قال
٨٨.....	أن رجلا من أعظم المسلمين
٧٠.....	أن رسول الله بعث أبا عبيدة
٩٥.....	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة
١٧٠.....	أن رسول الله كان يعلمهم هذا الدعاء
٨٣.....	أن فتى من الأنصار
١٥٩.....	إن لقمان قال لابنه:
٦٢.....	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا
١٥٨.....	إن لله ملائكة يطوفون
٣١٧.....	إن لله مئة رحمة أنزل منها
٣٣٦.....	أن ناساً من أهل الشرك
٣٠٣.....	إن هذه الأمة أمة مرحومة
٢٠٢.....	أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله
٣١٦، ٢٨٠.....	أنا عند ظن عبدي بي
٨٤.....	انخسفت الشمس

١٥٨.....	إنما مثل الجليس الصالح.....
٢٨٩.....	أنه سمع النبي وهو يقص على المنبر.....
٣٣٦.....	أنه كان على عهد رسول الله.....
١٤٨.....	أنها ذكرت النار فبكت.....
٣٠٤.....	إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا.....
٢٣٣.....	أول من يختصم يوم القيامة.....
٤٨.....	إياكم ومحقرات الذنوب.....
١١٥.....	آية المنافق ثلاث.....
١٤٨.....	بادروا بالأعمال سبعاً.....
١١٢.....	بادروا بالأعمال فتنا كقطع.....
١٢٤.....	بحسب إمرئ من الشر.....
٤٦.....	بلغ رسول الله عن أصحابه شيء.....
٣١٦.....	بينما كلب يطيف.....
٨٢.....	تشويه النار فَتَقَلَّصَ شَفْتُهُ العليا.....
١٨٧.....	ثلاث منجيات.....
١٧١.....	ثم جيء بالغلام.....
١١٩.....	جاء رجل إلى النبي.....
٣١١.....	جاء رجل إلى رسول الله فقال.....
١٨٨.....	جنتان من فضة.....
١٩٤.....	خسفت الشمس فقام النبي.....
١٨٧, ٢٢.....	خشية الله رأس كل حكمة.....
١٥٤.....	رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَخْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا.....
٢٧.....	رأيت رسول الله يصلي.....
١٤٥.....	زر القبور تذكر بها الآخرة.....
٥٩.....	سألت رسول الله عن هذه الآية.....

١٨٩.....	سبعة يظلهم الله في ظله
٣٧٥.....	سددوا وقاربوا وأبشروا
٣٣٧.....	سيكون في أمتي اختلاف وفرقة
٣٣١.....	عليكم بقيام الليل
٢٨.....	عينان لا تمسهما النار
٢٨١.....	فليظن بي عبدي
٣٧.....	قَوْلَ اللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ
٣٤٣.....	قال: عُمَيْرُ بْنُ الحِمَامِ الأَنْصَارِيُّ
٢٨٨.....	قال لنا رسول الله ونحن في مجلس
١٩٢.....	قال لي النبي اقرأ علي القرآن
٣٠١.....	قدم على النبي سبي
٢١١.....	قل الحق ولو كان مرا
٢٨.....	قلت يا رسول الله حدثني
١٦٩.....	قلما كان رسول الله يقوم من مجلس
٨٣.....	كان أكثر دعاء النبي
١٩٤.....	كان النبي إذا عصفت الرياح
٢٨٦.....	كان رجل يداين الناس
٤٧.....	كان رجل يسرف على نفسه
٥١.....	كان رسول الله يكثر أن يقول
١٥٤.....	كنا مع رسول الله إذ سمع وجبة
١٤٥.....	كنا مع رسول الله في جنازة
٣٣٢.....	كنت أبيت مع رسول الله
١٤٥.....	كنت نهيتكم عن زيارة القبور
١١٣.....	كيف أنت يا حنظلة؟
٣٢٩.....	لا إله إلا الله العظيم الحليم

لا تدع قيام الليل	٣٣١
لا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ	٤١
لا يزني الزاني	٢٩٠
لا يلج النار رجل بكى	١٨٩
لا يموتن أحدهم	٣٦٦, ٢٧٩
لأعلمن أقواماً من أمتي	٥٩
للجنة ثمانية أبواب	٢٧٣
لله أشد فرحاً بتوبة عبده	٢٧٣
لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ	٩١
لما قضى الله الخلق	٣١٢
لما مر النبي بالحجر	٧٧
لما نزلت هذه الآية	٢٠١
لن ينجي أحداً منكم عمله	٢٩٨
لو كان لابن آدم واديان	٢٧٣
لو يعلم المؤمن ما عند الله	٣٥٥
ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار	٣٣٩
ما اجتمع قوم في بيت	١٦٧
ما أدنى أهل الجنة منزلةً	٣٠٤
ما تركت بعدي فتنة	٥٣
ما ذئبان جائعان	١٢٦
ما رأيت مثل النار	٨٣
ما من الأنبياء من نبي	٣٣٩
ما من عبد مؤمن	٢٧٤
ما من عبد يسترعيه الله	٢٣٤
ما من عبد يصلي لله تعالى	٢٦٧

ما من مسلم يدعو	٣٣٠
ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه	٨٠
ما منكم من أحد	١٥١
ما شيء أثقل في ميزان المؤمن	٢٦٨
مر النبي على قبرين	١٤٧
مروا أبا بكر فليصل بالناس	١٩٦
من اتبع جنازة مسلم	٢٦٦
من بنى مسجداً	٢٦٧
من خاف أدلج	٢٨, ١٠
من سأل الله تعالى الجنة	١٧٠
من سرته حسنته	٣٧٤
من سره أن ينظر إلى	١٤١
من سئل عن علم	١٠٦
من سئل عن علم فكتمه	٩٨
من صلى يرأي	١١٨
من قال علي ما لم أقل	١٠٠
من قال في القرآن برأيه	٩٧
من قام مقام رياء	١١٨
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	٣٢٤
من كانت الدنيا همه	٧١
من لكعب بن الأشرف	٢٢٩
من لم يسأل الله	٣٨٠
من يضمن لي ما بين لحييه	٧١
من يقيم ليلة القدر	٢٦٦
مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ	٨٢

هذه بتلك	٣٦١
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،	٨٠
والله إني لأستغفر الله	٢٧٥
والله إني لأعلمهم بالله	٦٥
والله لو تعلمون ما أعلم	٤٧
والمجاهد من جاهد نفسه	١٨٢
وعزتي لا أجمع على عبدي	٣٥٥
وعظنا رسول الله يوماً	١٦٧
يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى	١١٩
يا ابنَ آدمَ إِنَّكَ ما دعوتني ورجوتني	٣١٩
يا أيها الناس أفضوا السلام	٣٣٢
يا أيها الناس هلموا إلى ربكم	٣٦٨
يا بلال حدثني بأرجى عمل	٢٨٦
يا رسول الله الرجل يعمل العمل	١٢٤
يا رسول الله قد شبت	١٤٠
يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن	١٣٣
يا رسول الله هل يزني المؤمن	٢٩٠
يا عبادي إنكم تخطئون	٣١٩
يا عبادي إنما هي أعمالكم	١٧٣
يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ	٩٣, ٨٨
يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٥٥
يجمع الله يوم القيامة	٢٩
يحشر المتكبرون يوم القيامة	٢٣٢
يحشر الناس يوم القيامة	١٥١
يخرج من النار أربعة	٢٩٦

- يسروا ولا تعسروا ٢٥٠
- يقال لصاحب القرآن ٢٧٠
- يقبض الله الأرض ١٤٠
- يقول العبد مالي مالي ٧٠
- يقول الله تعالى من عمل لي عملاً ١١٨
- يلقى إبراهيم أباه آزر ٢٢٢
- ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة ٢٧٤
- يؤتى بأنعم أهل الدنيا ١٥٣
- يؤتى بجهنم يؤمئذ ١٥٣

فهرس الآثار

طرف الأثر	الصفحة
أندرون بين يدي من أريد أن أقوم	٦٨
إذا كنت في إدبار والموت في إقبال	١٤٧
أفي الإمارة ثني علي	١٩٨
أقسمت عليك إلا لبست درعي	٣٧٢
التوبة النصوح	٢٧٢
الخوف من الجليل	١٠
العلم بالله يوجب الخضوع والخوف	٣٥٦
اللهم ارزقني شهادة في سبيلك	٢٩٨
اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة	٣٤٣
اللهم لا تدعني في غمرة	١٧٣
إن المؤمن لا يطمئن قلبه	٨٤
إن المؤمن يرى ذنوبه	٢٨
إن من العلم	١٠٥
إنكم لتعملون أعمالاً	١٧٣
إنما العالم الذي لا يقنط الناس	٣٧٥
إني لا أحمل هم الإجابة ولكن	٣٢٩
أي أرض تقلني، وأي سماء تظلي	٩٧
بينما أنا عند عمر بن الخطاب	١٧٦
تعوذوا بالله من خشوع النفاق	١١٣
جالسوا التوايين	١٥٩
حاسبوا أنفسكم	١٧٣
خف الله لقدرتة عليك	٤٠
طوبى لك يا طائر	١٩٦

١٢٥.....	علام تتبعوني
١٩٩.....	فأما طول الأمل فينسي الآخرة
٨٤.....	قَسَمُ ورب الكعبة حق
٣٧٢.....	كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين
٣٧.....	كفى بخشية الله علماً
١٤٧.....	كل يوم يقال مات فلان
١٣٤.....	كونوا أشد احتراساً
١٢٥.....	كونوا ينابيع العلم
٢٠١.....	لا تبكوا علي
٣٥٦.....	لا تخف إلا ذنبك
١٥٩.....	لا خير في قوم ليسوا بناصرين
٢٠٢.....	لأن أدمع دمعة
٥٨.....	لأن أستيقن أن الله قد تقبل مني
٣٣٠.....	لأنكم تدعون من لا تعرفونه
١٢٠.....	للمرائي ثلاث علامات
١٩٨.....	لو أن لي طلاع الأرض
١٩٩.....	لو أنني بين الجنة والنار
١٩٥.....	لو كانت إحدى قدمي داخل الجنة
١٩٧.....	لو نادى مناد من السماء
٣٥٦.....	لو نودي ليدخل النار كل الناس
٢١٤.....	لوددت أني كنت نسياً منسياً
١٥٩.....	لولا ثلاث في الدنيا
١٥٩.....	لولا ثلاث ما أحببت البقاء
٩٩.....	ما أبردها على الكبد
٢٠٠.....	ما أبكي على دنياكم هذه

- ٨٩ ما أحد آمن من أن يسلب إيمانه
- ٣٥٦ من أذنب ذنباً فستره الله تعالى
- ٢١٣ من أَرْضَى الله عز وجل بإسْخاطِ الناس
- ٦٧ من خاف الله لم يشف غيظه
- ٧١ من وسع عليه في دنياه
- ١٧ نعم العبد صهيب
- ١٩٦ هذا الذي أوردني الموارد
- ٣٤٣ واطْرَبَاهُ، غَدًا أَلْقَى الْأَحَبَّ
- ٢٨٤ والله الذي لا إله غيره
- ١٩٨ وددت أن ذلك كفاف
- ١٩٦ وددت أني شعرة
- ٢٠٠ وددت أني كبش
- ٣٧٥ ويحك إن رحمة الله تعالى أعظم من ذنوبك
- ١٩٨ ويلي وويل أُمي
- ٢٠١ يا أمه قد خفت
- ١٩٨ يا أمير المؤمنين اكتسيت ثوباً
- ٧٢ يا دنيا أَلَيْ تَعْرِضُ
- ١٢٠ يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك

فهرس الأقوال

طرف القول	الصفحة
أبوك من الستة الذين أدعو	١٠٨
اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله	٩٨
اتقوا الله فينا	٨٦
أتينا أبي بن كعب	١٢٥
أخبرني يا حاتم فيم التخلص من الناس	٢٦٩
إخواني تفكروا في الحشر والمعاد	١٥٢
أدخلوا النار وأكلوا وشربوا	٢١٦
أدركت ثلاثين من أصحاب النبي	١١٢
أدركت عشرين ومئة من الأنصار	٩٩
أذنهُ من الذكر	١٦٨
إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء	٣٦٠
إذا أعطي عبد حقيقة العلم	١٠٨
إذا تأملت استعمال الخشية	٢١
إذا خوفك الشيطان	١٣٤
إذا رأى العبد	١٢٠
إذا همت نفسك بالمعصية	٥٠
أذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء	٢٨٢
أذكر مقامك بين يدي الله	٢٠٥
أرباب الرياضات هم المجاهدون لأنفسهم	٢٩٣
أستغفر الله من قلة صدقي في قولي	٢١٤
استكثروا من الأصدقاء المؤمنين	١٦٢
أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء	٣٦١
أعوذ بالله من مقام الكاذبين	٢٠٦

٤٩	الحذر الحذر من المعاصي
١٦٥	الحكايات تحف الجنة
١٦٤	الحكايات جند من جنود الله
١٦٥	الحكايات عن العلماء ومحاسنهم
٢١	الخشية هي الورع
١٨٠	الخلق ينظرون إلى ظاهرك
٦٢	الخوف المحمود الصادق
١٨٦	الخوف سوط الله
٣١	الخوف ليس مقصوداً لذاته
٦٩	الخوف من الله عاطفة تنبع
٢٠٧	الخوف من الله ومراقبته
٣٨١	الخوف والرجاء زمامان
٢٠٧	الخوف يمنعي من أكل الطعام
٧٤	الدنيا كامراًة بغي
١٦٩	الدنيا كـرغيف خبز
١٦٣	الدنيا كلها ظلمة
٢٠٩	الذنوب أهون على الله
٦٧	الذي يخاف مقام ربه
٢٤٣	الرجاء حالة أثمرها العلم
٢٩١	الرجاء ضروري للمريد السالك والعارف
٢٤٦	الرجاء فرض للعبد
٣٠٠	الرجاء ما قارنه عمل
٢٤٥	الرجاء مع العصيان حماقة
٣٥٦	الرجاء والخوف مطيتا المؤمن
٨٠	الشَّيْطَانُ إِنَّمَا يَسْتَطِيعُ عَلَى الْإِنْسَانِ

العالم هو الذي يخاف عند السؤال	١٠٤
العمل الصالح خير من عدمه	٣٢٤
الفرق بين الرجاء والتمني	٢٤٣
القدر الواجب من الخوف	٦٢
اللهم إليك تقصد رغبتي	٣٤٥
اللهم إن كنت تعلم أنني أخاف	٢٠٣
اللهم وهذا الليل قد أدبر	٢١٦
المواعظ سيأط تضرب بها القلوب	١٦٨
المؤمن أحسن الناس عملاً	١١٥
المؤمن قوام على نفسه	١٧٤
النار شديدة والخائفون منها	٨٣
إلهي غارت النجوم ونامت العيون	٢١٦
إلهي وعزتك ما عصيناك اجتراء على مقامك	٣٧٥
أما الغالب على الأكابر	٤٢
أما بعد فأسلم تسلم	٢٤
إن إبراهيم تبرأ من أبيه	٢٢٣
إن أحدكم ليفتي في المسألة	١٠٤
إن أحدنا يصنع المعروف	١٢٠
إن استطعت أن لا يشغلك عن الله	٢١٠
إن الذي يفتي الناس	١٠٥
إن الرجل يُذنب الذنب فما ينساه	٥١
إن الصالحين كانت أنفسهم	١٨٣
إن الضارب في الأرض	٣٤
إن العبد من الله خائف وخاش	٢١
إن الله توعدني إن أنا عصيته	١٥٦

٦٤	إن الله خلق الخلق ليعرفوه
١٣١	إن الله سبحانه بحكمته سلب على العبد
١٦٥	إن المؤمن يصبح حزيناً
٣٠	إن النبي يشفع أولاً
١٤٩	إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا
٣٧١	أن تخاف الله خوف من عرف سطوته
٢٤١	أن ترجو قبول الأعمال
١٣٤	إن رجلاً خرجوا من الكوفة
١٦٦	أن رجلاً تعلق قلبه بامرأة
٣٧٤	إن عمل الإنسان لا ينجيه من النار
١٢٦	إن قدرت على ألا تعرف
٢٤٦	إن قوماً ألهمهم أمانى المغفرة
٢٧٠	إن معرفة ثواب الأعمال
١٧٧	إن من صلاح نفسي علمي بفسادها
٢٨٥	أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله
٢٧٢	أن يكون العبد نادماً على ما مضى
١٢٠	إن المرأى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء
١٠٢، ١٠	إنما العالم من يخشى الله
١٥٦	إني إذا ذكرت أهل النار
٢١٢	إني لأستحي من ربي
٢٨٥	أوثق الرجاء رجاء العبد ربه
٧٢	إياكم وما شغل من الدنيا
٣٣٣	بطول التهجد تقر عيون
٤٩	بقدر ما يصغر الذنب
٢٦٠	تخلل الفترات للسالكين

١١١.....	تخليص النية من فسادها.....
١١٧.....	ترك العمل لأجل الناس رياء.....
١٠٣.....	تعلم لا أدري.....
٢٨٧.....	توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم.....
١٨٣.....	جاهد نفسك حتى تطمئن.....
١٠٥.....	جنة العالم لا أدري.....
١٨١.....	جهاد المرء نفسه هو.....
٢٨٥.....	حسن الظن بالله معناه.....
٣١.....	حقيقة الخوف.....
٣٣٠.....	حلاوة الدعاء.....
١٨٦.....	خف الله في دينك.....
٦٨.....	خف من وجود إحسانه إليك.....
٢٩٨.....	خفت نفسي ورجوت ربي.....
١٢٦.....	دخل رجل على داود الطائي.....
٤٤.....	دخول الخوف على الجاهل.....
١٧٧.....	دوام علم العبد.....
٢٠٧.....	رأيت رب العزة في المنام.....
٢٠٥.....	رأيت مالكا فرأيته من الخاشعين.....
٢٦٠.....	رُبَّمَا وَرَدَتْ الظُّلُمُ عَلَيْكَ.....
١٥٢.....	زوروا القبور كل يوم بفكركم.....
١٦٦.....	سألت ربي أن يفتح علي بابا من الخوف.....
٣٢٠.....	سمعت بعض أصحابنا يقول.....
١٠٢.....	سئل الشعبي عن مسألة فقال لا أدري.....
٨٥.....	شغلني ذكر النار عن النوم.....
٢٠٤.....	ضربة لي في الدنيا.....

طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه	٤٩
عجبت لأقوام أمروا بالزاد	١٤٩
علم القوم في أربعة أشياء	٣٣٨
على قدر حبك لله تعالى	٣١
على قدر قوة إيمانك	٣٦٩
عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء	٣٧١
عندك درهم أشتري به عبداً	٧٢
فضح الموت الدنيا	٧٢
فكن لم لا ترجو أكثر رجاء منك	٢٧٧
فليس شيء أنفع للعبد	١٤٢
في تغيب خاتمة العمل عن العبد	٣٥٧
قد حرم الله تعالى القول عليه بغير علم	١٠١
قد رأيت في قطر من الأقطار	٢٣٥
كان أبو حنيفة شديد الورع	٢٠٤
كان أبو حنيفة عظيم الأمانة	٢٠٤
كان ثابت لا يداهن ولا يحابي	٢١١
كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة	٢٠٣
كان يحاسب نفسه	٢١١
كانوا يراءون بما يعملون	١١٧
كل راج خائف وكل خائف راج	٣٥٧
كل من عرف ربه رجاه	٣٣١
كل من كان بالله أعرف	٢٣
كم من مذكر بالله ناس لله	٣٢
كنت إذا اعترتني فترة في العبادة	١٨٣
كيف أخافك وأنت رب كريم	٣٦٠

- كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرض ٢٠٧
- لا تغتر بموضع صالح ٢٦
- لا تنظر إلى صِغَر الخطيئة ٤٩
- لا يخرج الشهوة من القلب ٧٨
- لا يستوي الخبيث والطيب ٣٦٨
- لا يعرف الرياء إلا مخلص ١٢١
- لا يعظم الذنب عندك ٣٢٠
- لا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ٣٨١
- لا يكون العبد تقياً ١٧٤
- لا يمنع أحداً الدعاء ٣٢٨
- لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً ١٦٠
- لأن تصحب أناساً يخوفونك بالله ٣٧٩
- لأن يكون لي مجلس من عُبِيدِ الله ١٦٠
- لقد خشيت أن أهلك وأن أكون من أهل النار ٢٠٣
- لقد رجوت ممن ألبسني بين الأحياء ٢٩٦
- لقد صحبتنا أقواماً ٣٣٣
- لله در قوم أطار ذكر النار عنهم النوم ١٥٦
- لما حضر أبي الوفاة ٨٩
- لما مرض عمر بن عبد العزيز ٢٠٣
- لو أن واحداً دخل بستاناً ٤٢
- لو سقط من أحدهم درهم ١٤٩
- لو عدل بكاء أهل الأرض ١٩٥
- لو لم يذنب المؤمن لكان ٣٢٠
- لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ٣٨١، ٣٥٣
- لو وضع الصدق على جرح لبرأ ٤٤

- لولا الفَرْق من الله ١٠٤
- ليس إلا بذل الروح ٣٦٣
- ليس الإيمان بالتحلي ٢٧٠
- ليس الخوف من كثرة الذنوب بل ٢٣
- ما أعلم شيئاً يتقرب به ٣٣٣
- ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينته ١٠٨
- ما تقول فيمن لا يخاف النفاق ١١٣
- ما رأيت عيناى مثل الفضيل بن عياض ١٦٥
- ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز ٨٥
- ما صدق الله من أحب الشهرة ١٢٥
- ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي ١١١
- ما قرت عيني يوماً ١٢٥
- ما لي شيء ولا مني شيء ١٢٨
- ما يأمن أحدنا ٣٦
- ما يؤمنني أن يكون قد اطلع ٢٠٨
- متى أطلق لسانك بالطلب ٣٢٨
- مجالس الذكر مَحْيَاةُ العلم ١٦٨
- مستقى الخوف من بحر عدله ٣٦٠
- مسكين ابن آدم لو خاف النار ٨٤
- من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب ١٠٤
- من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء ١٦٣
- من أراد علو بنيانه ٢٣٥
- من أعرض عن الله بالكلية أعرض الله عنه ٣٧١
- من خاف الله ٢٠٣
- من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ٣١

- ٦٨ من خاف الله خوف الله منه كل شيء
- ٣١ من خاف فوت المطلوب
- ٣٢ من خاف هجوم العدو عليه
- ٨٤ من خلقه الله للجنة
- ١٦٤ هو ذكر أصحاب رسول الله
- ٨٩ وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقاً بخوف الخاتمة
- ٢١١ والله إلى الآن أجدد إسلامي
- ٧٣ والله لكفى به ذنباً
- ١١٠ وربما كان اعتقاد المرء عند عمله
- ٨٥ وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين
- ٢٧٥ وكم من عازم على الجد سوفه
- ٨٥ وهل خلقت النار إلا لي
- ١٧٩ ويلك وأين مكوكها
- ٢٠٠ يا بني أكثر من ذكر الموت
- ٣٦١ يا بني المصيبة
- ١١١ يا بني انو الخير
- ٢٨٢ يا بني حدثني بالرخص
- ٣٥٩ يا بني خف الله خوفاً
- ٣٦٢ يا غلام فقه اللسان
- ٣٢٠ يارب اعصمني حتى لا أعصيك أبداً
- ١٨٤ ياعمر بن هبيرة إن تك مع الله
- ٣٢٤ يخلص إلى القلوب من بره
- ١٠٩ يكون في آخر الزمان
- ٣٢٨ ينبغي للداعي أن يجتهد
- ١٦ ينبغي للقلب أن لا يغلب عليه إلا الخوف

ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف ٨٢

فهرس الأشعار

تمت الفهرسة أبجدياً، بذكر الشطر الأول من البيت فقط

الصفحة	الشطر الأول
٣٢٩.....	أَتَهَزُّ بِالِدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ
١٦٤.....	أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
٦٠	أَحْزَانُ قَلْبِي لَنْ تَزُولَ
٤٢	أَحْسَنْتُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حُسُنْتَ
١٦٣.....	إِذَا سَكْتُوا رَأَيْتُ لَهُمْ جَمَالاً
٣٧٦.....	إِذَا كُنْتَ قَدْ أَوْحِشْتَكَ الذُّنُوبَ
٣٤٦.....	إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهُ أَمْرٌ لَأَنْ جَانِبُهُ
٣٢	إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَاْبُدُّهُ
٣٩	إِذَا مَا قَالِ لِي رَبِّي
٢٧٠.....	اعْمَلْ لِدَارٍ هُوَ الرِّضْوَانُ خَازِنُهَا
٢٩٢.....	أَلْقَيْتُ حَاجَاتِي بِبَابِكَ رَاجِئاً
٢٨٥.....	إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي
٣٤٧.....	إِلَهِي يَا إِلَهَ الْكَوْنِ إِنِّي
٣٠٦.....	إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي
١٨٥.....	إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ
٧٤	إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً قُطُنَا
١٢٨.....	أَنَا الْمَكْدِيِّ وَابْنُ الْمَكْدِيِّ
٣٤٧.....	بِاللَّهِ أَبْلُغُ مَا أَسْعَى وَأُذَكِّرُهُ
١٦٣.....	بِعَشْرَتِكَ الْكَرَامُ تُعَدُّ مِنْهُمْ
٢٧٥.....	تَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
٤٧	تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي
٤٩	خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا

ذَنُوبِي إِنْ فَكَرْتُ فِيهَا كَثِيرَةٌ.....	٣٢١
صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا.....	٢٩٧
ظِلًّا عَلَى الْيَتِيمِ كُنْ وَأَوْدِ.....	٢٦٨
عَلَى قَدْرِ عِلْمِ الْمَرْءِ يَعْظَمُ خَوْفُهُ.....	٦٩
قَدْ وَزَعَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ رِزْقَهُمْ.....	٢٨٤
كَفَايَاتِ الْكَفَاحِ بِحُسْنِ ظَنِّي.....	٢٨٥
لَبِستُ ثَوْبَ الرِّجَا وَالنَّاسَ قَدْ رَقَدُوا.....	٢٩٤
لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَقَى.....	٩١
لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَهْلَ الشَّقَا.....	٨٦
لَوْ شَاءَ أَنْ تَصَلِيَ جَهَنَّمَ خَالِدًا.....	٣٠٢
لَوْلَا التَّعَلُّقُ بِالرَّجَاءِ تَقَطَّعْتَ.....	٢٩٢
لَئِنْ عَظَّمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا.....	٣٢١
مَا رَبُّ كَانَتْ فِي الشَّبَابِ لِأَهْلِهَا.....	٧٥
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ.....	٣٣٨
نَهَارِكَ يَا مَغْرُورَ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ.....	٢٠٣
وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتَهُ أَوْ وَعَدْتَهُ.....	٢٨١
وَجَعَلْتَ عَتَبَكَ عَتَبَ مَوْعِظَةٍ.....	٣٤٦
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ.....	٢٤
يَا حَبِيبَ الْقُلُوبِ أَنْتَ الْحَبِيبُ.....	٢١٥
يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً.....	٣٣٧
يَا رَبُّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ.....	٩٢
يَا صَاحِبَ الْهَمِّ إِنْ الْهَمِّ مَنْفَرَجٌ.....	٢٨٤
يَا نُوَاسِيَّ تَوَقَّرْ.....	٣٣٨
يَقُولُونَ لِي: فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا.....	١٠٩

المراجع

- القرآن الكريم.
- إبطال الحيل، لابن بطة، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٢.
- أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء، وهي سليمان غاوي.
- أحوال الأبرار عند الاحتضار، للشيخ خلدون عبد العزيز مخلوطة، دار البشائر.
- أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، د: عمر محمد باحاذق، دار المأمون للتراث.
- الآداب الشرعية، لأبي عبد الله بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عمر حسن الخيام، وزارة الأوقاف، قطر.
- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أفلا يتدبرون القرآن، أ.د: ناصر بن سلمان العمر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠١١ م.
- التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، ط: ٢.
- الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإسلامي مصطفى صادق الرافعي، عبد الستار علي السطوحي، دار الاعتصام.
- الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط: ١.
- الجواهر واللائي المصنوعة في تفسير القرآن العظيم، عبد الله بن عبد القادر التليدي، دار البشائر الإسلامية، ط: ١، ٢٠٠٣ م.
- أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، عبد الغني الدقر، دار القلم.

- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: د. محمد وهبي سليمان؛ أسامة عمورة، دار الفكر.
- الحسن بن يسار البصري، د. مصطفى سعيد الخن، دار القلم، دمشق.
- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، لأبي عبد الله حسين بن عبد الله الصيمري، عالم الكتب.
- الخوف والرجاء، د. يوسف القرضاوي، موسوعة الأعمال الكاملة.
- أدب الدين والدنيا، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار المنهاج، ط: ١.
- آداب النفوس، الحارث بن أسد المجاسبي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، مؤسسة الكتب الثقافية.
- آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، للنووي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابر، دار الفكر، ط: ١.
- الرسالة التبوكية، ابن القيم، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد.
- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، دار الفكر، ط: ١.
- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان- مؤسسة الرسالة.
- إضاءات على حسن وسوء الخاتمة، محمد عواد العواد، مكتبة ابن القيم، الدار دمشقية.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، ط: ١.
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة.
- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف.
- اقتضاء العلم العمل، أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٤.
- الأعمال بالخواتيم، سعد بن سعيد الحجري، دار الوطن، ط: ١.
- العوائق، محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة، ط: ٢.
- الإمام أبو حنيفة وحقيقة نقد مخالفه، محمد بن طاهر البزرنجي- مروان بن عزيز الكردي، دار الروضة، ط: ١.
- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق.
- اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، موسى بن راشد العازمي، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط: ١.
- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

- الوعظ المطلوب من قوت القلوب، لمحمد جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٠م.
- الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة.
- بأي قلب نلقاه، د. خالد أبو شادي، دار الاندلس، ط: ١.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط: ١.
- البرهان في شعب الإيمان، علي الشربجي، دار القلم، دمشق، ط: ١.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار- عبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- بغية الطالبين من إحياء علوم الدين، الشيخ أحمد محمد عساف، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: ٣.
- بقايا شمعة، جمع وترتيب: فهد عبد الله النفيسي، مكتبة المنار الإسلامية.
- تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط: ١.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،
دار الكتب العلمية.

- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: هاشم الندوي
وآخرون، دائرة المعارف العثمانية.

- تبين المحارم، لشيخ الحرم: الإمام سنان الدين يوسف عبد الله
الأماسي الحنفي، دراسة وتحقيق: د. خالد حسن هنداوي، دار الروضة
للطباعة والنشر، إسطنبول، ط: ١.

- تخریج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي، وابن السبكي، والزيدي،
استخراج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة للنشر،
الرياض، ط: ١.

- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي،
تحقيق: محمد بشير عيون، مكتبة المؤيد، مكتبة دار البيان، ط: ٢.

- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط: ١.

- تفسير التستري، محمد بن سهل بن عبد الله التستري.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار
طيبة للنشر، ط: ٢.

- التفسير الكبير، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط: ١.

- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر،
مؤسسة الرسالة، ط: ١.

- تفسير القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط: ٢.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، المطبعة الحسينية المصرية.
- تهذيب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، تهذيب: صالح بن عثمان اللحام، المكتبة الإسلامية، الرواد للإعلام والنشر.
- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.
- التهجيد وقيام الليل، لأبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، مكتبة القرآن.
- التوبة، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط: ٣.
- ثلاثون مجلساً في التدبر، مجالس علمية وإيمانية، إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، ط: ٤.

- جامع الكتب الإسلامية، نماذج من خوف السلف، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الصالح، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط: ١.

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: ١.

- جرعات دواء، د. خالد أبو شادي، الأندلس الجديدة للتوزيع والنشر، ط: ١.

- حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، ط: ١.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- الحكمة والحكماء، عبد الله علي سعيد الغامدي، المملكة العربية السعودية، ط: ١.

- حياة الصحابة، محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: ١.

- الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.

- خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة، إعداد: قطب عبد الحميد قطب، مراجعة: د. محمد عاشور، دار الاعتصام.

- الخوف، للشيخ صالح المنجد، مجموعة زاد، ط: ١.
- الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، دار عالم الفوائد، ط: ١.
- دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي، دار الكتاب العربي.
- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦.
- ديوان الإمام المجاهد ابن المبارك، جمع وتحقيق: أ.د. مجاهد مصطفى بهجت، مجلة البيان.
- ديوان علي بن أبي طالب عليه السلام، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط: ٤.
- ديوان القائد الشهيد مروان حديد، تحقيق: محمد ناصر المزني، مكتبة الرسالة الحديثة، ط: ١.
- ديوان محمود الوراق شاعر الحكمة والموعظة، دراسة وتحقيق: أ.د. وليد قصاب، مؤسسة الفنون، ط: ١.
- ديوان ابن المعتز، عبد الله بن المعتز، دار صادر، بيروت.
- ردود على أباطيل ورسائل الشيخ محمد الحامد، الشيخ محمد الحامد، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت.
- الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، تحقيق: معروف زريق، علي عبد الحميد بلطه جي، دار الجيل، بيروت، ط: ٢.
- رسالة المسترشدين، لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: ٣.

- روح وريحان من سورة الرحمن، د. خالد حسن هندراوي، مركز الأناضول والخليج، إستانبول- تركيا، ط: ١.

- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، قام عليها واعتنى بها وضبطها: محمد أحمد الهلالي، مكتبة عباد الرحمن، مكتبة العلوم والحكم، مصر، ط: ١.

- زاد الدعاة، د. عبد المهيمن طحان، دار المنارة، جدة - السعودية.

- الزهد، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد، أبو عبد الرحمن بن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الزهد والحكمة، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، استخرج نصوصه ورتبه وعلق عليه وقدم له: خليل محمد عوض الله العربي، دار المقتبس، ط: ١.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.

- السلسبيل المورد قصة رحلة الخلود، أ.د: عبد السلام المجيدي.

- سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص، محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية، ط: ٦.

- سيكون يوماً رائعاً، د: مشعل عبد العزيز الفلاحي، دار القلم، ط: ١،

٢٠٢٣ م.

- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٣.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط: ١.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط: ٢.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، عمل: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ٣.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى نور الدين الأشموني، دار الكتب العلمية، ط: ١.
- شرح السنة، الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: ٢.
- شرح المعلقات التسع، لأبي عمرو الشيباني، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط: ١.
- شرح حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري، عبد المجيد الشرنوبلي، علق عليه: د. عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، ط: ١٨.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الحسين بن عبد الله، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط: ١.

- شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، ط: ٢.
- شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه، جمعه وشرحه: محمود بيجو، مكتبة ابن القيم، الدار الدمشقية، ط: ١.
- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط: ١.
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط: ٤.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ١.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- صفحات من صبر العلماء على شذائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية؛ دار البشائر الإسلامية
- صفة الصفوة، الإمام جمال الدين القرشي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- صلاح الأمة في علو الهمة، د. سيد بن حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، ط: ٢.
- صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي، تحقيق: عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة، ط: ١.

- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: ٩.
- طب القلوب، للإمام ابن قيم الجوزية، جمع وترتيب، صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، ط: ١.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي - زائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي، ط: ١.
- ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط: ١.
- عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٤ م.
- عظماء الإسلام، محمد سعيد مرسي، مؤسسة إقرأ، ط: ٤.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير الصديقي العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، ط: ٢.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: د. شمران سركال يونس العجلي، دار القبلية للثقافة الإسلامية.
- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية.

- فتاوى الفضائيات- تأثيرها على سلوكيات الجمهور، د. زينب محمد حامد حسن.
- الفتح الرباني والفيض الرحماني، الشيخ عبد القادر الجيلاني، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار السنابل، ط: ١.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة.
- فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة.
- فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط: ١.
- فقه القلوب، جمال ماضي، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط: ١.
- فقه سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، أبو المجد محمد شريف الراشد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١.
- فقه علوم الآخرة، د. محمد بشير الشقفة، دار الإيمان، ط: ٢.
- الفتوى بين الانضباط والتسيب، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة.
- الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: ١.
- في رحاب السنة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق.
- قد أفلح من زكاها، د. حسن فوزي، سلسلة زاد المسلم المعاصر، دار المقاصد، ط: ١.
- قصص الأنبياء، ابن كثير، خرج أحاديثه: طالب عواد، دار الفيحاء، دمشق، ط: ١.
- قلوب أسيرة الرحمن، د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة عباد الرحمن، مكتبة العلوم والحكم، مصر، ط: ١.
- قلوب أسيرة الشيطان، د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط: ٣.
- قوت القلوب، محمد بن علي أبو طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط: ٢.
- قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، موسوعة الدعوة الإسلامية.
- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقله إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان، ط: ١.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد، مكتبة العلم الحديث.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كفارات الخطايا وموجبات المغفرة، حامد إبراهيم أحمد؛ محمد حسين العقبي، مكتبة المعارف، الرياض.
- لسان العرب، محمد ابن منظور، دار صادر، ط: ٣.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر.
- مجالس القرآن، فريد الانصاري، دار السلام، ط: ٢.
- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، لابن رجب، تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، ط: ٢.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن سليمان الهيتمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط: ٥.
- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: الشيخ سعد العارف، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: ٢.

- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، لابن حزم الاندلسي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان.
- معالم السنة النبوية، جمعه: صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، ط: ١.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، دار الفكر.
- المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، تحقيق: محمد بن الحسين السليمانى- عائشة بنت الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، ط: ١.
- المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، دار السلام، ط: ١١.
- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، ط: ١.
- مسند البزار، أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، ط: ١.
- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط: ١٦.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار ابن حزم، ط: ١.
- مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أ. سيد عمران- أ. علي محمد علي، دار الحديث، القاهرة.

- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: ٤.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.
- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب (مختصر المكاشفة الكبرى)، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، خرج آياته وراجعته وصححه: أ. بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: ١.
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، مكتبة الخانجي، ط: ١.
- منزلة المراقبة في ضوء القرآن والسنة، حمزة شواهنة، مجلة جامعة الخليل للبحوث، م: ١٣، ع: ٢، ٢٠١٨ م.
- من الشعر المنسوب إلى علي بن أبي طالب، جمعه وشرحه: عبد العزيز سيد الأهل، دار صادر، بيروت، ط: ١.
- منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، أبو حامد الغزالي، اعتنى به: محمد علي محمد بحري، مكتبة ابن القيم، الدار الدمشقية، ط: ٣.
- منهج السنة النبوية في التربية النفسية، رسالة دكتوراه، د. حسين محمد حسين، دار السلام، ط: ١.
- موارد الظمان لدروس الزمان، عبد العزيز محمد السلطان، ط: ١٩.
- مواعظ الإمام الشافعي، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، ط: ١.

- مواظظ ابن الجوزي؁ المسمى: الياقوطة؁ ابن الجوزي؁ تحقيق: أحمء
عءء التواب عوض؁ ءار الفضيلة.
- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين؁ الشيخ محمد جمال الدين
القاسمي؁ تحقيق: عاصم بهجت البيطار؁ ءار النفائس.
- موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم؁ مجموعة من المختصين؁
بإشراف: ء. مصطفى مسلم محمد وآخرين.
- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام؁ مجموعة من المؤلفين.
- موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالءة؁ المكتب العلمي للتأليف
والترجمة؁ بإشراف؛ ء. روي البعلبي؁ ءار العلم للملايين.
- موسوعة فقه القلوب؁ محمد بن إبراهيم التويجري؁ بيت الأفكار
الءولية.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ؁ بإشراف
الشيخ صالح حُمَيْء والشيخ عبد الرحمن مَلُوح؁ ءار الوسيلة؁ ط: ٩.
- النكت والعيون تفسير الماورءي؁ أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب
الماورءي؁ تحقيق: السيد بن عبد المقصوء بن عبد الرحيم؁ ءار الكتب
العلمية؁ مؤسسة الكتب الثقافية.
- نماءج تربوية من القرآن الكريم؁ السيد الصاوي.
- النية والإخلاص؁ ء. يوسف القرضاوي؁ مكتبة وهبة.
- هكءا علمتني الحياة؁ ء. مصطفى السباعي؁ ءار ابن حزم؁ بيروت.

- وقفات وتأملات في حياة التابعين والتابعات، محمد بن رياض الأثري،
عالم الكتب، ٢٠٠٢ م.

- الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، أ.د. محمد مصطفى الزحيلي، دار
الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: ٢.

- الورع والزهد، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة.

- ينابيع الرجاء، د. خالد أبو شادي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٦	من الذكر الحكيم
٧	الإهداء
٨	المقدمة
١٥	الباب الأول: الخوف
١٥	تمهيد
١٧	الفصل الأول: مفهوم الخوف:
١٧	المبحث الأول: تعريف الخوف والألفاظ ذات الصلة به:
١٧	الخوف في اللغة
١٨	الخوف في الاصطلاح الشرعي
١٩	معاني كلمة الخوف في القرآن الكريم
٢٠	قليل الخوف على وجوه
٢١	الألفاظ ذات الصلة بالخوف:
٢١	١. الخشية
٢٣	٢. الرهبة
٢٣	٣. الحذر
٢٣	٤. الجبن
٢٤	٥. الوجل
٢٥	المبحث الثاني: أهمية الخوف والترغيب فيه:
٣٥	واعلم أن الخوف يجب التزامه لأمرين
٣٦	لماذا يريد منا المولى جل وعلا أن نخافه؟
٣٩	المبحث الثالث: مقدمات الخوف ودرجاته وأسبابه:
٣٩	مقدمات الخوف
٤١	درجات الخوف
٤٦	أسباب الخوف من الله تعالى

٤٦	١.التفكر بعظمة الله وقدرته
٤٧	٢.تذكر اقتراف الخطايا والذنوب والقول في ذلك
٥١	٣.كثرة الفتن
٥٣	- فتنة الاختلاط
٥٣	- فتنة الأزواج والأولاد
٥٥	- فتنة الإعلام
٥٧	٤.تذكر أهوال الآخرة
٥٧	٥.الخوف من عدم قبول الأعمال وحبوطها
٦١	الفصل الثاني: أنواع الخوف
٦١	المبحث الأول: الخوف المشروع:
٦١	أولاً. الخوف الفطري:
٦١	ثانياً. الخوف المحمود: ويتضمن:
٦٢	١-الخوف من الله
٦٩	٢-الخوف من الدنيا ومشاغليها
٧٥	٣-الخوف من عذاب الله
٧٩	- خوف الشيطان من عذاب الله وعقابه!!
٨١	٤-الخوف من النار
٨٨	٥-الخوف من سوء الخاتمة
٩٠	- علامات حُسن الخاتمة
٩٢	- أسباب سوء الخاتمة
٩٤	٦- الخوف من الموت
٩٧	٧- الخوف من القول في معنى كلام الله جل وعلا والفتوى بغير علم
٩٧	أ- الخوف من القول بتفسير كلام الله جل وعلا بما لا نعلم
٩٩	ب- الخوف من الفتوى بغير علم
١١٠	٨-الخوف من تحول النية
١١١	٩-الخوف من النفاق

١١٦	١٠-الخوف من التقصير في الواجبات المراد رضى الله فيها
١١٧	١١-الخوف من الرياء
١٢٤	١٢-الخوف من الشهرة
١٢٩	المبحث الثاني: الخوف غير المشروع:
١٢٩	١.الخوف من الشيطان والهوى والنفس
١٣٥	٢.الخوف من الأعداء
١٣٧	٣.الخوف من الموت المؤدي للنكوص عن الجهاد والفرار من التكاليف
١٣٩	الفصل الثالث: كيف نقوي الخوف من الله تعالى في أنفسنا؟
١٣٩	المبحث الأول: كيف نقوي الخوف؟
١٣٩	١.ذكر عظمة الله وجلاله وقهره وجبروته
١٤٠	٢.التدبر في كتاب الله
١٤٠	أ- التدبر المُعين على الخوف
١٤٣	ب- الخوف الذي يؤدي إلى الأمن
١٤٤	٣.تذكر الموت والقبر والحساب والميزان والصراط وأحوال يوم القيامة والنار:
١٤٤	-تذكر الموت والقبر
١٤٨	-تذكر الحساب والميزان والصراط
١٤٩	-تذكر أحوال يوم القيامة
١٥٢	-تذكر أحوال النار
١٥٧	٤.مجالسة العلماء والصالحين
١٦٤	٥.قراءة سير الصالحين
١٦٧	٦.سماع المواعظ والخطب
١٦٩	٧.الدعاء
١٧٢	٨.محاسبة النفس
١٧٧	٩.المراقبة
١٨١	١٠.المجاهدة
١٨٤	المبحث الثاني: ثمرات الخوف:

١٨٤	أولاً: في الدنيا:
١٨٤	١. الخوف دليل على تمكن وقوة الإيمان في قلب المؤمن
١٨٥	٢. يحجز الإنسان المسلم عن المعصية ويقوم سلوكه وعمله
١٨٦	٣. يُبعد المسلم عن الغرور والكبرياء
١٨٦	٤. يدفع الإنسان للابتعاد عن الظلم والتعدي على حقوق الناس
١٨٦	٥. النظر في نضرة النعيم يرفع الهمة للمزيد من العمل الصالح
١٨٧	٦. التمكين في الأرض
١٨٧	٧. النجاة من كل سوء
١٨٨	ثانياً: في الآخرة:
١٨٨	١. الرضى من الله تعالى
١٨٨	٢. وعد الله جل ذكره بالجنة
١٨٩	٣. سبب لمغفرة الذنوب والنجاة من النار
١٨٩	٤. القرب من الله تعالى والفوز بالمتعة تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة
١٩٢	الفصل الرابع: نماذج من حياة الصالحين، وحياة غير الخائفين من الله تعالى:
١٩٢	المبحث الأول: نماذج من الذين خافوا الله تعالى: ويتضمن:
١٩٢	-رسول الله ﷺ
١٩٥	-خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام
١٩٥	-آدم وداود عليهما السلام
١٩٥	-أبو بكر الصديق عليه السلام
١٩٧	-الفاروق عمر بن الخطاب عليه السلام
١٩٩	-ذو النورين عثمان بن عفان عليه السلام
١٩٩	-علي بن أبي طالب عليه السلام
٢٠٠	-أبو عبيدة بن الجراح عليه السلام
٢٠٠	-أبو هريرة عليه السلام
٢٠١	-عبد الرحمن بن عوف عليه السلام
٢٠١	-الصحابي أبو سفيان بن الحارث عليه السلام

٢٠١	-الصحابي ثابت بن قيس رضي الله عنه
٢٠٢	-الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
٢٠٢	-عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
٢٠٤	-الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه
٢٠٥	-الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه
٢٠٦	-الإمام الشافعي رضي الله عنه
٢٠٧	-الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه
٢٠٨	-الحسن البصري رضي الله عنه
٢٠٩	- مالك بن دينار رضي الله عنه
٢٠٩	-سفيان الثوري رضي الله عنه
٢١٠	-وهيب بن ورد المكي طبيب القلوب رضي الله عنه
٢١٠	- علي بن الفضيل بن عياض رحمهم الله
٢١١	- الترمذي رضي الله عنه
٢١١	-الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه
٢١١	-شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه
٢١٢	-عامر بن قيس رضي الله عنه
٢١٣	نماذج نسائية
٢١٣	-أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
٢١٤	-أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها
٢١٤	-رابعة العدوية رضي الله عنها
٢١٥	-حبيبة العدوية رضي الله عنها
٢١٦	-أمية بنت أبي المورع رضي الله عنها
٢١٦	- حفصة بنت سيرين رضي الله عنها
٢١٧	- معاذة بنت عبد الله رضي الله عنها
٢١٨	المبحث الثاني: نماذج من حياة الذين لا يخافون الله: ويتضمن:

٢٢١	-ابن نبي الله نوح
٢٢١	-آزر أبو نبي الله إبراهيم
٢٢٣	-فرعون
٢٢٥	-قارون
٢٢٧	-أبو جهل
٢٢٧	- أبو لهب عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:
٢٢٨	-امرأة أبو لهب
٢٢٩	-امرأة نوح، وامرأة لوط
٢٢٩	-كعب بن الأشرف اليهودي
٢٣٠	-عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين
٢٣٢	-أول من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة
٢٣٢	-الجبارون الذين لا يخافون الله
٢٣٣	-الحكام الظالمون والعاملون بغير تقوى الله
٢٣٨	الباب الثاني: الرجاء:
٢٣٨	تمهيد:
٢٤٠	الفصل الأول: مفهوم الرجاء:
٢٤٠	المبحث الأول: تعريف الرجاء وما يتصل به:
٢٤٠	الرجاء في اللغة
٢٤٠	الرجاء في الاصطلاح الشرعي
٢٤١	معاني كلمة الرجاء في القرآن الكريم
٢٤٢	الفرق بين الرِّجاء والغرور والتَّمَنِّي
٢٤٨	أبلغ آيات الرجاء في القرآن الكريم
٢٥٣	علامات الرجاء، وتتضمن:
٢٥٤	- حُسْنُ التقرب، ودوام المعاملة
٢٥٥	- انشراح الصدر بأعمال البرِّ
٢٥٦	- سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى

٢٥٦	- شدة الشوق إلى ما شَوَّقَ إليه الكريم جل وعلا
٢٥٦	- تحسين الأخلاق مع الخلق
٢٥٦	- فعل الطاعات، وحُسن الموافقات
٢٥٧	مقام الرجاء
٢٥٧	أنواع الرجاء
٢٥٨	الرجاء على وجوه
٢٥٩	من محاذير الرجاء، وتتضمن:
٢٥٩	- الاغترار بالسلامة وطول الأمل
٢٥٩	- الحذر من الفتور
٢٦٠	- الاتكال فقط على عفو الله تعالى دون عمل وتوبة بنية خالصة صادقة فيها
٢٦١	- الاتكال على أمانى العفو الإلهي
٢٦٢	- استحكام الذنوب واليأس من المغفرة
٢٦٤	المبحث الثاني: أسباب الرجاء:
٢٦٤	١. الإيمان والعمل الصالح
٢٧٢	٢. التوبة النصوح
٢٧٦	الرجاء واستشعاره، لأمرين:
٢٧٨	الفصل الثاني: فضيلة الرجاء وثمراته، وكيف أكون راجيا؟
٢٧٨	المبحث الأول: فضيلة الرجاء والترغيب فيه:
٢٩٦	المبحث الثاني: ثمرات الرجاء:
٢٩٦	١. إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه
٢٩٨	٢. محبة رب العزة تعالى لعباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله
٢٩٨	٣. الرجاء يحث على العمل
٣٠٠	٤. يريد الله تكميل مراتب العبودية للعبد
٣٠٠	٥. إن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره ودوام الالتفات إليه
٣٠٦	٦. علاج كبرياء مصائب الدنيا بكبرياء الآخرة

٣٠٩	المبحث الثالث: كيف أكون راجياً؟
٣٠٩	١. التذکر دوماً بأن الله تعالى واسع المغفرة
٣٢٢	٢. الاقتداء بالرسول ﷺ
٣٢٣	٣. العمل الصالح
٣٢٥	٤. هجر المناهي والمحرمات
٣٢٥	٥. الدعاء
٣٣١	٦. قيام الليل
٣٣٤	٧. تذكر ثواب الله في جنته
٣٣٥	٨. تذكر نعم الله سبحانه
٣٣٦	٩. تذكر قصص العصاة المجاهرين
٣٣٩	المبحث الرابع: نماذج بعض من الراجين في الله تعالى:
٣٣٩	١- نماذج من الأنبياء عليهم السلام
٣٣٩	- محمد رسول الله ﷺ
٣٤٠	- نبي الله نوح ﷺ
٣٤٠	- نبي الله إبراهيم عليه السلام
٣٤٠	- نبي الله يعقوب عليه السلام
٣٤١	- نبي الله يونس عليه السلام
٣٤١	- نبي الله موسى عليه السلام
٣٤٢	٢- نماذج من الصحابة رضي الله عنهم
٣٤٢	- أبو بكر الصديق رضي الله عنه
٣٤٢	- عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٣٤٢	- عثمان بن عفان رضي الله عنه
٣٤٢	- عمرو بن العاص رضي الله عنه
٣٤٣	- بلال الحبشي رضي الله عنه
٣٤٣	- عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه
٣٤٣	معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

٣٤٤	٣- نماذج من العلماء والصالحين رحمهم الله
٣٤٤	- التابعي الربيع بن خثيم ؓ
٣٤٤	- الحسن البصري ؓ
٣٤٤	- سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج ؓ
٣٤٤	- مالك بن أنس ؓ
٣٤٥	- الفضيل بن عياض ؓ
٣٤٥	- الإمام الشافعي ؓ
٣٤٥	- ذو النون المصري ؓ
٣٤٦	- الجنيد البغدادي ؓ
٣٤٦	- الإمام الغزالي ؓ
٣٤٦	٤- مما قاله بعض الشعراء في الرجاء
٣٥٠	فصل في: التوازن بين الخوف والرجاء:
٣٥٠	تمهيد
٣٥٠	المبحث الأول: التوازن بين الخوف والرجاء
٣٦٦	المبحث الثاني: حالات ترجح الرجاء:
٣٦٦	١. عند دنو الأجل
٣٦٧	٢. عند التوبة والندم
٣٦٧	٣. عند أداء الطاعات والابتعاد عن المحرمات
٣٦٩	المبحث الثالث: حالات ترجح الخوف:
٣٦٩	١. عند الانغماس في المعاصي والمنكرات
٣٦٩	٢. عند الاعتداء على حقوق الآخرين وظلمهم
٣٦٩	٣. عند الغرور برحمة الله وعفوه من غير تحصيل للأسباب
٣٧٤	ميزان التوازن عند الرسول ﷺ
٣٧٤	١- عدم الغرور بأعماله الصالحة
٣٧٥	٢- الإكثار من العمل الصالح
٣٧٥	٣- عدم القنوط من رحمة الله وعفوه

٣٧٨	الخاتمة
٣٨٣	بعض التوصيات
٣٨٤	فهرس الآيات
٤١١	فهرس الأحاديث
٤٢٠	فهرس الآثار
٤٢٣	فهرس الأقوال
٤٣٣	فهرس الأشعار
٤٣٥	المراجع
٤٥٤	فهرس الموضوعات